أطروحة الدكتوراة:

# قضايا المرأة في أعمال محمد الغزالي:

## "دراسة تحليلية"

إعداد

**محمد عمر**

تحت إشراف

**الدكتور محمد قطب الدين**

مركز الدراسات العربية والإفريقية

كلية دراسة اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهر لال نهرو

نيو دلهي-110067

**يوليو 2017**

مركز الدراسات العربية و الإفريقية
**Centre of Arabic and African Studies**
School of Language, Literature and Culture Studies
**Jawaharlal Nehru University, New Delhi – 110067**
**जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067**
Gram: JAYENU Tel : 26704253 Fax: 91-11-2671 7525

Dated: 19 -07-2017

## Declaration

I hereby declare that the material in this thesis entitled ""***Qadhaya al-Mar'h fi A'amal Mohammed al-Ghazali: Dirasah Tahliliyah*** " ["Women's Issues in the Works of Mohammed al-Ghazali: An Analytical Study"] submitted by me, is an original research work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other university / institution.

Mohd Umar

Dr. Md. Qutbuddin
Supervisor
CAAS/SLL&CS/JNU

Prof. Rizwanur Rahman
Chairperson
CAAS/SLL&CS/JNU

# المقدمة

مما لا شك فيه أن المرأة نصف المجتمع البشري ونصف الأمة الإسلامية وليس في مقدور أي مجتمع من مجتمعات العالم أن يستغني عن دورها مهما بلغ من ذروة الرقي والإزدهار وهي تلعب دورها كأم حاضنة لطفلها وأخت حنون على أخيه وزوجة مؤنسة لحياة زوجها وإبنة بارة بأبيها وهي التعزية في الحزن والهم، والرجاء في اليأس والحرمان، وهي بمثابة ينبوع الحب والحنان والعفو والغفران، ،خلقت شقائق الرجال وجعلت الجنة تحت أقدامها، وإذا فقدها الرجل كأنما فقد حياته الحقيقية لا يعوض فقدانها شيئ من الدنيا. وهي لا تزال تشارك هموم حياة الإنسان منذ أن خلق الله هذه الأرض وجعلها مسكنا خصبا للإنسان، يزداد حاجته إليها في حياته الصعبة التي يعيشها وهي تصبح لها سندا عند الشدائد والملمات وهي آية من آيات الله على الأرض تتمثل ضرورته لها في الآية القرآنية "ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[1] جعلها الله مكتمل الحقوق المادية والثقافية والاقتصادية والسياسية ولم ينقص من ثوابها وجزاءها شيئا وسواها بالرجل في الكرامة الإنسانية والتكاليف الشرعية ولها حقوق وعليها واجبات، يقول خالق الخلق وهو اللطيف الخبير يعلم بمواطن الضغف والقوة في الإنسان " من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"[2] وكذلك تتمثل أهميتها في حياة الإنسان كما جاء في الحديث النبوي الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة،إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك في نفسها

[1] القرآن الكريم، الروم، الآية 21.
[2] القرآن الكريم، النحل، الآية 97.

ومالك"[3] وجعلها الله وسيلة لبقاء نسل الإنسان وانتشاره في الشعوب والقبائل يقول ربنا الكريم "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا"[4] وهي لبنة أولى لحضارة الإنسان ومدرسة أولى لطفله تجعله يميز بين الجيد والردئ والقبح والجميل والخير والشر وتحاول جاهدة للحفاظ عليه وهو قطعة من لحمها ودمها، تتجلى عظمتها وسخاءها بتنازلها عن كثير من حقوقها، ويزداد دورها وتتفاقم معاناتها لطفلها عند غياب أبيه أو فقده نتيجة للحروب ونوائب الدهر، فهي تبذل كل غال ورخيص لسد احتياجات طفله ووقايته من الشتاء والصيف وتسعى جاهدة أن لا تتركه عرضة للجهل والتخلف، ولكن المرأة المسلمة أصبحت مكبلة بسلاسل التقاليد الزائفة التي توارثها المسلمون من الأمم الأخرى، وصبغوها بصبغة الدين وجعلوها من شعائر الإسلام مع أن الإسلام بريئ منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب. وموضوع هذه الدراسة "المرأة في أعمال محمد الغزالي: دراسة تحليلية" يعالج المشاكل التي تعانيها المرأة وأصبحت عقيمة لا تؤدي واجبها تجاه رسالة الإسلام، وبسبب جهالتها وعدم تمثيل دورها وقعت الأمة المسلمة في قعر الجهالة وفخاخ الهلاك.

قصدي لاختيار هذا الموضوع هو أهميته من ناحية عديدة منها: توضيح حكم عمل المرأة في بيئة متدينة كقاضية ومفتية ومحامية وطبيبة وغيره من القضايا وبيان هذه الأحكام وإبرازها، وكشف الغبار عن الأحكام المتعلقة بحقوقها في الولايات العامة. وخلق الوعي بين الرجال والنساء على حد سواء وأن المرأة المسلمة مميزة وبالخوص إذا كانت تحمل الدين والعقيدة وهي تستطيع مشاركة الرجل في تحمل أعباء المسؤولية، وتصوير دور الإسلام في إنقاذ المرأة من براثن التقاليد الجائرة وبيان كرامتها عند ربها وهو قد رفع منزلتها وأعلى قدرها، وكشف الغطاء عن مسائل هذا الموضوع وتقديم آراء الفقهاء فيه

[3] "فقه السيرة" عند الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في الزواج وآثاره، إعداد محمد بن أحمد الصالح، الأستاذ بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المجلد الأول، عام 1995م، صف 406.

[4] القرآن الكريم، الحجرات، الآية 13.

ما يبين مدى واقعية هذه الشريعة ومرونتها، وإبداء الرأي فيما استجد من مسائل متعلقة بموضوع عمل المرأة ومجالات عملها وتوليتها الولاية العامة والخاصة.

جعلت هذه الرسالة في خمسة أبواب وتحت كل باب ثلاثة فصول يشتمل الباب الأول على حياة محمد الغزالي وخدماته في مجال الدعوة والإرشاد ورحلاته العلمية في مختلف البلاد وآرائه في الوحدة الإسلامية والمناصب التي تقلدها في حياته والجائزة التي فاز بها. والباب الثاني يشتمل على آراء محمد الغزالي حول تربية المرأة وتعليمها العالي ومبدأ تكافؤ الفرص التعليمية بين الرجل والمرأة في الإسلام وكيف كانت المرأة المسلمة تملك ثقافتها الواسعة في العصر الأول والعصر الذي يليه، وما هو واقع المرأة المسلمة في عصرنا الراهن في المجتمع الإسلامي وكيف أدت جهالتها إلى بطالة نصف الأمة بل في الواقع إلى بطالة الأمة ككل بكونها نصف الأمة ومسؤولة عن تربية نصف الآخر وتعليمه، وكيف خسر رحلة الدعوة الإسلامة مسيرتها بسبب جهالتها التي فشلت في حمل رسالتها الدعوية، وكيف المسلمون منعوا النساء الأجنبيات الدخول في الإسلام والنفور منه والانخراط في سلكه عندما قدموا الصور الكالحة للنساء المسلمات أمامهن، وبين فينة وأخرى تعلو صيحات جائرة لتعاليم الإسلام من بين أوساط المتدينين لجعلها في سجن التخلف والجهالة والخمول بعد أن كانت تلعب دورها في معظم شعب الحياة من تقديم المشورة والحضور في البيعات والمشاركة في الحروب والغزوات والقيام بتمريض الجرحى، والحضور في المناسبات الدينية والأعياد، وأداء الصلوات في المسجد، وصراحة القول والقيام بمهمات الدعوة والإرشاد، والعمل في الصناعات المحلية، وإصدار الفتيا وتصويب الرأي ونشر العلم وذلك كله كان في عصر الإسلام الذهبي السالم من تسرب العادات والتقاليد الأجنبية بالنسبة إلى المرأة، وتناولت في هذا الباب خدمات بعض دعاة تعليم المرأة في القرن العشرين بشيئ من الإيجاز، وذكرت فيه أن التدين الفاسد كان عائقا كبيرا في سبيل تعليم المرأة وسدا

حاجزا بينها وبين الاغتراف من منهل العلم والعرفان. الباب الثالث يشتمل على آراء محمد الغزالي القيمة حول مشاركة المرأة في الشؤون السياسية في الإسلام وتاريخ مشاركتها في السياسة ولم تكن المشاركة في الشؤون السياسية من قبل المرأة المسلمة فحسب بل كانت المشاركة من قبل النساء المشركات بكل حماس، ظهرت بطولاتهن السياسية الرائعة في كثير من بلاد العالم من الشرق والغرب، ولكن في القرون المتأخرة في العالم الإسلامي أصبحت مشاركة المرأة المسلمة في العمل السياسي ضئيلة والسبب يرجع إلى جهالة المرأة وعدم كفاءتها لحمل هذه المسؤلية النبيلة الهامة وأصبحت لا تعتني إلا بأمور فراش الزوج واختفى دورها لدى الحركات الإسلامية والسياسية. الباب الرابع يشتمل على مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والأسباب التي تعوق مشاركتها في الحياة العامة من الاقتصاد وكسب المعاش، وما هي المجالات الملائمة للمرأة التي تخوضها دون تجرح أنوثتها وتنال من كرامتها، وما هي الآداب التي تلتزمها حينما تنوي مشاركتها في الحياة العامة.

والباب الخامس وهو لب هذه الرسالة وخلاصة هذا البحث، تناولت فيه أسلوب محمد الغزالي في المسائل الخلافية الفقهية وموقفه منها ومنهجه الفقهي في مسألة النكاح والزواج والطلاق وموقفه من رحلة المرأة وحيدة وعملها خارج المنزل، ومذهبه في كشف وجه المرأة وسماع صوتها لغير المحارم، ورسمت هجماته العنيفة على المتدينين الفاسدين المعارضين له في هذه القضايا كلها من التعليم والنكاح والطلاق، والعمل خارج المنزل وكسب المعاش للولد والوالد العاجز عن العمل.

أتشرف بتقديم هذه الأوراق لنيل شهادة الدكتوراه، وفي الواقع هي ثمرة دراستي المتواضعة التي استغرقت بضع سنوات قضيتها في دراسة الكتاب "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة" و "المرأة في الإسلام" و "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل

الحديث" وتصفحت الكتب الأخرى التي تتعلق بمواضيع تعاسة المرأة المسلمة والتي تعالج مشاكل المرأة في مختلف شعب الحياة تحت توجيهات أستاذي ومشرفي الدكتور محمد قطب الدين وقدمت رسالتي هذه بعد الدراسة الاستعراضية والتحليلية لكتابات محمد الغزالي الكثيرة. ومما لا مراء فيه أن هذا الموضوع الذي تناولته للبحث هو موضوع هام جدا، ونظرا لأهميته كنت آمل أن المواد المتعلقة بهذا الموضوع عسى أن تكون متواجدة في المكتبات الهندية بصورة وافية، وقد نشأت لي مشاكل صحية وصعوبات أخرى أثناء إنجاز البحث، ولم أستطع أن أؤدي حق البحث كما ينبغي، ومع هذا كله قد أتعبت نفسي وبذلت قصارى جهدي في عرضه في أحسن أسلوب مستعينا بالمصادر والمراجع المتواجدة في المكتبات العديدة، ونجحت إلى حد ما في تحقيق غايتي المنشودة في صورة هذه الرسالة بمشية الله.

وقبل الختام يتحتم علي من تقديم عواطف الشكر والامتنان إلى كافة الأساتذة بصفة عامة، لأنهم مدوا إلي يد العون أثناء إعداد هذا البحث، وأستاذي ومشرفي محمد قطب الدين بصفة خاصة يستحق مني جزيل الشكر لما أسدى إلي من توجيهات غالية ونصائح قيمة ولم يبخل في إعطاء مشورات قيمة وإتاحة فرصة سعيدة، لو لم يكن تشجيعه وتحفيزه ومساعدته الغالية لما أمكن لي أن أجدف هذه السفينة إلى الساحل.

أقدم هذه الرسالة كبضاعة متواضعة طالبا العفو والصفح من الأخطاء والزلات وقد تكون عند بعض الناس كثيرة، وأخيرا أسأل الله أن يجعلنا ممن اجتباه وأرشده إلى الحق وهداه، وهو نعم المولى ونعم النصير.

محمد عمر

21 يوليو 2017

# الباب الأول

# محمد الغزالي: حياته وخدماته في مجال الدعوة والإرشاد

## الفصل الأول

## حياته ورحلاته العلمية

## الفصل الثاني

## محمد الغزالي وخدماته في مجال الدعوة والإرشاد

## الفصل الثالث

## محمد الغزالي ورحلاته في مختلف البلاد وآرائه في الوحدة الإسلامية

# الفصل الأول

## حياته ورحلاته العلمية

### مولده وحياته

ولد محمد الغزالي السقا في أسرة بسيطة متدينة في يوم السبت الخامس من شهر ذي الحجة سنة 1336 للهجرة الموافق الثاني والعشرين من شهر سبتمبر لعام 1917 للميلاد بقرية تسمى"نكلا العنب" مركز ايتاي البارود بمحافظة البحيرة في أرض الكنانة وكان له سبعة إخوة وهو أكبرهم ونشأ في رحاب بيئة متدينة في أسوأ عصر من العصور الإسلامية في أيام سوداء، كان الإنجليز فيها يستعمرون مصر ويحتلونها مثلما استعمروا بلادا أخرى من أرض الإسلام الجريح و غيرالإسلام. وأذاقوا الشعب المصري مرارة الهزائم أحرجوا الجميع بما فيه الآباء والأولاد، الشباب والصغار، وكانت المقاومة الشعبية عامة شاملة من رفض الاستسلام للغاصب الغاشم وكانت المقاومة والتمرد يعم أطراف البلاد وأرجائها، ولم تكن قرية محمد الغزالي الصغيرة "نكلا العنب" في معزل عن هذه المقاومة والتمرد ضد الإنجليز الماكر الغاشم وشاركت في الثورة العامة مشاركة فعالة وقطعت أسلاك الهاتف فجاء رجال من الشرطة والجيش نصبوا المخيمات أمام المساجد وعسكروا فيها وأصدروا الأوامر ومنعوا التجول ولجأ الناس إلى دورهم وبيوتهم واختفوا فيها وقتل رجال من الفلاحين الذين لم يلتزموا بتعليمات وأوامر الجيش. وكان محمد الغزالي يومذاك صبيا وطفلا صغيرا تحمله أمه في حضنه وعلى ذراعها وهو ينظر إلى الجيش الزاحف - من فوق سطح بيعد- يحفظ كل شيئ كآلة تصويرية.

ولد محمد الغزالي والدين الحنيف كان يمر بأسوأ قرن من القرون الإسلامية لم يبلغ من عمره إلى سبع سنين حتى رأى مصطفى كمال التركي العلماني قد رمى بالخلافة الإسلامية بالبحر المحيط. وفي الواقع كانت الخلافة الإسلامية لا روح فيها و لا قوة ولكن هذا الشبح كان مفزعا لأعداء الإسلام ويلقي الرعب في قلوبهم، ومن يدري أن يعيد قوته ونشاطه المخوف فجأة فموته كان نافعا لأعداء الإسلام ومهد الطريق لهم لنهب الثروة الإسلامية وللنيل من عرض الإسلام والمسليمن وهان لهم أن يمزق شملهم.

حينما أصبح محمد الغزالي كبيرا وشاهد الظروف والأوضاع التي اكتنفه لم يشعر بالهون لأنه رأى العباقرة الإسلامية من أمثال ابن تيمية قد ولدوا وترعرعوا في ظروف مشابهة والخلافة العباسية على تدهور وانهيار وسيول الغزو التتاري تتدافع، وجعل التتار في البلاد الإسلامية قتلا وفتكا، نهبا وتشريدا وجعلوها لحما على وضم حتى ضرب المثل "إذا قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدقوه" وأسرة ابن تيمية على الفرار من بلد إلى بلد في طرق مليئة بالصرعى والضياع والهزائم. والأمة الإسلامية لا تقع في مثل هذه المصائب إلا من تفريط الحكام ومن عدم أداء أمانات الله التي جعلها على أكتافهم، وما ذنب الأطفال والصغار والرجال إلا يحبون الإسلام ويفتدون به.

وكان والد محمد الغزالي أحد تجار القرية ورجلا قواما بالليل وصواما بالنهار ومكافحا جلدا، وسماه محمد الغزالي لأنه رأى أبا حامد الغزالي في المنام أوصاه بذلك وكان محبا لله ورسوله وأهل بيته، وللعالم الصوفي "أبي حامد الغزالي" وقد عاش على أمل أن يحقق تلك الرؤية وأن يكون

شخصية مرموقة في عصره كما كان أبو حامد الغزالي في عصره، لكن اقتران تسميته بأبي حامد الغزالي لم يترك في تفكيره أثرا ملموسا قد انتفع بتراث أبي حامد الغزالي كما انتفع بتراث خصمه ابن رشد وغيره.

## والد محمد الغزالي

عانى والد محمد الغزالي من المعاناة والمشاكل مالا حصر لها، قد ابتلي بمرض "مغص كلوي" وأولاده من حوله حيارى لا يعرفون ماذا يفعلون وكيف يبرأ أبوهم العطوف من هذا المرض الموجع وأمهم تبكي بكاء الثكلى جالسة على الأرض وقد كتب له الطبيب بعض الأقراص المخدرة لكنه لم يجد قرارا ولم يكن يهدأ من الوجع والألم، وفي الأخير أشاروا عليه بجراحة تستخرج ما في الكلى من حصيات، وأجور الأطباء فوق الاستطاعة تلك الأيام وبالخصوص في أسرة ذات العائدات القليلة، فوق ذلك كله قد مات عم محمد الغزالي في جراحة مشابهة، وأما محمد الغزالي قد أصبحت أمامه الدنيا كلها ظلاما، فجأة تذكر حديث النبي صلوات الله وسلامه عليه وذلك "داووا مرضاكم بالصدقة" فاشترى أحد الزبائن بعض الأغذية من دكانه وقال له بصوت متضرع: ليس معه ثمن الآن وأنه يأتي به غدا، فقال له محمد الغزالي: خذ البضاعة وهي مني إليك، لم يلبث أبوه إلا برأ من المرض وهو يقول: نزلت الحصاة مني[5].

**زواجه السعيد:** عندما حظي محمد الغزالي بوظيفة حكومية أراد الزواج وقد غلبته الرغبة الجامحة في الزواج لكن مسألة الزواج أصبحت معقدة وذلك أن والد الفتاة التي اختارها محمد الغزالي كان يطمح في زوج أكبر ثروة منه، إنه كان

[5]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف173

من رجال قريته، وإن كان محمد الغزالي يشتغل وظيفة حكومية وراتبه ستة جنيهات، يعطي والده نصفها، وقد تدخل في الأمر المرشد العام حسن البنا ونجح في إرضاء الرجل وإقناعه بأنه أفضل من غيره، والمستقبل بيد الله سبحانه وتعالى وسيجعل خيرا.

لم تنعقد مناسبة وليمة بل اكتفوا بأشربة حلوة شربها بعض الأصدقاء، لقد عاش محمد الغزالي مع زوجته الصالحة ثلاثين سنة كأسعد زوجين في الدنيا وأنجب منها تسعا من الأولاد، مات منهم إثنان وبقي له سبع من الإناث والذكور، ثم لبت داعي ربها على غير انتظار.

**رحلته العلمية**

شغف أهالي البحيرة بحب الدين الإسلامي وعلومه غاية الشغف، عندما ولد محمد الغزالي بدأ والده يهتم به اهتماما بالغا فما بلغ من عمره من الخامسة حتى جعله في "الكتاب" يستظهر القرآن الكريم مع غيره من الأطفال الصغار وجعل يؤكد له ألا ينفق وقته الثمين في غير طائل و يحفظ القرآن في أسرع وقت ممكن، لم يكن محمد الغزالي بليدا ولا نابغا، كان متوسط الذكاء ونحيف الجسم، قصير القامة، وكان يقع العصا على جسمه رهيبا عندما أخطأ وفي بعض الأحيان يؤديه الخوف إلى التلعثم، فإذا رأى العصا ترتفع أسرع إلى استعادة وعيه وتابع القراءة، وفي تلك الأيام كانت الأباء يوصون المعلمين لا تأخذهم شفقة في التعليم والتأديب فعصى الفقيه من الجنة كما يزعمون وليس الأمر كأيامنا هذه وذلك أن هذه الضربات تعطل نمو الأطفال العقلي. وبقي محمد الغزالي في "الكتاب"

إلى العاشرة من سنه وأتم حفظ كتاب الله العزيز، وتعلم مبادئ الحساب ومقدارا قليلا من قواعد الإملاء، طوى محمد الغزالي مسافة نحو التعليم الابتدائي والتحق بالمعهد الأزهري المخصص في ذلك العصر بمحافظة البحيرة، وكان ذلك المعهد في مدينة الإسكندرية.

ولكن الصبي في العاشرة من سنه لا يستطيع أن يعيش وحيدا فريدا بعيدا من أبيه وأمه وإخوته ولا بد أن تنتقل معه الأسرة وقام والده الحنون بهذه التضحية الجبارة فباع دكانه الذي يدر له نفعا والذي يرتزق به واشترى في الإسكندرية مكتبة بحي "كرموز" تبيع الأوراق والكراريس، والروايات المترجمة، والكتب المدرسية والعلمية، والقصص الشعبية، والأسفار الدينية المختلفة. وانتقلت الأسرة التي كانت تضم معها شخصين آخرين غير من ماتوا وتحمل مرحلة شاقة من الجهد واللغوب وتحول من القرية الهادئة إلى المدينة المائجة ويبدو أن والده تكبد مشاكل وأزمات فلم ينكسر ولم ينهزم، وقد ساعد في التخفيف عنه آلام الحياة ومشاق السفر أن إبنه النجيب قد فاز في اختبار القبول الذي عقدته مشيخة معهد الإسكندرية الديني، وكان الفائزون في الاختبار نحو مأتي طلاب، اعتاد محمد الغزالي التردد إلى المتبكة التي كانت ترتزق منها أسرته، وكان مولعا بالمطالعة فتركه والده أن يقرأ وقد لاحظ فيه والده بأسف شديد أنه أبى القراءة والمطالعة في الكتب الدينية وانكب على مطالعة الروايات الأجنبية المترجمة، وكثيرا ما يؤثر قراءة ألف ليلة وليلة، عندما كبر عرف أن هذه الكتب مليئة بالأحاديث الموضوعة والواهية والخرافات العلمية، ولكن الطلاب كانوا منكبين عليها مثل "دقائق الأخبار في ذكر

الجنة والنار[6]" و"الروض الفائق في المواعظ والرقائق[7]" و"تنبيه الغافلين"[8] و"قصص الأنبياء"[9] و"الخمرة الإلهية"[10] و"الفتوحات المكية"[11].

دخل محمد الغزالي المرحلة الابتدائية من التعليم الأزهري وهو يناهز الحادية عشر من سنه، وكان ذلك سنة 1928 للميلاد وأن العقد الأول من حياته يحمل سعادة وخيرا كثيرا، كفا له أنه استظهر فيه القرآن ا لكريم واستعد لدراسة ينشدها الكثير من الناس. كان بطل هذه المرحلة السعيدة والده العطوف الذي باع ما يمتلك ليستمر ابنه في الدراسة التي تخدم الإسلام وعلى حد التعبير الشائع قد وهب ابنه لخدمة دين الله الحنيف والأمة الإسلامية البائسة تلك الأيام. وكان الأزهر يعتبر يومذاك حصن الدين الحصين واللغة العربية، وكان موقفه من الاحتلال الانجليزي كموقفه من الاحتلال الفرنسي وكان قذى في عيون المستعمرين وملجأ للأحرار المسلمين. التحق محمد الغزالي بمعهد الإسكندرية الديني وأمضى فيه تسع سنين من أثمن أيام عمره. وكانت الدراسة تبتدئ في الصباح وتنتهي في المساء وكانت دينية خالصة، ودراسة ممتعة، والعلوم المدنية لم يكن مستواها أقل من الطلاب الأنداد في المدارس الأخرى. والمنهج الدراسي الذي ارتبط به محمد الغزالي كان قد وضعه الشيخ محمد مصطفى المراغي وهو ينتمي إلى مدرسة محمد عبده الإصلاحية الذي لم يرزق بقائه حتى تم ترحيله من القصر الملكي وعاد إلى مكانه الشيخ الأحمدي الظواهري وقام الشيخ الجديد بتنفيذ برامج سلفه بكل براعة

---

[6] "دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار" لعبد الرحيم بن أحمد القاضى المتوفى سنة 347 هـ.

[7] "الروض الفائق في المواعظ والرقائق" لشعيب بن عبد الله بن سعد المصري الحريفيش المتوفى سنة 810 هـ

[8] "تنبيه الغافلين" لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب السمرقندي، هو فقيه حنفي سميى بـ"بحر العلوم" المتوفى 373 هـ.

[9] "قصص الأنبياء" أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصريى ثم الدمشقي (700- 774 هـ).

[10] "الخمرة الإلهية" أبو حفص شرف الدين عمر بن على بن مرشد الحموي، هو من أحد الشعراء المتصوفين، وُلد في القاهرة بمصر، عام 1181م.

[11] "الفتوحات المكية" لمحي الدين ابن عربي المكنى بأبي بكر، والمعروف بالحاتم الطائي، وُلد في مرسية بالأندلس، عام 1165م، وتوفي في دمشق عام 1240م.

ودقة، وكانت هذه الفترة من أروع الفترات التعليمية في الأزهر وذلك أن دراسة الطبيعة والكيمياء وعلوم الحساب والجبر والهندسة والتوسيع في دراسة التاريخ المحلي والإسلامي والعالمي ودراسة جغرافية العالم كله. مما لا مرية فيه أن هذه العلوم كلها تساعد في صقل فكر الطالب وتشكيل حكم صائب،[12] كانت الدراسة في المعهد بالإسكندرية رائقة وكانت الغرف واسعة و ينفق لطاب واحد نحو ثلاثين قرشا في الشهر الواحد يصرفها على شراء طعامه اليومي وقد انتفع بها محمد الغزالي عندما اضطربت أحوال والده الاقتصادية، وثلاثون قرشا في تلك الأيام لم يكن مبلغا تافها يستطيع أحد أن يشتري بقرش واحد عشر بيضات[13].

عندما كان محمد الغزالي طالبا بمعهد الإسكندرية قامت المظاهرات وذلك أن إسماعيل صدقي باشا ألغى الدستور القائم وأعاد مكانه دستورا آخر، وجمهور الشعب المصري يرون هذه التصرفات محاولة لخدمة مصلحة انجلترا وكان الطلاب المصريون يقودون حركة تمرد، وشارك المعهد في هذه الثورة العنيفة أيضا، ومحمد الغزالي قاد مظاهرة في داخل المعهد ودفع الثمن غاليا، وجراء ذلك تم فصله من الدراسة لمدة عام، ومنع من الجلوس في اختبار آخر العام، وكان في السنة الثانية الثانوية فشق عليه أن يتخلف عاما كاملا من أصدقائه في الصف وترك الدراسة نهائيا، وجعل يستعد لاختبار الشهادة الثانوية من الخارج.[14]

---

[12]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ160

[13]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ160

[14]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ161

أثناء ذلك لم يلبث محمد الغزالي إلى أن مرض وأصبح طريح الفراش لمدة ثلاثة شهور، وقد اشتد مرضه خلال هذه الشهور وقامت الظنون أنه سوف يموت لا محالة، وجعلت أهالي القرية تنتظر بين فينة وأخرى خبر موته، وبعد ما أفاق من مرضه المزمن اكتشف أن تموين البيت كله قد بيع في معالجته، وأن والده المؤمن الصبور لم يدخر وسعا في معالجته حتى يشفيه الله سبحانه وتعالى من مرضه، وعلى كل حال قد نهض من مرضه جلدا على عظم، لم يبق لمحمد الغزالي من الأيام تكفي له للاستعداد للاختبار وطلب من أصدقائه في المعهد أن يبعثوا إليه الكراريس يكتبون فيها مسائل الرياضة وبعض الكتب الدراسية حتى يستمد بها على المذاكرة، وبعد عام كامل من فصله من المعهد ذهب ثانية إليه متقدما من الخارج، وجلس في الاختبار وكتب بهدوء، وكره أن يرجع إلى والده ينتظر نتيجة الاختبار في جواره ومكث في مساكن المعهد مع زملائه حتى طلعت النتيجة وكانت المفاجأة أن فاز في الاختبار الصعب بل كان في الطليعة الأولى من الفائزين في البلاد كله وعلى رأس قائمة الفائزين في معهد الإسكندرية.[15]

وكان حال محمد الغزالي في المعهد عاديا كان فائقا في علوم اللغة والأدب فقط، أما في الفقه والتفسير وغيرها من العلوم المدرسية كان ينفر شديدا من الكتب "نور الإيضاح"[16] ومتن "القدوري"[17] و"مجمع الأنهر على ملتقى

[15]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ162

[16] حسن بن عمار بن على الشرنبلاني المصري: فقية حنفى مكثر من التصنيف، درس في الأزهر ومن كتبه "نور الإيضاح" توفي في القاهرة سنة 1069 هـ.

[17] أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان المعروف بالقدوري (362هـ - 428 هـ)

الأبح"[18] روكذلك كان يضيق صدرا بـ"تفسير النسفي"[19] و"أبي السعود"[20] وغيرها.

لم يكن يتأسف إذا لم يطلع إسمه في قائمة العشرة الفائزين الأوائل لأنه لم يتخلف عن بلادة وتقصير، كان محاطا بأحوال بائسة قد مرت عليه السنوات الأربع الكاملة لم يملك كتابا ما، لم يكن لديه مبالغ كثيرة حتى يشتري الكتب الدراسية والكتب اللازمة قراءتها، تصادف أن وجد شرح النووي لصحيح المسلم بنصف جنيه وذلك مقسطا على عشرة شهور وهز رأسه إذنا، واستبقى ذلك المبلغ من النفقة التي كان ينفقها على طعامه اليومي والملابس الذي يلبسها دون أن يشعر به أحد وكان يأخذ من دكان أبيه بعض الأوراق التي تلف بها السلع حتى يكتب فيها ما يرى ضرورة كتابته، وفي بعض الأحيان يجالس بعض زملائه في الصف الذين يمتلكون الكتب ليستفيد بما فيها من أحكام ومعلومات و يستذكر ما نسي من دروس وقضايا وحقائق.[21] شرع الدراسة مع أصدقائه وزملائه في المعهد ملتحقا بالسنة الرابعة وما ضاع من عمره ما كان مفروضا ضياعه بسبب فصله عن المعهد وعندما تفاقمت أزمات والده المالية بدأ يدرس بعض الأطفال الصغار مقابل أجور تافهة وحاول البقاء في المعهد بما كان يكتسبه من قريشات عديدة حتى حصل على الشهادة الثانوية الأخيرة، وكان محمد الغزالي من السعداء الذين أحرزوا هذه الشهادة لأن الأنصبة الدراسية قد حذف منها كثيرا من المواد الرياضية والعلمية والإنسانية العظيمة التكلفة.

---

[18] عبد الرحمان بن محمد بن سليمان المدعو بشيخى زاده المتوفى 1078 هـ.

[19] عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى، المتوفى سنة 710 هـ.

[20] أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى المتوفى 982 هـ.

[21]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف-172

استفاد كثيرا من دراسته في المعهد خلال عامين 1928-1937 للميلاد، وقد أصاب رصيدا كبيرا من علوم اللغة والأدب، بعدما استكمل دراسته في المعهد الأزهري بالإسكندرية طوى مسافته العلمية نحو جامع الأزهر والتحق بكلية أصول الدين عام 1938م، ووجد زملائه القادمين من المعهد بالإسكندرية المتفوقين من ذوي المواهب الحسنة ولكن انكمش عددهم عندما كان في المعهد كان عدد الطلبة يبلغ إلى مائتين وعندما جلس في اختبار الثانوية العامة لم يبقوا إلا السبعين، تخلف عدد كبير في أريافهم لم يكملوا دراساتهم بأسباب كثيرة معروفة وغير معروفة، وكانت المناهج في الكلية الأزهرية مناهج موضوعة تكفي، لو تمتعت بالأساتذة ذوي المواهب الحسنة لأخرجت دعاة وعباقرة ومدرسين من طراز رفيع، وأن المذاهب الفقهية الثلاثة كانت تدرس بين الطلاب لكن ذلك لم يكن له أثر في تحزب وانقسام، كانت آراء السلف والخلف في أسماء الله وصفاته تعرض بحياد تام ورحابة صدر، وإلى جانب العلوم التقليدية تشمل مقررات الكلية دراسة واسعة للفلسفة في مختلف العصور وتوسعا آخر في علم النفس والأخلاق، يشكو محمد الغزالي ضعف صلة المدرسين بالطلاب، كانت العلاقة بينهم وبين الطلاب رسمية لا يرى الطلاب فيهم آباء يحنون عليهم ويهتمون بقضاياهم، فلم يبق أمامهم بد إلا أن يمهدوا مستقبلهم بأنفسهم، لأن هذه العلاقة الواهية قد تؤدي إلى سوء الأدب مع شيوخهم وأساتذتهم، يسوق محمد الغزالي في هذا الصدد حادثا وذلك أن الطلاب

ذهبوا إلى مكتب الشيخ الأحمدي الظواهري شيخ جامع الأزهر غاضبين حطموه بالعصى لووجدوا الشسخ ولتركوه كومة عظام.[22]

ومما لاشك فيه أن الاستعمار أدرك خطورة التعليم الديني ودوره الرائع في استبقاء الروح الإسلامية، وبدأ يدبر له أسوأ المكايد والدسائس عن طريق عملائه في البلدان العربية، وأصبح الطلاب الذين درسوا العلوم الإسلامية لا يجدون وظيفة يرتزقون بها ولاحظوا مستقبلهم في مهب الريح ومصيرهم في الشوارع.

**البحث عن المعاش**

تخرج محمد الغزالي في الكلية الأزهرية عام 1941 للميلاد وتخصص في الدعوة والإرشاد، وأمضى فيه عامين حتى حصل على "الشهادة العالمية مع إجازة الدعوة والإرشاد" وأن الشهادة العالمية أتاحت له أن يجد وظيفة يرتزق منها، ولكن حصول الخريج الأزهري على وظيفة كان شيئا بعيد المنال تلك الأيام وهذا من أجل خطة دبرتها المحكمة لتخريب الأزهر، و ينصرف الطلاب عن التعليم الديني ويزهدوا فيه، وتصادف أن أعلنت وزارة الأوقاف عن الوظائف الشاغرة وعقدت مسابقة بين الخريجين الأزهريين حتى يشتغلوا وظائف الإمامة والخطابة والتدريس الفارغة بمساجدها، وجلس محمد الغزالى في اختبار المسابقة مع المئات من الخرجين الأزهريين العاطلين من العمل وكانت كتابية وشفوية، ودارت بينه وبين أعضاء اللجنة مجادلة حادة، وذلك أن أحد الأعضاء يسأله في

[22]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ167

القرآن الكريم وكان محمد الغزالي يجيد حفظه وأجاب عن كل ما سئل عنه، والرجل يتابعه في مصحف كبير أمامه، يتقلب به من صحفة إلى صفحة وهو يمضي في التلاوة وأوقفه في آية فوقف ثم مد بصره إلى المصحف الذي كان معه، وزجره الممتحن وقال: ماذا تفعل؟ فأجاب محمد الغزالي: أريد أن أستوثق هل في الواقع أنا أخطأت؟ فأنا أجيد الحفظ.

سبه رئيس اللجنة - وكان الأستاذ أحمد حسين أخا الدكتور طه حسني، وهو يومذاك يتقلد منصب الفتيا في وزارة الأوقاف، وجائت نوبة الأستاذ أمين الخولي طلبه منه شرح آيات قرآنية قرأها وأجابه فخطأه وقدم رأيا آخر فخطأه فقال له وهو يملك أعصابه وددت لو أعرف الحق، قد قدمت كل ما أعرفه! قال: ذاك في قاعة الدرس لا في لجنة الاختبار. تدخل في الأمر مدير المساجد الشيخ سيد زهران قائلا للشيخ أمين الخولي لقد اعترف الطالب بعجزه، فدله على الجواب فأجاب مرة أخرى ليس هنا. وعاد دور مدير المساجد وطلب منه إلقاء الخطبة التي أعدها فقال محمد الغزالي اقترح أي موضوع تريده أتحدث فيه فاقترح له موضوعا تحدث فيه وأفاض وانصرف، وبعد أسبوعين طلعت النتيجة وكان الخامس بين الفائزين[23]. تقلد منصب الإمامة والخطابة والتدريس وارتزق منها مقتبل شبابه كان عمله في مسجد يقع في قلب القاهرة.

[23]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ176

# الفصل الثاني

## محمد الغزالي في مجال الدعوة والإرشاد

يعتقد محمد الغزالي أن يكون لدى الداعي معرفة واسعة وهو يقول: "المعروف عن الداعي أن يكون لديه من كل روضة زهرة، وأرى أن الدعاة الكبار قد يكونون أقدر من الإخصائيين في فنونهم الأصلية ألا ترى أبا حامد الغزالي كتب "تهافت الفلاسفة" فكان يطر من عقله الكبير على أرسطو وجماعته، فيكشف مواقع القصور في نظرهم والخلل في قولهم".[24]

يرى محمد الغزالي أن الدعوة الإسلامية ليست ثرثرة كما أصبحت عند الكثيرين من الوعاظ، وليس من مسؤولية الواعظ أن يزهد الناس في الدنيا وملذاتها كما يحدث في أيامنا هذه أن بعض المنظمات الإسلامية الدينية تحاول جاهدة في إسقاط منزلة التعليم لدى الطلاب المسلمين فارقة فيه بين التعليم الديني والدنيوي، شارحة أن التعليم الدنيوي لا ينفع في العقبى شيئا، بل أن من مسؤوليته قبل كل شيئ أن يترك في الناس فكرا يستطيعون به على ميز الخبيث من الطيب والخطأ من الصواب. إن دور المسجد في المجتمع الإسلامي عظيمة الخطر، إنه يصنع الفكر والضمير، ويطهر الأبدان وينظم صفوف المسلمين ويوطد العلاقات الإنسانية أساسها على الحب والمودة والإخاء ولكن يلتزم للإمام أن يحاول كل المحاولة في ربط الناس بالمسجد، وقد قام محمد الغزالي بإنشاء

---

[24]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن صفـ175

جمعية أهلية تتعاون مع الإمام في تحسين أدائه المادي والروحي كليهما، لكن سرعان قد اتهم أنه وأعوانه يحاولون إعادة جماعة الإخوان المسلمين في ظل هذه الجمعية، فغير إسم "الجمعية" إلى "مجلس المسجد" والمسجد الذي اشتغل فيه محمد الغزالي الإمامة والخطابة يرتاده الناس طول النهار وزلفا من الليل وليس ذلك من العجب أن المصريين شعب مرهف الحس من الناحية الدينية، عندما يجدون واعظا جادا يلقي موضوعه بأمانة ويجيد شرحه يحلقون حوله يصغون أسماعهم إليه، لم يمض عليه شهر كامل حتى ازدحم الناس ميدان العتبة يفرش بالحصير تستخدم المكبرات، عندما تخرج محمد الغزالي في الكلية الأزهرية يزعم أن لديه علما غزيرا، ولكن ما لبث أن اكتشف جهله وقصور علمه وقلة بضاعته العلمية خلال أسابيع. لقد كان مغترا بعدد من المحاضرات والدروس يتقنه ويتنقل به في أرجاء البلاد. أما الآن أمامه منبر واحد في مسجد واحد يأتي إليه كل قاص ودان، يلزم عليه أن يلقي كل يوم درسا جديدا، وكل أسبوع خطبة جديدة، وعاد من جديد في هذا المسجد تلميذا ولازم عميد الكلية الأزهرية ملازمة الطالب لمدرسه إذا وجده يتجه إلى مجلس الأزهر الأعلى يحبسه يطلب منه حلولا لمشكلات ومعضلات علمية فإذا تبرم الشيخ لطول مكوثه له يقول له: أنتم أعطيتموني الشهادة على جهل، فتداركوا ما فعلتم، يضحك ويصبر![25].

[25]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ177

وبعد كل ما ألم بجماعة الإخوان، ونزل بها من المشاكل، قرر محمد الغزالي لنفسه أن يتفرد بالعمل الدعوي على النحو الأحسن والطريقة المثلى، ولم يلبث أن وجد أمامه مجالين فسيحين: مجال التأليف، وقد أعطاه القبول فيه، وميدان المساجد، وهو قدير على إلقاء الدروس والخطب، ولعب دورا ملموسا في توجيه ألوف من الأئمة إلى الغاية الأرشد، والنهج الأمثل.

## محمد الغزالي وصلته بجماعة الإخوان والمرشد العام

في العام الأخير من قيامه في الاسكندرية لقي بالمرشد العام الإمام حسن البنا، وكان محمد الغزالي جالسا في مسجد يسمى بـ"مسجد عبد الرحمان بن هرمز" بحي رأس التين يقرأ ورده القرآني وهو ينتظر حتى يصلي المغرب ويخرج، فإذا وجد رجلا يقوم بعد الصلاة يلقي درسا جامعا يتصف بالوضوح والتأثير الصادق، تعهد من نفس اليوم أن يتبعه ويسير معه على دربه لخدمة الإسلام والأمة المسلمة. لقد برز تيار إخوان المسلمين لم يبال بها المسؤولون وأولو الأمر أول الأمر، لقد ابتدأ هين الشأن لا يثير قلقا ولا خوفا ولا يسبب دهشة ولا رعبا لم يلبث حتى تفاقم شأنه أضعافا كثيرة خلال بضع سنوات وذلك لعاملين رئيسين:

**أولهما:** الطبيعة الدينية للأمة المصرية وشغفها وولائها المثالي وتفاديها للإسلام وتسليم مقاليدها كلها لمن يثق في صلاحه وتقواه.

**والثاني:** عبقرية الإمام حسن البنا الذي طوق منصب المرشد العام، وما منحه الله من المواهب في البيان والشرح والتجميع والتنسيق جعلته هذه

المواهب كلها ينفذ إلى مرامه ومقصده في الأوضاع الصعبة والمعضلة. تصادف أن الغزو الثقافي الغربي كشف عن مقاصده وأدرك أن الشعب المصري أنه ستحمل خسارة فادحة في دينها ودنياها إذا بقيت مسكينة له، وماذا أن يحمى القرآن الكريم في كلية الآداب في القاهرة، ويساء إلى الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في تمثيلية تعرض بدار الأوبرا[26].

وكان من المستحيل أن تبقى الكليات والجامعات بعيدة من هذه الظروف والأوضاع، وكان من اليسير أن تنشئ قسما لجامعة إخوان المسلمين بالكليات والجامعات إذ كانت أول الأمر هين الشأن. اجتمعت عناصر راسخة العقيدة ترغب في تزكية الأخلاق ونصرة الإسلام وإعلاء رأيته وكلمته، وكان محمد الغزالي ثالث الرجال في هذا التشكيل، غير أنه كان يرتاد على المركز العام يوميا عندما كان في مسجد "العتبة الخضراء".

لم يخف على سماحة المرشد العام حسن البنا هذا الدوام الذي يمده روح ناشط، لم يفت من المركز العام استخدام هذه الطاقات الشابة الطاهرة وعقدت لها رحلات دعوية في الأقاليم ووفرت لها ميدان العمل في مختلف الشعب وشتى المساجد.

بدأ هذا العمل المستمر يطور ملكة خطابية للطلاب ويصقل معادنهم العلمية، وإن محمد الغزالي قد وقع له شيئ سار في أثنائه الدراسية مع المرشد العام حسن البنا كان له أثر عظيم في حياته، وكان ذلك أن محمد

[26]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف-168.

الغزالي كتب يوما مقالا وجهه إلى مجلة الإخوان وأراد نشره فلم يتم نشره وساء ظنه بجدارته العلمية وترك الكتابة.

لم يمض إلا أيام قلائل حتى وصلته رسالة بالبريد من المرشد العام أخبره فيها: أنه دخل إدارة المجلة وساءل رئيس التحرير الأستاذ صالح عمشاوي: "لماذا لا أقرأ للإخوان مقالات جيدة؟ وما السبب في ضعف المجلة؟ ومد يده-غير معتمد-إلى ملف المحفوظات المنتفخ فيها بالمقالات التي رئي عدم نشرها، ووقع بصره على مقالي! غضب غضبا شديدا لإهماله، وأمر بجعله "افتتاحية" العدد المقبل"[27].

وأرسل إلى محمد الغزالي رسالة شخصية ذكر فيها: "أخي العزيز الشيخ محمد الغزالي، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته- قرأت مقالك " الإخوان المسلمون والأحزاب" فطربت لعبارته الجزلة، ومعانيه الدقيقة، وأدبه العف الرصين، هكذا يجب أن تكتبوا أيها الإخوان المسلمون. أكتب دائما وروح القدس يؤيدك والله معك. أخوك حسن البنا، المرشد العام للإخوان المسلمين".[28]

وأصبح محمد الغزالي بعد ذلك من كتاب الجماعة الأوائل، وتفائل بأن الله سيوفقه الرشد فيما يكتب.

قد رشح محمد الغزالي إسمه بين عدد جم من المرشحين للتدريب، وقدمت قائمة الأسماء إلى المرشد العام فلم يوافق على تجنيده. وقال له المسؤول

[27] مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف- 169.

[28] مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف- 169.

عن التجنيد هذا رجل بالغ في الإخلاص فأجابه المرشد: أنا أعرف ذلك من قبلك ولكن نظام العسكر يحتاج إلى طاعة مطلقة. ومحمد الغزالي يرفع الاعتراضات على ما لا يسوغه من الأوامر، ويقول لك: ما السبب؟ وأين الدليل؟ وفوق ذلك كله هو لا يجيد الكتمان، إذا امتعض بدا امتعاضه على وجهه، والسرية المطلقة أساس هذا النظام العسكري.

ودعوه لما هو يصلح له. عندما وصله هذا الخبر أصبح كئيب الخاطر لمدة، تصادف أن جاءه فضيلة الأستاذ محمد فريد عبد الخالق وهو من أوثق رجال المركز العام، وقد كان يزوره في بيته، وجد على الجدار شيئا جذب انتباهه، وقال متعجبا: ما هذا؟ وكان بالجدار إطار مثبت فيه صورة محمد الغزالي بملابس التدريب العسكرية وإزاءها كتاب مرفق به قد وجه إليه من المرشد العام للجماعة أثنى عليه فيه ودعا بخير وبركة، قال له محمد الغزالي: هذا أثر أعتز به! قال له محمد فريد عبد الخالق: أ تحب المرشد العام إلى هذا المدى؟ فأجاب بكل براءة: نعم![29].

وكان محمد الغزالي من الرجال الذين لا يعميهم الاعتقاد والثقة في منظمة وجماعة وشخصية مهما كانت الشخصية والجماعة على ذروة الكمال والتقى بل كان يوجه أسئلة ويعترض ويرفض من الأمور ما لا تسيغه، هذا ما فعله في مناسبات وجلسات الجماعة المختلفة وأدى ذلك إلى أن أناسا جعلوا يشكون في ولائه للجماعة والدعوة الإسلامية. على جانب أن المرشد العام حسن البنا من الرجال الأفذاذ لا تعمل فيه تعليقات المبغضين ولا

[29]- مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ171.

نماء الحاسدين وأن ذلك ترك أثرا بالغا في محمد الغزالي جعل يحاسب نفسه فيما يقول وينقد.

يقول محمد الغزالي في شخصية الإمام المرشد العام حسن البنا : "لقد مشيت وراء الرجل الذي عرفته في طريق الحق وعبادة الله، لم يكن حسن البنا محترف سياسة، ولا صاحب دهاء وحيل، وإنما كان ربانيا عامر القلب بذكر الله، يجمع الشباب والشيب في الصلوات الخاشعة والتلاوة الباكية، والخطابة التي ترفع مستمعيها إلى مستوى رفيع من الروحانية والتجرد وحب العلم لله والذود عن دينه".[30]

كان يومذاك في مصر جماعتان تقودان البلاد المصرية المسلمة جماعة لا تعرف الوضع الديني على صورته الكاملة كان يسود عليها المفهوم الغربي لمعنى الدين وذلك أن الدين مسئلة شخصية لا علاقة لها بالدولة وسياسة البلاد دائرتها تنحصر في الصلوات والعبادات والأخلاق، وبعض المسالك الخاصة، أما أنه تشريع شامل يمثل دورا في الروابط بين الإنسان والإنسان وينفذ تعليماته في شؤون الدولة والاقتصاد والتجارة فذاك شيئ لا مجال له، جماعة أخرى تمردت على دينه كله، عقائده وشرائعه وسارت مع ملاحدة الغرب حذوا بحذو ونعلا بنعل، كلا الجماعتين ضاقتا بجاعمة الإخوان المسلمين ودعوتهم وقد رفضتاها رفضا باتا تشنان الحرب القاسية عليها.

[30] مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صفـ172.

شكل محمد الغزالي اتحادا للطلاب لإعادة الشريعة الإسلامية، يزاحم اتحادات الطلاب الأخرى ووجد الأرض ممهدة، لم يلبث أن اكتسح اتحادات الطلاب الأخرى وأخذ يوزع المنشورات بين الطلاب حتى يبلغ الغاية.

أصبحت جماعة الإخوان المسلمين منحلة بحكم القانون، غير أن أعضاء الجماعة رفضوا أن يعترفوا بهذا الحكم وانتشروا في أنحاء البلاد وجعلوا ينشرون رسالتهم الإسلامية بلباقة، شرع التيار الإسلامي ارتفع مده و تضاعف رفده، كانت المصائب قد ضاقت بكثير من أعضاء الإخوان، لكن طبيعة الشعب المصري الديني والضمان الذي كتب الله لدينه جعل علم الإسلام يرفرف في السماء. والذي زاد في حركة جماعة الإخوان المسلمين مددا في الدعوة الإسلامية في مصر، تصادف أن زار الداعية الكبير العلامة أبو الحسن على الندوي وصار ينطلق في المدن المصرية مع أعضاء الجماعة يدعو إلى الله، و يرجع الناس إلى الصراط المستقيم، والتوافق الفكري والأسلوب الدعوي قد جمع بين الداعية والجماعة في أغلب النظريات والأحكام فكان موضع ترحيب وسرور.

بكونه داعيا مسلما يشعر محمد الغزالي أن الدعوة الإسلامية والداعي الإسلامي يحتاج إلى الحرية حتى يؤدي واجبه، وينجح في رسالته، يوم يفقد حريته يفقد واجبه ورسالته حتى وجوده، كذلك الإسلام يحتاج إلى الحرية والفضاء الحر حتى ينتشر و ينتصر، ويعتقد لو يشعر أحد بأن هذه

الحرية تؤدي إلى الفشل ويلحق الضرر بالدعوة الإسلامية فعليه أن يحترف شيئا آخر غير الدعوة الإسلامية.

بعد مقتل المرشد العام الإمام حسن البنا حلت جماعة الإخوان في ظل استبداد مسعور وصودرت أموالها وألقي القبض على أعضائها من أعداد بالغة وقررت محاكمة حكومية شنق ستة من أعضاء الجماعة بمن فيهم الأستاذ عبد القادر عودة، والشيخ محمد فرغلى وآخرون.[31] واستطاع الأستاذ صالح عمشاوي وكيل جماعة الإخوان المسلمين على عهد الإمام الشهيد أن يفتح مقرا لهذا النشاط الدعوي الإسلامي في بيته بحي "الظاهر"، وبدأ يجمع أشتات جماعة الإخوان المسلمين من أرجاء البلاد من هنا وهناك. ولم يلبث أن انقلب هذا المركز المؤقت إلى مركز عام ويلقى فيه دروس الثلاثاء على أعضاء الجماعة كما كان يفعل الإمام حسن البنا و يأتي محامو الجماعة يجتمعون فيه ليبحثوا قضايا الجماعة، وكان وكيل الجماعة يقوم مقام المرشد في غيابه إلى أن يتم انتخابه وغيره من أعضاء الجماعة حتى يحتل مقام المرشد العام الجديد مقام الإمام الشهيد[32].

## تلامذة محمد الغزالي

من تلامذته العبقريين "العلامة يوسف القرضاوي" وهو من كبار المفكرين وفقهاء أهل السنة، من خريجي الأزهر البارزين، ولد عام 1926 للميلاد، وما بلغ التاسعة من عمره حتى استظهر القرآن الكريم، ثم التحق

[31] مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف-190.

[32] - مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: عنوان المقال: مقتطفات من مذكرات الشيخ- قصة حياة، محمد الغزالي، العدد السابع، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، سبتمبر عام 1996م، صف-187.

بجامعة الأزهر لمواصلة رحلته العلمية، اعتقل مرتين بتهمة التعاون مع حركة الإخوان المسلمين، و بعد مما أفرج عن السجن عمل في ميدان التدريس في الجامعة نفسها التي تخرج فيها وتتلمذ على أساتذتها، وشرع في عمل التأليف والتصنيف. قد ألف يوسف القرضاوي ما يقارب ثمان وسبعين كتابا في موضوعات مختلفة كالعقيدة والقرآن والسنة والفقه والأصول والاقتصاد الإسلامي والتربية الإسلامية والوحدة والأدب والشعر.

ومن تلاميذه الممتازين أيضا "الشيخ حسين حسن الطويل" وهو أحد من علماء الأزهر.

## محمد الغزالي والمناصب والجوائز الحكومية

انتدبت وزارة الأوقاف والشؤون الخيرية بمصر عام 1943 للميلاد الشيخ الغزالي إماما وخطيبا لجامع العتبة الخضراء في القاهرة.

ثم تم تعيينه بعد ذلك وكيل وزارة الأوقاف لشؤون الدعوة الإسلامية، فأشرف من خلاله على شؤون المساجد بمصر، ولم يكن يخشى أحدا من المسؤولين فقد كان همه إعلاء كلمة الله فحسب.

تقلد محمد الغزالي مناصب عديدة، وألقى محاضرات في جامعات السعودية وقطر والأزهر وغيرها من الجامعات في الدول العربية والإسلامية. وحظي قرابة نصف قرن من حياته الفكرية والدعوية والإصلاحية بالاحترام والتقدير والإعجاب وحصل على جائزة الملك فيصل في مجال خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، كما نال أرفع الأوسمة من

موريتانيا والجزائر، وماليزيا حيث منحته حكومة ماليزيا وسامها الأول عام 1996 للميلاد، تقديرا لجهوده في مجال الدعوة الإسلامية وخلعت عليه الحكومة الباكستانية جائزة دولية عام 1990 للميلاد كما كرمته السعودية وقطر والسودان.

## محمد الغزالي في مضمار الخطابة والكتابة

الموهبة التي أعطاها الله للشيخ محمد الغزالي تخدم خطبه، فهو خطيب مفوه يتناول في شكل دائم موضوعا علميا محددا يوضح معالمه وعناصره، ويستدل من كتاب الله الذي يستحضر آياته في كل موضوع كأنها مصحف مفتوح بين يديه ومن سنة رسوله التي قد أكثر القرأة فيها فأحسن قراءتها وفهمها ومن ثم الاحتجاج بها.

وغالبا ما تأتي خطبه مرتبطة بالواقع والوضع الراهن في ذلك الزمان تقوم اعوجاجه وتعالج مشاكله وتسدد مسيره في ضوء تعاليم الإسلام. فالغزالي داعية وناقد اجتماعي بصير، ينفذ ببصيرته إلى وراء الظواهر والأعراض فهو يخطب كما يكتب بعذوبة ورشاقة، إذ أنه قادر على اللغة، خبير لقواعد النحو والصرف لا يلحن ولا يخطئ.

لذا فقد أصبح جماهير المثقفين والشباب مولعين بخطبه، فكانوا ينساقون إليه من أنحاء شتى للاستماع والإفادة. وقد كونت هذه الخطب فيما بعد مدرسة إسلامية في فهم الإسلام، إذ أنها تقدم الدين من ينابيعه الصافية، بعيدا عن التحريف والانتحال، فلا تسكت عن حق، ولا تتكلم بباطل ولا تبيع دينه بالدنيا الدنية.

لا تعتمد خطبه الإثارة في الموضوعات الحساسة بل تعالجها، وتحاول جاهدة أن تقدم الحلول لها. وعلى الرغم من أن محمد الغزالي كان المسؤول عن الدعوة والشؤون في وزارة الثقافة المصرية، فقد كان يقول الحق وإن كان مرا، ولا يخشى في الله لومة لائم، وهذا ما أزعج السلطات، إذ أنها أصبحت خائفة من خطبه، فوصل الأمر إلى أن منع محمد الغزالي من الخطابة في مسجد عمرو.

لم يقتصر دائرة عمل محمد الغزالي كداعية في مجال الخطب التي كان يقدمها في المساجد، فقد كان صاحب قلم رشيق ببلاغته، وجلاء أسلوبه وقوة منطقه.

من قرأ كتب محمد الغزالي اتضح له أنه كاتب مقالة من الطراز الأول، وقد جند قلمه لتوضيح معالم الإسلام، وإظهار حقائقه، والرد على أباطيل خصومه من الداخل، وأعدائه في الخارج، وتفنيد حججه، وإضاءة طريق البعث لأمته، حتى تعرف غايتها، وتستبين طريقها، بين الأضاليل والمضللين، شبهات المبطلين. به يدافع ويهاجم دون أن يعتدي على أحد.

كان في غاية الوضوح، فلا يجد قارئه معاناة في فهمه، والنفوذ إلى فكره، إنه يخاطب بكتاباته الفطرية، ويسعى جاهدة أن يقنع العقول ويحرك القلوب الساكنة، فيسيطر على قارئه بنصاعة الأديب المبدع، ووضوح الداعية المبشع، وله في بيان رسول الله -صلوات الله وسلامه عليه - أسوة حسنة.

لم يكتف بذلك، بل كانت له منابره التي يلقي منها أحاديثه وخطبه، فقد أذيعت له أحاديث كثيرة في أقطار شتى من العالم الإسلامي وذلك من خلال الإذاعة والتلفزيون، وقد أراد من كل ذلك أن ينير العقول بالمفاهيم الإسلامية القويمة، ويزكي الأنفس بالمعاني الربانية، والمثل الأخلاقية الرفيعة. قد ظلت أحاديثه تذاع في السعودية وقطر والكويت والإمارات.

أما في الجزائر فقد كان له حديث أسبوعي مسائي، ينتظره الجزائريون إذ كانوا يجدون فيه معاني جديدة في فهم الإسلام والحياة. ولا يخفى ماكان لهذه الأحاديث من أثر في النفوس، فقد ساهمت في امتداد الصحوة ونموها، ورسوخ جذورها، وعلو فروعها.

أراد محمد الغزالي بكل ذلك أن يقف في وجه الاستعمار، ويكشف دوافعه الطامعة في بلاد المسلمين لنهب ثرواتها وخيراتها. لقد تصدى للقوى المعادية للإسلام، وعمل على كشف عملائها. كما أنه وقف في وجه الصهيونية العالمية التي احتلت أرض النبوات، وهتكت حرمة المقدسات الإسلامية، وشردت السكان الأصيلين من ديارهم بدون حق، وقد كتب في ذلك كتابات كثيرة، من أبرزها ما أصدره بعد النكبة، وهو كتاب "حصاد الغرور" إضافة إلى ذلك قد وقف صامدا في وجه الشيوعية، ومحاولاتها لغزو الديار الإسلامية، وما صنعت في المسلمين، ومن أبرز ما كتبه في معرض دفاعه عن الإسلام مقابل السيول الشيوعية هو "الإسلام في وجه الزحف الأحمر".

لم تتوقف دعوة الشيخ الغزالي عند هذه الحدود، بل تابع هجومه على المادية في الحضارة الغربية، وإباحيتها الجنسية، وعصبيتها العنصرية، ومحاولات سيطرتها على حضارات العالم الأخرى، وإن لم ينكر فيها من عناصر إيجابية، مثل العلم والتكنولوجيا، وحسن الإدارة واحترام حقوق الإنسان خصوصا داخل أوطانها.

ولعل أبرز المعارك التي خاضها محمد الغزالي وأطولها نفسا وأشرسها هي معركته مع العلمانية التي تعارض حاكمية الله لخلقه وسيادة الشريعة على الناس، وعزل الدين عن الحياة والمجتمع، وتحارب الذين يدعون إلى الإسلام، وتعدهم من دعاة الرجعية وأعداء التطور.

كانت معاركه مع المساندين للعلمانية تتصف بالحدة، وتأتي على قدر نفورهم من الإسلام وتنفيرهم للناس منه، وحسبهم من المرتدين باعتبارهم لا يوقرون الله ولا يحترمون كتبه أو رسله، ولا ينقادون لشريعته، يعجب الشيخ من حرصهم على أن يحتفظوا باسم الإسلام، بينما الإسلام منهم براء.

**دعائم الفكر لمحمد الغزالي:** في ضوء ماتقدم من أفكار محمد الغزالي نبرز المرتكزات التي يقوم عليها فكره، أهمها وأولها:

- **القرآن الكريم:** فالقرآن الكريم هو مصدر الشيخ الأول الذي ينهل منه ويغترف، وهو الصاحب الدائم الذي يعايشه تاليا متدبرا،شارحا مفسرا.

❖ **السـنة النبويـة المشـرفة:** وهي مرتكـز ثـان بعـد كتـاب الله، يقتـبس مـن مشـكاة النبـوة، ينهـل مـن معـين الرسـالة، بهـا يوضـح معـاني القـرآن ويفسـر مـدلولاتها، ويفصـل مـا أجملـه وألطفـه، ويعطي الأمثلـة والصـور التطبيقية التي حفلت بها السنة لشرح القرآن وبيانه نظريا وعمليا.

❖ **التـاريخ الإنسـاني العـام والإسـلامي الخـاص:** وقمتـه السـيرة النبويـة، فهـي بدايـة تـاريخ الإسـلام، ونقطـة انطلاقـه. فمحمـد الغزالـي يجيـد قـراءة التـاريخ، ويـدرك وقائعـه الحاسـمة، وأحداثـه الكبـرى، ومراحلـه المتلاحقـة، ويبحـث في التـاريخ الإسـلامي أسـرارا لانتصـار أمتـه، وتفـوق حضـارته، وأسـباب تراجـع هـذه الحضـارة، وتخلـف الأمـة وتمزقهـا، وغلبـة أعـدائها عليهـا، وقـد أجـاد محمـد الغزالي توظيـف هـذا التـاريخ ووقائعـه، ومواقـف أبطالـه في خدمـة دعوتـه وتبليـغ رسـالته إلى خلـق خالقه.

❖ **الثقافـة العامـة الدينيـة والإنسـانية:** اشـتهر بـأن محمـد الغزالي مـن كليـة أصـول الـدين، وهـي كليـةذات الثقافـة الإسـلامية المتنوعـة: التفسـير والحـديث والعقيـدة والملـل والنحـل، والمنطـق والفلسـفة، التصـوف وعلـم الـنفس، والتـاريخ وأصـول الفقـه. وكـان الشـيخ أزهريـا متمكنـا متفوقـا، وأكـد ذلـك بدراسـته في تخصصـه بالـدعوة والإرشـاد، ثـم أضـاف علـى ذلـك قراءتـه الخاصـة طـوال حياتـه في مختلـف حقـول المعـارف، حيـث بنـى ثقافتـه أدبيـة ولغويـة عميقـة أساسهادراسـة محمد الغزالي الأزهرية.

❖ **الواقـــع وفقهـــه:** لـم يكتـف محمـد الغزالي ببنـاء ثقافـة نظريـة متكاملـة، بـل بنى ثقافـة واقعيـة عمليـة عـن طريـق المعايشـة والاطـلاع، سـواء كـان واقـــع الأمـــة المســـلمة أو واقـــع القـــوى المعاديـــة لهـــا، الواقـــع المحلـــي المصري، الواقع الإقليمي العربي، والواقع الإسلامي، والواقع الدولي.

لـم يكـن هـم محمـد الغزالي مرتبطـا بالجانـب المـادي أوالحسـي فحسـب، بـل كـان همـه أيضـا يصـل إلـى مـا وراء المـادي والحسـي مـن الأفكـار والأخـــلاق والعقائـــد والتقاليـــد- فهـي حســـب رأيـــه- تصـــنع الإنســـان والمجتمعات وتميز بعضها عن بعض.

وإذا كـان معروفـا أن محمـد الغزالـي لـم يهـادن أحـدا مـن المنـافقين بصـرف النظـر عـن كونـه مسـلما أو غيـر مسـلم، فقـد عـرف في مـا عـرف عنـه اشـتباكه مـع بعـض دعـاة السـلف في كثيـر ممـا كتبـه في السـنين الأخيـرة، ووقـف في الصف المقابل لهم في أغلب ما يثيرونه، ويجعلونه من ركائز دعوتهم.

في الواقـع أن محمـد الغزالـي مثـل مرشـده حسـن البنـا رجـل سـلفي، إذ أن السـلفية التي يـؤمن بهـا هي مـن خصـائص الـدعوة أوالمدرسـة التي أمـن بهـا، وانتمى إليها، وأتعب نفسه في نصرتها.

و يفضل محمد الغزالي أن يتم تعليم العقائد على أساسين:

**الأولـــى:** القـرآن الكـريم الـذي يخاطـب الفطـرة السـليمة والعقـول البشـرية الرشـيدة، ويلفـت الأنظـار إلـى الكـون والإنسـان والتـاريخ، ليكـون مسـرحا للتفكر، ويبتعد عن الألغاز والتعمية والتعقيد كل البعد.

**الثانيـة:** السـنة النبويـة، ومـا كشـفت مـن آيـات الله في كونـه، ومـن بـدائع صنع الله في خلقه.

يـؤمن الغزالي بالسـلفية التي كـان عليهـا الصـحابة والتـابعون، فهي–حسـب رأيـه- تـؤدي إلى فهـم شـامل للإسـلام، وإيمـان حي وصـادق بمنزلـه ومبلغـه، كمـا تسـاعد على تطبيـق مـا أتى بـه مـن أحكـام، وتلـزم بمـا هـدى إليـه مـن أخـلاق، وتـدعو إليـه على بصـيرة وحكمـة، وموعظـة حسـنة، وتحـث على الجهـاد في سبيله بالنفس والمال واللسان.

يـرفض محمـد الغزالي الـرأي ويـرى أن السـلفية هي جماعـة مـن النـاس تسـكن بقاعـا مـن جزيـرة العـرب، وتحيـا على نحـو اجتمـاعي معـين كمـا أنـه يـرفض الانتماء إليها رفضا تاما.

السـلفية كمـا يراهـا، نزعـة عقليـة وعاطفيـة تـرتبط بخيـر القـرون، وتؤصـل ولاءهـا لكتـاب الله وسـنة رسـوله، وتحشـد جهـود المسـلمين الماديـة والأدبيـة لإعـلاء كلمـة الله دون أن تنظـر إلى العـرق أوالـلون، وإن فكرتهـا الإسـلام، وهـو الإسلام الشامل والخالد، المتجاوب مع الفطرة والقائم على العقل السليم.

وأمـا السـلفية السـائدة والتي يـرى فيهـا بعـض النـاس أنهـا مدرسـة الـنص فهي خاطئـة ولا تمـت إلـى الإسـلام بصـلة، وهـي تحمـل فكـرا إقطاعيـا عنصـريا ضيقا.

إذ يرى محمد الغزالي أن العالم الإسلامي متخلف حضاريا، ومضطرب أخلاقيا واجتماعيا وسياسيا، بينه وبين الأمم القائدة الصاعدة بون شاسع. فإنه يرى الحل في فقهاء من طراز خاص.

يرى الدكتور يوسف القرضاوي الدور الذي قام به محمد الغزالي في تلك الفترة دورا بارزا فيقول: "لقد كانت فترة الستينات فترة صعبة في تاريخ مصر، وكان الصوت المطالب بالحرية وقتها يلقي حتفه، هنا لم نسمع إلا صوت الغزالي، وهو يدعو إلى الله، وكان الشمعة الهادية في تلك الفترة الحالكة".[33]

فقد كان محمد الغزالي يبذل جهودا كبيرة من أجل وعظ الناس وإرشادهم، خصوصا في شهر رمضان المبارك.

يقول الشيخ محمد شبلى حول مثابرة الغزالي في الدعوة الإسلامية : "قليل من الناس يعرف أن محمد الغزالي كان يخرج من عمله في عصر الخميس، فإذا هو في العشاء بالمينا يحاضر بالناس، وإذا هو في صلاة الجمعة يخطب وهو في منفلوط، وفي العصر يحاضر بأسيوط، وبعد العشاء يحاضر بسوهاج، ثم يعود أدراجه، فإذا هو في الصباح الباكر في عمله بالقاهرة قبل إخوانه الموظفين".[34]

لم يغفل محمد الغزالي عن مهمة التبليغ في البلدان الإسلامية الأخرى، وقد سافر إلى بلدان متعددة لأداء هذه المهمة، فقد زار المدينة المنورة

[33]- العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي، فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، عام 1996م، صفـ189.

[34]- العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي، فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، عام 1996م، صفـ186

والخرطوم، وقد آلمه مارآه من شيوع المظاهر الغربية في أوساط هذه المجتمعات في البلدان الإسلامية.

## محمد الغزالي في مضمار الصحافة

لم يكتف محمد الغزالي بالإذاعة والتلفزيون لنشر خطبه، أو منابر المساجد بل خاض ميدان الصحافة أيضا، وكانت مقالاته التي تنشرها الصحف، تتناول مواضيع إسلامية متنوعة، يكتبها ببيان ساحر وأسلوب أدبي رفيع حيث تمتعت بإقبال شعبي واسع وبالخصوص في أوساط الشباب.

بدأ محمد الغزالي عمله الصحافي حين كتب لمجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية، وكان له باب ثابت، تحت عنوان "خواطر حرة" وبعد أن اتسع نشاط حركة الإخوان المسلمين، ومواجهتها للحكومة، أغلقت المجلة، فانتقل إلى مجلة "المباحث"، ثم إلى مجلة "الدعوة" كما كانت له صلة وطيدة مع مجلات أخرى مثل "لواء الإسلام" و "هذا ديننا" و "المسلمون" وكذلك مجلة "الحق المر".

وعندما أصدر سيد قطب المجلة السياسية الاجتماعية "الفكر الجديد" كان محمد الغزالي سباقا إليها وأحد كتابها، ولم تكن تدع قضية من قضايا العصر إلا كتب فيها، وكان له موقف منها، وصدرت من قلمه الرشيق مقالة فيها، وقد أثارت مقالاته الثورية والحماسية في الصحف والمجلات المصرية غضب الحكومة وعملاء الغرب ومولعي الحضارة الغربية. عرف محمد الغزالي بنقده اللاذع للصحفيين المصريين الذين

يهاجمون المقدسات الدينية ومنها: الصلاة، والصوم، والحجاب وغيرذلك واصفا إياهم بالأمريكيين: وقال: "مما لا شك فيه أن تحقير الإسلام، وخذلان أهله وتقديس الديانات الأخرى، وإكبار سدنتها، إنما هي خطة تعمل لها أقلام معينة، وتساندها الدول التي تقيم للمؤسسات التبشيرية وتعيين موظفيها"[35].

هذا هو محمد الغزالي لا يكل ولا يعرف تعبا في سبيل الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف.

[35]- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م، صفـ174.

# الفصل الثالث

## محمد الغزالي ورحلاته في مختلف البلاد وآرائه في الوحدة الإسلامية

### رحلات محمد الغزالي

بعد أن برز خلاف بين محمد الغزالي وحكومة أنور السادات، شد محمد الغزالي رحاله إلى المملكة العربية السعودية، ومن ثم انتقل إلى قطر، وهناك انكب على التأليف والتدريس، وسافر إلى الجزائر نظرا للظروف الحساسة التي كانت تمر بها، فقد عرض الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد على محمد الغزالي العمل في الجزائر، وذلك في ضوء حاجة الحركة الإسلامية إلى الترشيد والتوجيه ولاسيما أن الجزائر خارجة لتوها من الانتداب الفرنسي والاستعمار الغاشم.

وقال الشاذلي بن جديد لمحمد الغزالي: "إن الحركة الإسلامية في الجزائر تحتاج لترشيد رأي، وأعلم أن العمل في قطر أكثر مالا، ولكن الجزائر تحتاج إلى الإسلام الصحيح دون تشويش، وأود لو أنشئت في الجزائر جامعة إسلامية على غرار جامعة القاهرة"[36].

استجاب له محمد الغزالي تاركا العمل في قطر، بعد أن خدم الدعوة فيها خمسة أعوام، وبدأ رحلة جديدة إلى الجزائر، وبالفعل تم إنشاء جامعة الأمير عبد القادر الجزائري، وعين محمد الغزالي مشرفا عليها.

---

[36]- العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي، فتحي ملكاوي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، عام 1996م، صفـ192.

وأتاح التلفزيون الجزائري لمحمد الغزالي ساعات كثيرة، ومواعيد أسبوعية ثابتة، يلقي فيها كلمة الإسلام جلية نقية، ولا شك في أن النهضة التي حصلت لدى شباب الجزائر بعد سنوات من ذلك لم تكن بعيدة من تأثير محاضرات محمد الغزالي.

لقد استطاع محمد الغزالي خلال المدة القصيرة التي عمل فيها بالجزائر أن يخدم الإسلام والمسلمين خدمة جليلة، وقد حصل على أرفع وسام فيها لقاء الاعتراف بجميله وعرفانه تجاه الشعب الجزائري المسلم وشباب الجزائر.

## رحلته إلى إيران

أحدث انتصار الثورة الإسلامية في إيران تيارا عارما في البلدان الإسلامية يدعوها إلى الإسلام.

استطاعت إيران تكوين نموذج مناسب للحكومة الدينية، وأصبح هذا النموذج مثالا يقتدى به في أرجاء العالم الإسلامي، وكثيرا ما عبر المثقفون في البلدان الإسلامية عن حبهم لإيران معتبرين إياها أملا للبلدان الإسلامية الأخرى.

إن المحبة العارمة التي يحملها محمد الغزالي تجاه إيران دفعته إلى السفر إلى هذا البلد في عام 1985 للميلاد، بدعوة من "أحمد آية الله جنتي"[37] للمشاركة في مؤتمر الفكر الإسلامي.

وقد قدم محمد الغزالي في هذا المؤتمر مقالا بعنوان "رسالة خير الأمم" وعرض فيه الإطار الكامل لأفكاره الإصلاحية.

## الوحدة عند محمد الغزالي

، يعتبر محمد الغزالي أحد المفكرين العاملين الجاهدين في سبيل الوحدة الإسلامية والحاملين لواءها عاليا في القرن العشرين. فهو يرى أن الإسلام دين الوحدة، إذ أنه استطاع في مقتبل ظهوره توحيد شمل جميع القبائل والشعوب العربية والأعجمية المتحاربة والمتناحرة، وشيد أكبر حضارة إنسانية وإسلامية بعد ما دفن العداوة القبلية الغارقة في القدم. ولكن من الأسف الشديد أن بعض الخلافات بذرت بذور الفرقة والكراهية بين المسلمين وشتت شملهم ومزقت جمعهم، وكانت النتيجة أن الأمة الإسلامية تحزبت وتشرذمت بين أحزاب وجماعات متباغضة متنافرة.

## الوطن الحقيقي هو الإسلام

لم يكن محمد الغزالي يؤمن بالحدود الجغرافية المختلقة من قبل الوطنية الزائفة بين البلدان الإسلامية، بل كان يؤمن بأفق وحدوي أبعد مدى، حسب رأيه أن البلد الإسلامي الكبير هو البلد حيث يعيش المسلمون

[37] "أحمد جنتى" أحد من علماء الدين الإرانيين والساسة البارزين، تولى منصب قضاة محكمة الثورة التي قامت في الإيران، وُلد عام 1927م.

ويعمر، وهو يقول:"العناية بوطننا القريب في وادي النيل، والعناية بوطننا الكبير أرض العروبة كلها، والعناية بوطننا الأكبر في الدائرة الممتدة التي تضم المسلمين جميعا، تلك أصول نتقيد بها، ويجعلنا عقل وفكر واحد، يقربان قلوبنا بعضها من بعض"[38].

## نقده اللاذع للقومية العربية

يعتبر محمد الغزالي أن الوحدة العربية التي تعبد التراب هي الوثنية الجديدة يحاول من خلالها أعداء الإسلام الماكرين أن ينسى المسلمون الإسلام ويتحول الكيان الإسلامي إلى سبعين جنسيات، وكل جنسية تعبد ترابها أو وثنا خاصا بها، وهذا يؤدي إلى ضعف الأمة الإسلامية، وإذا ينال من كرامة بلد إسلامي لا يهب الآخر للدفاع عنه، فالوحدة العربية أو القومية العربية إطار من دون محتوى إسلامي لا تساوي شيئا ولا يحمل قيمة ولا وزنا عند الله، وليس لها وزن في كفة العالم ولا تتمتع قيمة بين أمم العالم، وإذا كانت الوحدة العربية، والدعوة إلى القومية العربية على منهاج حزب البعث العربي، فهو يسئل الله أن لا تنجح هذه الوحدة، وألا تكلل بمقومات الفوز والنجاح، وذلك أن العرب بدون الإسلام لا قيمة لهم، وإذا كانت هذه الوحدة بدون الإسلام فلا قيمة له ولا حاجة لنا إليه، وفي الواقع أن هؤلاء العروبيين الحاقدين على الإسلام المنحرفين عن صراطه شر مستطير على العروبة نفسها [39].

---

[38]- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م صفـ231.

[39]- حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، محمد الغزالي، الطبعة الثانية، أكتوبر عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، صفـ142،140، 143.

وهكـذا يـرى محمـد الغزالي أن الأمـة الإسـلامية لا تسـتطيع أن تكـون في غنى عن الدين أبدا مهما كان مذهبها السياسي الذي تتخذه.

**اتحاد أهل الباطل وتفرق أهل الحق**

إن مـن أعنـف التحـديات التي يواجهـا العـالم الإسـلامي، هـي الفرقـة التي جعلـت الخنجـر في نحـورهم. في الوقـت الـذي نـرى فيـه الاسـتكبار، وأصـحاب القـوة والشـوكة الشـاكة ينهبـون باتحـادهم خيـرات البلـدان الإسلامية وثرواتها الغنية.

نجـد المسـلمين إزاء هـذا الوضـع عـاجزين ويائسـين، والسـبب يرجـع إلـى خلافـاتهم الداخليـة المتنـاحرة، مـا يمـنعهم مـن إقامـة دولـة واحـدة منيعـة، وفي نفـس الوقـت تتفـق أوربـا علـى إصـدار عملـة واحـدة، واقتصـاد واحـد، لتقـوم قويـة فـي وجـه تحـديات العولمـة وتسـتطيع مواجهـة المصـاعب الاقتصادية التي تعصف بها.

يكتـب محمـد الغزالـي في نقـده المريـر لهـذه الظـاهرة قـائلا: "لقـد تناسـى المسـيحيون الحـروب الدينيـة التي انـدلعت نارهـا بيـنهم خـلال القـرون الوسـطى، ونبـذوا الخلافـات الكبيـرة التي تباعـد بيـنهم أحيانـا في أصـول العقيـدة، وقـرروا أن يجـابهوا الإسـلام وأهلـه صـفا واحـدا كالبنيـان المرصـوص، أمـا المسـلمون فـإن التضـامن والاتحـاد الـذي يجـب أن يلـم

شملهم أصبح حلما بعيد المنال، وروح الصفاء الذي ينبغي أن ينير طريقهم ويوحدهم لا يزال بعيدا".[40]

في هذا المنظور لا بد من الاطلاع على الأسباب والعوامل التي أدت ولا تزال تؤدي إلى عدم وحدة المسلمين، واتفاقهم، وهنا يصور لنا محمد الغزالي أكثر الأسباب في صور راقصة كأنها رسم كاريكاتوري ويفرد لها فصلا مستقلا عن الكتاب، ويرى أنه من أهم أسباب فرقتهم:

- **فقدان الوعي:** يجهل المسلمون، وللأسف الشديد ما يحمله الآخرون من معتقدات وما يتصفون به من سلوك وأخلاق، ومن الطبيعى أن يقودهم عدم الوعي، هذا إصدار أحكام مغلوطة بهذا الشكل.

ساق محمد الغزالي حديثا معلقا على هذا الموضوع ما يلي: "جاءني رجل من العوام غاضبا يتساءل كيف أصدر الشيخ الأزهر فتواه بأن الشيعة مذهب إسلامي كسائر المذاهب المعروفة؟ فقلت للرجل: ماذا تعرف عن الشيعة؟ فسكت قليلا ثم أجاب: ناس على غير ديننا! فقلت له: لكني رأيتهم يصلون ويصومون كما نصلي ونصوم!! فعجب الرجل وقال: كيف هذا؟ فقلت له: والأغرب أنهم يقرأون القرآن مثلنا، ويعظمون الرسول صلوات الله وسلامه عليه، ويحجون البيت الحرام!! قال: لقد بلغني أن لهم قرآنا آخر وأنهم يذهبون إلى الكعبة ليحقروها! فنظرت على الرجل

[40]- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة السابعة، إبريل عام 2005م، صف- 335.

راثيا وقلت له أنت معذور! إن بعضنا يشيع عن البعض الآخر ما يحاول به هدمه وجرح كرامته"[41].

❖ **الكتـــاب المغرضـــون:** ممـا لا مريـة فيـه، أن للكتـاب أثـرا قويـا في تكـوين ثقافـة الإنســان وحضــارته، لــذا نــرى أنــه مــن المهــم جــدا أن يحســن القــارئ في اختيــار الكتــب كـي لا يقــع فريســة للضــلال ويصــبح بعيــدا عن الحقيقة كل البعد.

يــرى محمــد الغزالــي: "إن الكتــاب الــذين لا يكترثــون لجمــع كلمــة المســلمين، أوالــذين يرســلون مقــالات علــى عواهنهــا، بحيــث تثيــر الحفــاظ وتحــرك السخائم، إنما يرتكبون في حق دينهم جرما هائلا"[42].

❖ **إثــارة خلافــات الماضــي بــين المســلمين:** إنـه عامـل آخـر مـن عوامـل تفرقــة المســلمين وتشــتيت شــملهم وتفكيــك وحــدتهم، وذلــك أن إثــارة الأحـداث التاريخيـة، ومـن ثـم تفخيمهـا، يحـل محـل الوقـود في تـأجيج الصــراع والكراهيــة بــين المســلمين، وللأســف الشــديد فــإن هــذا الموضــوع لا يــزال يســتمر حتـى اليــوم، الأمــر الــذي لا يعجــب الشــيخ الغزالي، فـإذا كـان الخـلاف نابعـا مـن أعماقنـا-حسـب رأيـه- فمـا الـذي ينبغـي علـى الإسـلام فعلـه؟ إن المسـلمين أصـبحوا في وضـع سـخيف، ويثيـرون ماضـيهم، ويحيـون الخـلاف بـين الصـحابة، وكـل مـنهم يتعصـب لحزبه ولخليفته ما يضاعف التناحر والتفرقة.

---

[41]- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة السابعة، إبريل عام 2005م، صف-256.

[42]- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م صف-207.

ويـرى محمـد الغزالي أن هـذا الموضـوع مـن الناحيـة التاريخيـة بحكـم المنتهي، وعلينـا أن نسـير مـع الواقـع المعاصـر حـذوا بحـذو ونعـلا بنعـل، ونتخـذ الخـلاف وراء ظهريـا، ونتوقـف عـن تـأجيج نيـران الخلافـات بـين الأجيـال الناشـئة مثلمـا أثيـرت بـين الأجيـال السـالفة، إذ لا نجني ثمـرة مـن ذلـك سـوى توسـيع الهـوة والجفوة بين المسلمين.

في إزاء هـذه المشـكلة المستعصـية، يقـدم محمـد الغزالـي أفكـارا ومقترحـات عديـدة يـرى أنهـا قـد تـؤدي إلى توحيـد صـفوف المسـلمين وجمـع شـملهم ولـف أشتاتهم وإعلاء كلمتهم، ومنها:

## الازدهار الثقافي والعملي

يتمثـل تحقيـق الوحـدة حسـب منظـور محمـد الغزالـي فـي تنميـة الجانـب الثقـافي والعلمي وتطـويره في المجتمـع الإسـلامي: "إذ إن سـعة المعرفـة وغـزارة المـادة العلميـة، والاطـلاع الواسـع علـى حقـائق الحيـاة ومـذاهب الفلاسـفة والعلمـاء، هـو أول الطـرق التـي تـؤدي إلـى التعـايش السـلمي مـع غيري على قاعدة حق الاختلافات والاجتهاد في شؤون الدين"[43].

## علماء الدين والحكام

يعتقـد محمـد الغزالـي أن الـدور الوحـدوي الـذي يلعبـه علمـاء الـدين في تقريـب الفـرق الإسـلامية على تنوعهـا، يكـون أحـد العوامـل المهمـة والفاعلـة في بلورة الوحدة بين المسلمين.

[43]- ظلام من الغرب، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م، صفـ217.

يحسب أنه من البديهي أن يلتزم العلماء بهذه الفكرة، ويؤكدوا عليها حينما يلقون الخطب في المساجد، ويشاركون في المؤتمرات، ويكتبون المقالات في الجرائد، ويؤلفون الكتب، حتى تتكون الأجواء في المجتمعات الإسلامية وفق الوحدة ويتمثلوها بالتالي في حياتهم الاجتماعية.

ويعتبر أنه يجب أن يجد هذا الموضوع من بين المواضيع الكثيرة أهمية كبيرة لدى الحكام والأمراء، إذ أنهم أكثر نفوذا وأطول يدا، لما أنهم يتمتعون بسطوة عظيمة على الشعوب، وهو يحي العاهل الفارسي نادر شاه لأنه بذل قصور جهوده في سبيل جمع كلمة المسلمين وتوحيد صفوفهم.

الحاكم والأمير الذي لا يحاول ولا يتحرك للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ولا يدعو إلى الوحدة بينهم، فهو حسب رأيه فاسد ومجرم كبير ويجب عزله، إذ يجب أن تتقدم مصلحة الإسلام والمسلمين على المصلحة الشخصية.

## مسؤولية المسلمين تجاه الوحدة والخلافات

يصف محمد الغزالي الفترة التي تمر بها البلدان العربية بأنها فترة حساسة ومرحلة خطيرة، وذلك أن المؤامرات والمكائد التي تحاك للمسلمين لإضعاف قوتهم والسيطرة عليهم سيطرة تامة، هو أكثر بكثير.

ونتيجة لذلك فهو يرى المسؤولية التي ألقيت على عواتق المسلمين، بالغة الأهمية، ويقول في هذا الصدد: "على المسلمين أن يجمعوا قواهم أمام

ضربات الغزو الغربي، وأن يثبتوا على دينهم في معركة البقاء التي فرضتهم الأقدار عليهم. عار عليهم أن يتفرقوا وقد تجمع عليهم الأعداء من كل جانب، أو يتأخروا في مضمار اللحاق بالعلم، وهم يواجهون تطورا علميا هائلا، أو يضعف أخذهم بدينهم الحق، وقد استمسك كل ذي نحلة بعقيدته على ما لها من علل"[44].

## ميزات المنهج الوحدوي

نظرا إلى الأوضاع السائدة في بلاد المسلمين ومناطقهم، يجب العمل بتحقيق وحدة صفوف المسلمين، فقد تحدث محمد الغزالي عن المبادئ يجب أن يتبعها المسلمون حتى تترسخ وحدتهم الإسلامية وهي كالتالي:

- ❖ الحكام - ملوكا كانوا أو رؤساء- وكلاء لدى شعوبهم، يرعون مصالحهم الدينية والدنيوية، ووجودهم مرتبطة بهذه الرعاية المفروضة ومنوطة برضا الأمة بهم، وليس لأحد أن يسلط نفسه على الأمة كرها أويدير أمورها استبدادا وإجبارا.
- ❖ الشورى أساس الحكم، ويلزم لكل شعب أن يختار أسلوبا يتحققها من خلاله أشرف الأساليب ما تكون خالصة لوجه الله، وتبتعد عن الرياء والغش، وحب الدنيا كل الابتعاد.
- ❖ الملكية الخاصة مصونة بشروطها وحقوقها التي قام الإسلام بتحديدها، والأمة جسد واحد لايهمل منها عضو، ولا تزدري فيها

[44]- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة السابعة، إبريل عام 2005م، صف-351.

طائفة، والأخوة الحقيقية التي تنظم الجماعة كلها فردا فردا، وتعتني بشؤونها المادية والأدبية والدينية.

- ❖ مجموعة الدول الإسلامية مسؤولة عن الدعوة الإسلامية، والدفاع عنها، ودفع الأذى عن أتباعها حيث كانوا، وأينما حلوا، وعليها أن تنفق كل ما يملك لإحياء النظام الإسلامي والروح الإسلامية في الشكل اللائق بمكانتها الدينية.
- ❖ اختلاف الدين ليس مصدر خصومة واستعداء، وإنما يتحتم الرد إذا وقع عدوان، أو حدثت فتنة، أو ظلمت فئات من الناس.
- ❖ علاقة المسلمين بدول العالم الأخرى توطدها مواثيق الإخاء الإنساني المجرد، أما المسلمون دعاة لدينهم بالحجة والإقناع فحسب، ولا يضمرون شرا ونقمة لأحد.
- ❖ يتعاون المسلمون مع الأمم الأخرى، على اختلاف دينها ومذاهبها- في كل ما يخدم الصلاح البشري ويرقى ماديا ومعنويا بالجنس البشري، وذلك من منطق الفطرة الإسلامية والقيم المثلى التي توارثوها عن نبيهم المرسل صلوات الله وسلامه عليه[45].

## الصهيونية من وجهة نظر محمد الغزالي

أمضى محمد الغزالي حقبة من عمره في خضم مأساة الشعب الفلسطيني المظلوم، وشعر خلال تلك المدة المديدة آلام ومصائب ذاقها هذا الشعب المضطهد.

[45]- الشيخ الغزالي كما عرفته ،يوسف القرضاوي، دار الشروق، القاهرة، مدينة نصر، الطبعة الأولى عام 2008م، صفـ34-35.

أدرك محمد الغزالي أثناء إقامته في فلسطين العزيزة حقيقة أهداف الصهيونية وخططها المدمرة لمناطق المسلمين وعزلهم من إخوانهم الآخرين، وتفرس أن أحد أهم الأعمال التي تقوم بها دولة إسرائيل الغاشمة هي غرس بذور الكراهية والنقمة في قلوب أطفال اليهود للمسلمين المستضعفين.

جائت دولة إسرائيل إلى حيز الوجود عام 1948 للميلاد، وذلك بدعم مباشر ومتواصل من بريطانيا وأمريكا، وقد أبدى المسلمون الأحرار الذين يحملون في قلوبهم الحمية الإسلامية والنخوة الدينية معارضتهم لهذ العمل الغاشم وحذروا العالم الإسلامي من خطر هذا الكيان الصهيوني الداهم، وأوضحوا أن إسرائيل لن تكتفي بالاستيلاء على أرض فلسطين العزيزة وإنما هدفها على المدى البعيد، وهي إقامة دولة إسرائيل العظمى تمتد من النيل إلى الفرات.

من التحذيرات التي لفت أنظار المسلمين إليها: إن مشروعهم القادم الذي يريدون تنفيذه لا يجعل حدود إسرائيل ضمن الضفة الغربية والشرقية وقطاع غزة أوالخليل فحسب، بل إن القضية أكبر من ذلك، القضية من النيل إلى الفرات. وهذه الخريطة معلقة على جدار الكنيست الإسرائيلي، وقبل هذا كان مكتوبا على جلد عهد القديم: من البحر الكبير إلى النهر الكبير.

## قضايا فلسطينية ومؤامرات إسرائيل وأمريكا

لا يرى محمد الغزالي أن مخططات ودسائس إسرائيل تنحصر في نطاق البلدان الإسلامية فحسب، بل يذهب إلى أن مؤمرات الكيان الصهيوني تهدد العالم بأسره.

وهي تشمل ما يلي:

- ❖ من مصلحة اليهود إشعال شعلة الحروب بين الدول حتى يتسنى لهم نقل الحرب إلى الميدان الاقتصادي، حتى يقع الفريقان المتحاربان في حبالهم.
- ❖ مضايقة الحصار المالي للحكومات وخلق الأزمات الاقتصادية، والاستغلال من الصحافة والجرائد التي يسيطرون عليها لتحقيق مآربهم وأهدافهم الخبيثة.
- ❖ الغزو الثقافي لزعزعة الإيمان والعقائد في قلوب الأمم، حتى لا يوجد على وجه الأرض سوى الصهيونية.
- ❖ التوغل في كل المنظمات السرية والمخابرات في مختلف أطراف العالم.[46]

ومما لا مرية فيه أن أمريكا مثلت دورا هاما في تأسيس دولة إسرائيل وتأصيل بنيانها، وبعد قيامها سارعت بالوقوف إلى جانبها في جميع المشاكل نزلت بها والأزمات التي حدثت في الشرق الأوسط وساعدتها بالمال وزودتها بالأسلحة الفتاكة لقتل المسلمين الأبرياء.

---

[46]- الاستعمار أحقاد وأطماع، محمد الغزالي، الإدارية العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م، صف322.

ويعد محمد الغزالي الولايات المتحدة الأمريكية شريكة في الجنايات كلها التي تقترفها إسرائيل والعقوبات التي تنكل بها الفلسطينين المستضعفين في الأرض، ويقول: "إن عرب فلسطين خاصة، والأمة العربية عامة يعتبرون الولايات المتحدة الأمريكية وإلى جانبها بريطانيا المسؤول الأول عن كارثتهم العظمى في فلسطين، وهي تلك الجريمة الإنسانية التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا"[47]

## أضواء على مؤلفات محمد الغزالي

المؤلفات التي خلفها محمد الغزالي تبلغ إلى ثلاثة وخمسين كتابا وأكثرها في جميع مجالات الحياة ونواحيها، وقد تم نقل معظم مؤلفاته ومصنفاته إلى اللغة الانكليزية والفرنسية والأوروبية وغيرها وتم نشره في شتى أرجاء العالم، وكان لمؤلفاته أثر بالغ في الصحوة الإسلامية، وسنعرف هنا بعض هذه المؤلفات:

- **الإسلام والأوضاع الاقتصادية:** وهذا الكتاب هو أول ما صدر من قلمه الرشيق، وقد تم نقله إلى اللغة الفارسية.
- **الإسلام والمناهج الاقتصادية:** يدعو فيه محمد الغزالي المسلمين في العالم كله ومفكريهم إلى العودة إلى منابع الإسلام الأصيلة من جديد، وإنشاء النظام السياسي والاجتماعي على أساس دين الإسلام المتين.
- **الإسلام المفترى عليه بين الشيوعيين والرأسماليين:** وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد نشرها محمد الغزالي في مجلات مختلفة سابقا.

[47]- الاستعمار أحقاد وأطماع، محمد الغزالي، الإدارية العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م، صفـ386.

❖ **الإسلام والاستبداد السياسي:** قد حرر محمد الغزالي هذا الكتاب بعد ما تم إفراجه عن السجن الذي دخله بسبب مساعدته لجماعة الإخوان المسلمين، وقد أصر محمد الغزالي في هذا الكتاب على أن الإسلام لا يؤيد حكم الفرد ولا يقربه، ولا الحكم الدكتاتوري، بل إن تعاليمه تشجع حكم الشورى والرأي الجماعي وتدعو إليه.

❖ **من هنا نعلم:** يحوي هذا الكتاب في طيه ،ردود محمد الغزالي على ما أثاره خالد محمد خالد من شبهات، ويمثل الكتاب ردا على النظريات الليبرالية الباطلة ويحمي تعاليم الإسلام ويدافع عنها ويشيد قيمها.

❖ **تأملات في الدين والحياة:** وهو مجموعة من المقالات والخواطر والبحوث واللفتات، وكتب الكثير منها عندما كان محمد الغزالي يحرر مجلة "الإخوان المسلمون" وهو يشجع الناس بالتوجه نحو الحركة والحياة الإسلامية الناصعة.

❖ **عقيدة المسلم:** ويحوي هذا الكتاب بحوثا كثيرة في العقيدة الإسلامية ويمتاز من كتب الفلاسفة والمتكلمين في أنه يخاطب العقل والقلب معا، وقد استمد فيه المؤلف من نصوص كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله وسلامه عليه، خلافا لأكثر الكتب الكلامية التي تعالج هذه الأمور من منظار عقلي محض.

❖ **خلق المسلم:** حشد المؤلف في جزء من هذا الكتاب موضوعات مختلفة مثل: الصدق والأمانة، الحلم والحياء وذلك من منظور نظر القرآن الكريم والسنة النبوية البيضاء.

❖ **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام:** تصدى فيه محمد الغزالي لأحد كبار المسؤولين الذي نال من الإسلام وتناوله بالسوء، وناقش فيه طبيعة العلاقة بين المسلمين وأهل الذمة من وجهة نظر الدين وأفاض.

❖ **في موكب الدعوة:** تناول محمد الغزالي في هذا الكتاب بالنقد ضعف السياسات الداخلية في البلدان الإسلامية العربية وإعوجاجها بما مكن المنافقين والدجالين من الغوص في صفوفها وكيانها.

❖ **ظلام من الغرب:** تحدث فيه محمد الغزالي عن مناصري الفكر الغربي وحاملي لوائه وأهدافهم في البلدان الإسلامية، ويؤكد على أهمية فضح هذا الصنف من الناس، وإزاحة الستار عنهم وإبعادهم عن الحياة العامة والسياسية والاجتماعية في مصر.

❖ **جدد حياتك:** وقد قام فيه محمد الغزالي بالشرح وظيفة الفطرة السليمة ودورها في التعرف على الحق والتعريف به.

❖ **ليس من الإسلام:** يعالج فيه محمد الغزالي معالجة دقيقة قضية دس بعض الدعايات في شريان الدين الإسلامي، ويحاول الكشف فيه رصيدا كبيرا من تلك الخرافات والأباطيل ويعلق عليها ويقوم بتدحيضها.

❖ **من معالم الحق في كفاحنا الإسلامي الحديث:** قام محمد الغزالي بالشرح فيه مكايد العدو ومؤامرته وعوامل انتصاره، وهو يرى أن

الرذائل الأخلاقية قد ترسخت بين المسلمين، ولا يوجد سبيل إلا في مواجهتها.

- **الاستعمار أحقاد واطماع:** يثبت محمد الغزالي في هذا الكتاب استنادا إلى وقائع التاريخ عبر العصور والمصادر الموثقة بها أن للاستعمار حقدا دفينا على الإسلام، يحاول من خلاله إشباع الأطماع الاقتصادية المستدامة.
- **نظرات في القرآن:** ويتناول هذا الكتاب دراسة مفاهيم إسلامية مثل الثروة، والقصص والنبوة، ودراسة حول النسخ من وجهة نظر القرآن الكريم.
- **معركة الصحف في العالم الإسلامي:** تناول محمد الغزالي في هذا الكتاب البحث حول مقاومة الاحتلال الأجنبي بشتى أشكاله وألوانه و عن طريق ثورة الشعوب، وإحياء الأمل فيها، وتأسيس الحياة الاجتماعية والسياسية في ضوء أحكام الإسلام.
- **كفاح الدين:** تناول محمد الغزالي فيه ما يقع للإسلام وأهله من تهديدات وتحديات، حيث تفوز سياسة الاستعمار في إنشاء حكومات موالية لها، وتتابع في هذا الكتاب آثار الاستعمار في البلاد التي نجحت في نفي الاحتلال مناطقها.
- **الإسلام والطاقات المعطلة:** تحدث فيه محمد الغزالي عن مستقبل الإسلام الزاهر، وأن الأمة المسلمة تنتشر فوق بساط الأرض الطيبة وفي قبضة يدها سعادة العالم.

هـذا، والعديـد مـن الكتـب والمؤلفـات في مواضـيع مختلفـة لا يسـعنا الحـديث عنها في هذا المختصر.

**وفاته**

أصـيبت الأمـة المسـلمة بمصـاب جسـيم حـين اختطفـت يـد المنـون ركنـا شـديدا مـن أركـان الـدعوة الإسـلامية، ذلـك هـو محمـد الغزالي السـقا، لبى محمـد الغزالي داعي ربـه مسـاء السـبت التاسـع مـن شـهر شـوال لعـام 1416 للهجـرة، الموافـق التاسـع مـن شـهر مـارس عـام 1996 للمـيلاد، لقـد وافـاه الأجـل وهـو يـؤدي مسـؤوليته في سـبيل الـدين والـدعوة إلى الله سـبحانه وتعـالى، وذلـك أثنـاء مشـاركته فـي مهرجـان ثقـافي عقـد في المملكـة العربيـة السعودية بالرياض.

في اليـوم الرابـع مـن ذلـك المهرجـان ألمـت بـه نوبـة قلبيـة، وعلى إثرهـا تـم نقلـه إلى المستشـفى، وطـارت روحـه الطـاهرة بمدينـة الريـاض، تـم نقـل جثمانـه إلى المدينـة المنـورة حتى يـدفن في البقيـع الغرقـد قريبـا مـن مسـجد الرسـول صلوات الله وسلامه عليه وفيه قال الشيخ عبد الوهاب محمود فايد:

حالفتك المنى فآوتك طيبـــــة  وانتهى الشوط في البلاد الحبيبـة

وجرى الشوق بالمحبين حتـــى  جاروا الوافد المحب حبيبـــــة

وكل قلب بكاك يغبط مثـــــوا  ك وإن مد نواك نحيبـــــــــة

صرت في جنة الخلد وصيـرت  قلوبا تصلى عذاب المصيبـــة

كنت في مصر للشريعة نجمـــا  سار حتى كانت الحجاز مغيبـة

هــذه الأبيــات الخالــدة الســالفة ذكرهــا مــن أروع رثــاء فــي ذكــرى محمــد الغزالي،[48] وإن قلــم محمــد الغزالي السلســال وآثــاره الفكريــة لا ينكــر دورهمــا الفعال في تقريب آراء وأفكار العلماء والمفكرين الإسلامين.

[48] مجلة إسلامية المعرفة، السنة الثانية: العدد الرابع، عنوان المقال: عالم فقدناه، طه جابر العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي في الأردن، إبريل عام 1996م، صفــ5.

# الباب الثاني

## آراء محمد الغزالي حول تربية المرأة وتعليمها العالي

### الفصل الأول

### مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية بين الرجل والمرأة في الإسلام

### المرأة المسلمة وثقافتها الواسعة في العصر الأول وما يليه

### الفصل الثاني

### واقع تعليم المرأة في المجتمع الإسلامي

### جهالة المرأة بطالة نصف الأمة بل بطالة الأمة ككل

### المرأة الجاهلة لا تصلح لحمل رسالة الدعوة إلى الله

### عدم منح حق التعلم للمرأة هو منع النساء الأجنبيات من الدخول في الإسلام

### الفصل الثالث

### دعاة تعليم المرأة في القرن العشرين

### التدين الفاسد عائق في وجه تعليم المرأة

### تعليم المرأة وتربيتها من منظور محمد الغزالي

# الفصل الأول

## مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية بين الرجل والمرأة عند الإسلام

بدأت حضارة الإسلام، وتجلت معالمه بتكليف المرأة والرجل كليهما إلا في الأمور التي تنافي طبيعتها وأنوثتها وبنيتها الجسدية، وأن الله سبحانه وتعالى سوى بين المرأة والرجل في جميع التكاليف الشرعية من القصاص والعبادات، وإنه لم يفرق بين الرجل والمرأة في طلب العلم والتزود بالعلم النافع والثقافة المفيدة والمعرفة التي تعود على المجتمع بالخير والصلاح، يؤكد الأستاذ محمد الغزالي قائلا: "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة مساواة الرجل والمرأة في مجال الفرص التعليمية: "إن الإسلام سوى بين الرجل والمرأة في جملة الحقوق والواجبات، وإذا كانت هناك فروق معدودة فاحتراما لأصل الفطرة الإنسانية وما ينبغي عليها من تفاوت الوظائف! وإلا فالأساس قوله تعالى: فاستجاب لهم ربهم إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض" وقوله "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون". إن هناك تقاليد وضعها الناس ولم يضعها رب الناس دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي للمرأة واستبقت في معاملتها ظلمات الجاهلية الأولى، وأبت إعمال التعاليم الإسلامية الجديدة، فكانت النتائج أن هبط مستوى التربية ومال ميزان الأمة كلها مع التجهيل المعتمد للمرأة والانتقاص الشديد لحقوقها"[49].

فكان قوله تعالى: "إقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم"[50] موجها النداء الرباني

[49] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صف15-16.
[50] القرآن الكريم، العلق، الآية 1-5.

المتمثل في هذه الآية الكريمة إلى الرجل والمرأة على السواء، فالإسلام لا يعرف التمييز القائم على أساس الجنس ولايعترف بحضارة في أي حال من الأحوال تقوم بتعليم الرجل وتفقيهه ورفع الجهل عنه، وتغفل تعليم المرأة وكشف ظلمة التخلف والتدهور عنها، فقال تعالى: "قد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين"[51]. وكلمة "المؤمنين" تشمل الرجل والمرأة، فالمرأة مثل الرجل على اختلاف وظيفتها في الحياة، فكان يجب عليها أن تتعلم من أمور دينها ودنياها ما يمكن من القيام بدورها على أحسن وجه، ولذلك جاءت النصوص بالحث على تعليم المرأة ومن ذلك ما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله في صحيحهما عن رسول الله صلوات الله وسلامه عليه قال: "ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران"[52].

ولكن في العصور المظلمة من التاريخ الإسلامي سار بعض العلماء المسلمين مسيرة الأمم المنهزمة وتوارثوا منها التقاليد والعادات تنافي التعاليم الإسلامية التي جاء بها نبي الله صلوات الله وسلامه عليه، وصبغوا هذه التقاليد بالصبغة الدينية، حبسوا المرأة عن التعاليم، والمعرفة، وزعموا أن التعليم والكتابة يؤدي المرأة إلى الفتن، ويجعلها تقع في حبال العاشقين، أو تجعله وسيلة للمعاشقة، وأصبحوا متشائمين من جهة المرأة، في حين لم يخشوا نفس الشيئ على الرجال، لعلهم لم

[51] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 164.
[52] صحيح البخاري، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله، حديث رقم 97.

يعتبروا المرأة مكتمل العقل والذهن، أوفي زعمهم أن المرأة ناقصة العقل، وسلكوا على درب أدى إلى تدهور وضع المرأة المسلمة وأخيرا إلى تدهور المجتمع الإسلامي كله، يقول محمد الغزالي: "إني عاصرت الأيام التي أدخل فيه طه حسين الفتيات في الجامعة لقد كان التيار الديني يرى ذلك حراما! بل إن تعليم البنات في مدارس خاصة بدأ بعد الاحتلال البريطاني لمصر، فإن التقاليد السائدة كانت تفرض الأمية على النساء بإسم الإسلام ومع غزو المرأة للفضاء في العصر الحديث فإن أناسا عندنا يقاتلون دون أن تصلى المرأة في المسجد! يقولون بيتها أولى بها"[53].

ومخاطبا العلماء يقول القرآن الكريم : "إن في ذلك لآية لقوم يعلمون"[54]، أما تستحق المرأة بموجب هذه الآية الكريمة أن تكون عالمة حتى تعرف آيات الله في الكون وتتدبر فيها؟ أو للرجال احتكار مطلق على القرآن الكريم والعلوم القرآنية؟ فهل يجوز لنا بعد أن قرأنا هذه الآية المباركة من القرآن الكريم أن نقوم سدا حاجزا بين المرأة وتعليمه؟ أو نحن نفرض أن القرآن الكريم يخص بالرجال دون النساء؟ وأن الخطابات القرآنية كلها موجهة إلى الرجال دون النساء، وأن النساء كل على الرجال في تعلم أحكام الشريعة الإسلامية وبالخصوص على الآباء والأزواج، فإذ رأينا أن نساء النبي صلوات الله وسلامه عليه وأهل بيته كن عالمات، ومثقفات، واعيات، فهل يجوز لنا أن نكون ملكيين أكثر من الملك؟ وأن نزايد على رسول الله صلوات الله وسلامه عليه أية زوجة، وأية فتاة وأية أم لواحد من أهل البيت، كانت أمية، وجاهلة غير واعية؟ وإذا جاء النص في طلب العلم لكل مسلم

[53] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ22.
[54] القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 53.

في كتب الأحاديث: "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[55]، والمسلم يشمل كلا الجنسين من الرجل والمرأة فهذا يعني أن أمر الشارع موجه إلى كلا الجنسين، ونعني بالعلم العلم النافع، سواء أكان العلوم الآلية أوالعالية، والعلم النافع حق أساسي للمرأة والرجل على السواء.

في الواقع أن المرأة كانت في ظل الإسلام تتعلم وتتلقى ثقافة واسعة وعالية وكانت شاعرة وكاتبة، كما كانت تتحلى بالوعي العميق، ولم تتراجع المرأة إلى الوراء.

دعا الإسلام الرجل والمرأة على السواء إلى العقل والفهم والبصيرة في أمور الحياة كلها وقد فضل ذوي العلم والفهم على غير ذوي العلم والفهم، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون"[56] في ضوء الآية الكريمة السالفة ذكرها أصبح منطقيا أن يمثل العلم في نظر الإسلام أساس القيم التي يحيا بها الإسلام، وذلك لإن الإنسان لا يقدر أن يمارس الصواب ويبتعد عن الخطأ إلا إذا كان لديه العلم الذي يتبين به الرشد من الغي والحق من الباطل.

ولقد بلغت أهمية العلم إلى درجة أن جعله شرطا محوريا وحيدا في فهم الآيات القرآنية حيث يقول ربنا في كتابه الكريم في مواضيع عديدة: "وما يعقلها إلا العالمون"[57]، "قد فصلنا الآيات لقوم يعقلون"[58]، "وقد فصلنا الآيات لقوم يفقهون"[59] والعلم بمفهومه الشامل في الإسلام واجب على كل مسلم ومسلمة فلا

---

[55] جامع أحكام النساء، الجزء الخامس، مصطفى العدوي، الطبعة الأولى، عام 1999م، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، الجيزة، باب في العلم، صفـ588.

[56] القرآن الكريم، الزمر، الآية 9.

[57] القرآن الكريم، العنكبوت، الآية 43.

[58] القرآن الكريم، الأنعام، الآية 97.

[59] القرآن الكريم، الأنعام، الآية 98.

يميز الإسلام بينهما في ذلك الحق، وذلك أن القرآن الكيريم يطالب منهما التفهم والتعقل والتفقه في الدين.

وبلغ حرص الرسول صلوات الله وسلامه عليه على تعليم النساء أن يخرج بنفسه للقيام بذلك الأمر العظيم "عن أيوب - رضي الله عنه - قال: سمعت ابن عباس، قال: أشهد على ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ومعه بلال فظن أنه لم يسمع، فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقى القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه"[60].

بين الله سبحانه وتعالى أن العلماء وحدهم هم الذين يعقلون ما يضربه للناس من أمثال، فقال: "وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون"،[61] وقال في موضع آخر: "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"[62] والعلم سلم للوصول إلى الدرجة العليا، جاء في الحديث النبوي الشريف: "ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[63] بدون امتياز بين الرجل والمرأة، والتفقه في الدين لا يحصل إلا بالدراسة والكتابة، وروى الترمذي عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: "من سلك طريقا يبتغي فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع"[64].

والمرأة في عصر الرسول صلوات الله وسلامه عليه كانت تعتني بشؤون التعليم عناية بالغة وكانت جادة تجاه التفقه في الدين وقد ورد في الصحيح للبخاري:

---

[60] المرأة في الفكر الإسلامي، أ.د.جمال محمد فقي رسول باجلان، الطبعة الثانية، 2017 م، دار المعرفة للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، صفـ63.

[61] القرآن الكريم، العنكبوت، الآية 43.

[62] القرآن الكريم، المجادلة، الآية 11.

[63] الصحيح للبخاري، كتاب العلم، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه بالدين، حديث رقم 71.

[64] الأساس في السنة وفقهها العقائد الإسلامية، المجلد الأول، سعيد حوّى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع بمصر، الطبعة الثالثة، 1996م، صفـ 505.

"جائت إمرأة إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله، ذهب الرجال بحديثك فاجعل لنا من نفسك يوما نأتي إليك فيه، تعلمنا ما علمك الله، قال صلى الله عليه وسلم: فاجتمعن في يوم كذا وكذا في مكان كذا وكذا فاجتمعن فأتاهن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فعلمهن مما علمه الله ...."[65].

وكانت النساء المسلمات في العهد النبوي الشريف مكبات على استزادة العلم والمعلومات عن الأمور والشؤون المنوطة بالنساء وقد بلغ ذلك إلى حد حتى قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "نعم النساء، نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين"[66].

هذه الأدلة كلها تأتي في سياق فضل العلم والتعلم في حياة الأمة، تجدر الإشارة هنا إلى أن العلم الذي ينبغي أن يسعى إليه الفرد المسلم لا يقتصر على العلوم النظرية، إنما يشمل اكتسابات المهارات المختلفة، وفقا لمتطلبات العصر، وبما يتلائم مع خصائص المجتمع وأنماط الحياة فيه، كما جعل الإسلام مسؤولية توفير فرص التعليم على كواتف ولاة الأمر والأبوين، وقول النبي صلوات الله وسلامه عليه: "من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار"[67]، توجد فيه إشارة واضحة لتحقيق ديمقراطية التعليم التي أصبحت اليوم من أهم الشعارات التعليمية والتربوية التي ينادي بها المربون في عصرنا الراهن في الوقت الذي سبق الإسلام بهذه الدعوة بمئات من السنين.

---

[65] الجمع بين الصحيح البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق الدكتور علي حسين البواب، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، دار النشر- دار ابن حزم، في بيروت، لبنان، 2002م.

[66] المرأة في الفكر الإسلامي، أ.د.جمال محمد فقي رسول باجلان، الطبعة الثانية، صفـ 63، عام 2017 م، دار المعرفة للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

[67] موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف، أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زعلول، المجلد الثامن، صفـ296، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وكذلك أكدت التربية الإسلامية على تحكيم العقل والتفكير والنظر في مختلف العلوم، ولذا وازنت التربية الإسلامية بين حاجات المتعلم الروحية والمادية والاجتماعية مصداقا لقوله تعالى: "وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس من نصيبك من الدنيا"[68].

ومن المعايير الهامة التي تقوم عليها التربية الإسلامية تحديد أثرها في تربية الإنسان لبلوغ الصلاح والفلاح والفضيلة وكمال النفس عن طريق العلم الذي ينمي في الإنسان المسلم ضميرا حيا واعيا، يحسن تفضيل عمله إلى الأفضل لقوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"[69].

إن التعليم القرآني حريص كل الحرص على تحرير عقل الفرد من الرجل والمرأة من الخرافات، والدعوة إلى التفكير العلمي والبحث والاستقصاء تأتي انسجاما مع الآية القرآنية الكريمة " قل انظروا ماذا في السماوات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون"[70]، وقوله تعالى: "يتفكرون في خلق السماوات والأرض".[71]

هذا ما يدعو إليه محمد الغزالي، الذي لا يرى بأسا في أن تدرب المرأة حتى تستطيع دفاع شخصها عند مساس الحاجة إليها حتى لا يقعن في حبال العدو لقمة سائغة وهو يقول: "روى مسلم عن أنس أن أم سليم رضي الله عنها اتخذت يوم حنين خنجرا فكان معها – تحمله باستمرار- فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر! فقال لها رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: ما هذا

---

[68] القرآن الكريم، القصص، الآية 77.
[69] القرآن الكريم، فاطر، الآية 28.
[70] القرآن الكريم، يونس، الآية 101.
[71] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 191.

الخنجر؟ فقالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت بطنه! فجعل رسول الله يضحك!"[72].

## المرأة المسلمة وثقافتها الواسعة في العصر الأول وما يليه

كانت المرأة المسلمة في العصر الإسلامي الأول على ثقافة واسعة، وذواقة للأدب العربي، شعرا ونثرا، وكان الصحابة يعترفون بفضل من لديه علم ومعرفة، وثقافة وأدب ويحلونه محل التكريم ويشجعونه، قد ساق محمد الغزالي في كتابه "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة" حديثا رائعا يتجلى منه إعجابهم الشديد واعتنائهم البالغ بالأدب والثقافة: "كان المنذر اللخمي ملك الحيرة أنجب بنتا اسمها حرقة وابنا اسمه حريقا! ودارت الأيام وفقد المنذر مملكته، وانتقلت الأسرة من حال إلى حال، فقالت حرقة في ذلك:

فبينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصف

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا وتصرف

فلما فتح سعد بن أبي وقاص أرض الفرس أتته حرقة بنت النعمان مع عدد من جواريها تطلب منه العون، فنظر إليهن وسأل: أيتكن حرقة؟ قلن هذه وأشرن إليها! قال لها أنت حرقة. قالت نعم فما تكرارك الاستفهام؟ إن الدنيا دار زوال، وإنها لا تدوم على حال، إنا كنا ملوك هذا المصر من قبلك، يجيئ إلينا خراجه، ويطيعنا أهله زمان دولتنا.

[72] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ170.

فلما أدبر الأمر وانقضى صاح بنا صائح الدهر، فصدع عصانا وشتت شملنا، وكذلك الدهر يا سعد! إنه ليس من قوم بسرور، وجدة إلا والدهر معقبهم حسرة، وكررت بيتها السابقين. فأكرم سعد وأحسن جائزتها، فلما أرادت فراقه قالت له: لا أنصرف عنك حتى أحييك بتحية ملوكنا: لا جعل الله إلى لئيم حاجة، ولا زال لكريم عندك حاجة! ولا نزع من عبد صالح نعمة إلا جعلك سببا لردها عليه...! فلما خرجت من عنده تلقاها نساء البلد، فقلن لها: ما صنع بك الأمير؟ قالت: حاط لي ذمتي، وأكرم وجهي! إنما يكرم الكريم الكريم"[73].

لافتا أنظارنا إلى ثقافة حرقة الواسعة يقول محمد الغزالي في نفس الكتاب: "انظر عقل هذه الأميرة السابقة وأدبها وحكمتها وكيف حاورت سعد بن أبي وقاص القائد الفاتح المنتصر، فنالت تقديره وإكرامه....وودت لو أن المثقفات العربيات كن على هذا المستوى، فنلن إعجاب واحد من العشرة المبشرين بالجنة. إن المرأة تعظم بعلمها الواسع وبيانها الحكيم وسيرتها الماجدة"[74].

وعلى طليعتهن عائشة الصديقة رضي الله عنها، كانت سريعة الإستشهاد بالشعر العربي بما يمر بها من أحداث وأمور، يقول محمد الغزالي : فعندما قتل علي بن أبي طالب قالت:

فألقت عصاها واستقر بها النوى  كما قر عينا بالإياب المسافر

فلما احتضر أبوها أبو بكر قالت:

لعمرك ما يغني الثراء عن الفتى  إذا احشرجت يوما وضاق بها الصدر

---

[73] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ 62-63.
[74] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ 63.

فقال الصديق لافتا نظرها إلى ما هو أفضل، ليس هكذا تقولين! قولي: "وجاءت سكرة الموت بالحق، ذلك ما كنت منه تحيد"[75].

يقول عروة بن الزبير: ما رأيت عائشة رضي الله عنها أعلم بطب ولا فقه ولا شعر من عائشة. يقول محمد الغزالي في كتابه " قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة" : "كانت - رضي الله عنها- تفتي في عهد عمر وعثمان إلى أن ماتت"[76]، وهو يواصل قائلا: "وعلم عائشة يتجاوز الفتوى إلى التصحيح، ورد ما يشيع من خطأ، وكان رسوخها في فهم القرآن، وفقهها في السنة النبوية، واطلاعها الواسع على أدب العرب، يجعلها المرجع الثقة أبدا"[77].

تبقى سيرة عائشة الناضرة النيرة أسوة للفتيات المسلمات والنساء المسلمات في مختلف الأعصار والأمصار.

ورد في طبقات بن سعد "كانت عائشة أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه "[78]، كلما احتاج الناس في رأي فقهي، أو آية قرآنية فيما نزلت رجعوا إليها. وهي بعلمها الغزير أصبحت أسوة للنساء المسلمات في شتى العصور والأمصار، أما النساء في أيامنا هذه من أجل التدين الفاسد أصبحن مكبلات في البيوت لا شعر ولا نثر.

وقد عقد محمد سعد فصلا في كتابه الطبقات، لروايات الحديث من النساء، أتى فيه على أكثر من سبعمائة إمرأة روين عن رسول الله صلى الله وسلم.

---

[75] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ91.
[76] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ92.
[77] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ92.
[78] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ92

وذكر ابن خلكان أن السيدة نفيسة بنت الحسن الأنور بن زيد الأبلج بن الحسن بن علي بي أبي طالب كان لها بمصر مجلس علم حضره الإمام الشافعي نفسه وسمع عليها فيه الحديث وروى ابن المقري في كتابه "نفح الطيب" أنه كان لابن العطرف اللغوي جارية أخذت عن مولاها النحو واللغة ولكنها فاقته في ذلك وبرعت على الأخص في العروض حتى سميت "بالعروضية" وأنها كانت تحفظ عن ظهر قلب كتابي "الكامل" للمبرد، و "الأمالي" لابن علي القالي[79].

أن الشفاء العدوية وهي سيدة من بني عدي رهط من قبيلة عمربن الخطاب كانت كاتبة في الجاهلية، وكانت تعلم الفتيات، وأن حفصة بنت عمر أخذت عنها القراءة والكتابة قبل زواجها بالرسول صلى الله عليه وسلم، لما تزوجها عليه الصلاة والسلام طلب إلى الشفاء العدوية أن تتابع تثقيفها وأن تعلمها إجادة الخط وتحسينه كما علمته أصول الخط.[80] وأن النماذج الخلابة في التاريخ الإسلامي للمرأة والجدير بالذكر كقدوة للفتيات والشابات المسلمات، الشيخة العالمة الفاضلة المسندة كريمة بنت أحمد ابن محمد بن حاتم المروزية وقد كانت من شهيرات النساء عموما وقد تتلمذ عليها كبار العلماء منهم: الحافظ الخطيب البغدادي، صاحب تاريخ بغداد، وإمام علوم الحديث الذي قيل عنه: كل من جاء بعده عيال على كتبه في علوم الحديث، ومنهم أبو عبد الله محمد بن نصر الحميدي، أبو المحاسن المصري المؤرخ المعروف، الحافظ السمعاني المحدث النسابة المشهور، وكانت تتحين موسم الحج الذي كان ملتقى للعلم والعلماء حتى تتلقى العلوم من العلماء الثقاة وقد بلغت قمة عالية من العلم والفهم والنباهة

---

[79] حقوق الإسلام، الدكتور على عبد الواحد وافي، صفـ143، دار النهضة القاهرة بمصر، سنة الطباعة عام 1967م.

[80] نساء حول الأنبياء، لمياء شومان، دار البشير للثقافة والعلوم، تاريخ النشر عام 2014م، صفـ174، والكتاب الآخر " هذا القرآن قصة الذكر الحكيم تدوينا وتفكيرا" الدكتور صابر طعيمة، دار الجبل، بيروت، لبنان، صفـ67.

وحدة الذهن وحتى شد إليها العلماء الأفذاذ الرحال، وعقد لها مجلس بمكة المكرة وتلتقي فيه بالطلبة والأفاضل من رجال كل علم، وكان ميلها الشديد إلى الحديث، وقد بلغت فيه درجة لا يساوي فيها أحد وهي ماتت بكرا لم تتزوج[81].

[81] كتاب الوافي بالوفيات، تأليف صلاح الدين خليل بن إيبك الصفدي، الجزء الرابع والعشرون، الطبعة الأولى عام 2000م، صفـ 255، دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

# الفصل الثاني

## واقع تعليم المرأة في المجتمع الإسلامي

على الرغم مما جاء في كتاب الله وسنة رسوله من أهمية تعليم المرأة وضرورة تعليمها، نجد واقع تعليمها في البلدان العربية والإسلامية والمجتمع الإسلامي في حال تعسة وصورة دنيئة، ويبدو واضحة أن المرأة لم تأخذ نصيبها الكامل في التعليم والتربية، وأن تعليم البنات - رغم الجهود المبذولة في هذا المجال والتي تشير إلى الاهتمام الملموس في التوسع في تعليم الإناث وتدريبها ووضع البرامج لمحو أميتها في مختلف بلاد العالم - لا تزال متخلفا تمام التخلف، فنسبة الأمية بين النساء العربيات تصل في المتوسط إلى 70% لمن هو فوق الخامسة عشرة، ونسبة الأمية بين النساء تتراوح في البلدان العربية بين حدها الأدنى 35%، وتقع كفة الحد الأقصى في موقع الرجحان، في حين تصل هذه النسبة على مستوى العالم 34% فحسب، كما أن نسبة الالتحاق بالنسبة للأطفال في فئة العمر من السادس إلى الحادي عشر تصل في المتوسط إلى 15,1% بالنسبة للإناث، 82% بالنسبة للذكور طبقا لإحصائيات اليونسكو الصادرة عام 1986[82].

ففي البلدان الإسلامية بالخصوص وبلاد العالم بالعموم نجد أسرا تحجب البنات وتعوقهن عن الالتحاق بالتعليم، واستكماله لعدم الإيمان بضروة التعليم للمرأة، وتعطى الفرصة الإضافية لأخيها على أساس أنه رجل المستقبل ورب أسرة جديدة وكافل أبويه عند الكبر، وصاحب إلتزامات اقتصادية واجتماعية، ولذلك فهم يبذلون قصارى جهودهم لاستمرار الذكور في الدراسة لفترات أطول مما هو عليه

[82] "محو أمية النساء مطلب عدالة مستقبليات"، لاليتا راموا س (Lalita Ramdas)، المجلد 19، العدد الرابع، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة 1989، صفـ 580.

بالنسبة للبنات حيث يعطي الولد فرصة أكبر لإعادة السنوات الدراسية - بخاصة الشهادات الجامعية- لاستكمال تعليمه، بينما قد لا تمنح نفس الفرصة لأخته، فيفضل لها البقاء في المنزل لمساعدة الوالدين في الطبخ والمطبخ، ثم زواجهن مبكرا كأنهن ديون يجب أدائه في وقت مسرع، كما أن بعض أولياء الأمور لا يرغبون في أن تلتحق بناتهم بكليات بعيدة عنهم، وأزواجا كثيرين يرفضون أن ستكمل زوجاتهم أي دراسة عليا.[83] كما يشير محمود العوض جلال الدين في دراسته عن التمييز بين الذكور والإناث وانعكاساته على وضع المرأة ودورها في المجتمع، إلى أن التحيز في تعليم المرأة ليس فقط في إتاحة فرص متساوية من الناحية الكمية وإنما أيضا في الناحية النوعية والتخصصية، فالواقع الاجتماعي والأسري يفرض على الفتاة أن تتجه إلى دراسة معينة بحجة طبيعة العمل الذي يناسبها، ويتوافق مع قيم المجتمع السائدة، وبحجة تقسيم العمل حسب الاختلافات الجنسية، ليس ذلك بسبب ميل طبيعي ومغروس لدى المرأة بقدر ماهو إفراز لهذا الواقع[84].

## جهالة المرأة بطالة نصف الأمة بل بطالة الأمة ككل

المرأة تلعب دورا رئيسيا في تربية الأولاد والأبناء وهي واجبها الأصيل إذا كانت المرأة عارية عن الثقافة والعلم والمعرفة لا تستطيع أن تؤدي واجبها وتلعب دورها في تربية أبنائها وأولادها. ولعله السبب الرئيسي في تخلف الأمة المسلمة في الميادين التي تتنافس فيها أمم العالم. إذا أبعدنا النساء من التزود بالعلم النافع والمعرفة المفيدة التي تصقل ذهنها وعقلها عطلنا نصف الطاقة للأمة المسلمة.

---

[83] حسان محمد حسان، تاريخ تعليم البنت في مصر، تاريخ وقضايا وآراء، السنة التاسعة، العدد الثالث، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي بسرس الليان، عام 1979م، صفـ49-50.

[84] محمد العوض جلال الدين، التمييز بين الذكور والإناث وانعكاساتها على وضع المرأة ودورها في المجتمع مثال " الأردن والسودان"، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد 12، العدد الثالث، جامعة الكويت، خريف 1984، صفـ 33.

فقضية المرأة ليست قضية خاصة بالنساء فحسب بل هي قضية الرجل والمرأة على السواء أو هي قضية الأمة بأسرها، فالمرأة في كل أمة من أمم العالم نصف المجتمع،وتعتبر مسؤولة عن تربية نصف الآخر، وهي بالتالي تمثل المجتمع كله نصفه بالأصالة ونصف الآخر بالوكالة.

إذا كانت المرأة تمثل المجتع كله باعتبارها شريكة للرجل ورفيقة له ومساعدة له على النجاح وأداء رسالته في المجتمع، وباعتبارها مسؤلة عن تربية الأجيال الناشئة، فإن إتاحة الفرص التعليمة أمامها وإعداد البرامج لتدريبها ورفع مستواها الثقافي يعد أمرا ضروريا، فالتعليم بالنسبة للمرأة بالعموم وبالنسبة للمرأة المسلمة بالخصوص يعد ضرورة إنسانية يساعدها على تحقيق ذاتها وإثراء حياتها الثقافية والاجتماعية وتأدية واجباتها تجاه ربها وأسرتها ومجتمعها، وبشكل يؤدي إلى رقي المجتمع وإزدهاره وتنميته، والتعليم يمكن أن يساعد المرأة بحيث أن تكون زوجة مثالية أو أما مثالية وربة بيت مدبرة، ومواطنة ذات عقل سليم، وفكر مستنير، وأخلاق فاضلة، إذا كانت المرأة عارية عن الثقافة والتعليم لا تستطيع أن تدبر منزلها أحسن تدبير أو تقوم بوظيفتها في الهيئة الاجتماعية وفي العائلة، إلا بعد أن تحصل مقدارا وافيا من المعارف العقلية والأدبية، ومن أجل ذلك إصلاح المجتمع وتطويره يتوقف إلى حد بالغ عن حسن تربية بناته أكثر مما يتوقف على إصلاح وحسن تربية أبنائه، وذلك أن تعليم الولد يعتبر تعليما فرديا بينما تعليم المرأة يعتبر للأسرة بأكملها وللمجتمع ككل، فوظيفة المرأة ومسؤليتها في المجتمع أبلغ أثرا في تنشئة الأجيال وتربيتها من الجنسين، ومن العسير أن يتطور المجتمع

مادام نصفه- المرأة- الذي يقوم بالتربية المنزلية معطلا وجاهلا، ومما يزيد من ضرورة التعليم للمرأة لكي تجيد تربية أبنائها، وأن المدرسة لم تعد مستقلة عن الحياة المنزلية، ولم تعد العملية التعليمية في حد ذاتها قاصرة على المبنى التدريسي، حيث الأطفال يتعلمون في كل مكان كالمنزل، بل إن جزءا كبيرا من العملية التعليمية والتربوية يقع على عاتق الأم، وباعتبارها أهم معلم خاصة في باكورة الحياة، من الصعب أن يعيش الأطفال في بئتين منعزلتين تمام الانعزال بيئة المدرسة وبيئة المعرفة، بيئة المنزل وبيئة الجهل- إذا كانت الأم جاهلة غير متعلمة - إن تلك الانفصالية يمكن أن يكون لها آثار سيئة على الأبناء، في وقت يجب أن تتضافر جهود البيت والمدرسة تعاونا من أجل أجيال أفضل، بالخصوص في ظل ما يشهده العصر الحالي من التقدم العلمي والتكنولوجي والانفجار المعرفي وثورة الاتصال الحديث.

تدهور الوضع الثقافي للمرأة عامل رئيسي لتدهور المستوى الثقافي للأمة بأسرها، لا يخفى على كل من يملك العقل السليم والبصيرة النافذة أن المرأة تمثل دورا رئيسيا في تربية الأبناء والأولاد، وهي تقدم لولده أو وليدته وفلذة كبده الغذاء المادي وهي ترافقه في مرضه وشفائه، وتتألم إذا تألم وتفرح إذا فرح وتسمع شكواه إذا اشتكى إليها، تطعمه إذا جاع وتمرضه إذا مرض وتحتضنه إذا أتى إليها مهرولة تفعل كل ذلك برضاها وطيب خاطرها ذكرا كان أو أنثى، إذا الأب معظم أوقاته تنقضي خارج البيت بعيدا عن إبنه وإبنته لا يستطيع أن يعتني بأمور أولاده، هل المرأة مسؤولة عن أن توفر لولدها الغذاء المادي فحسب؟ أما الغذاء المعنوي فمن يقدمها ؟ أو الأولاد لا يحتاجون إلى الغذاء المعنوي، في الواقع أن الأولاد هم في أشد حاجة إلى الغذاء المعنوي وغذاء الروح لايستطيعون أن يلعبوا في مضمار الحياة

دورا ملموسا أو يجلبوا للأمة المسلمة خيرا ولا نفعا، وإذا كانت المرأة أو الأم تعدم الثقافة الواسعة والعلوم النافعة ،وتحرم منها ولا يسمح لها للحصول عليها ويسجن في حرم البيت لا تتذوق نسيم الخارج لا تستطيع أن تغذي ابنها بالغذاء المعنوي، ويصبح الأولاد سواء كان من الذكور أو الإناث ،عرضة لسوء الغذاء المعنوي كما يكونون ،عرضة لسوء الغذاء المادي وفي نهاية المطاف تكون الأمة المسلمة بأسرها ،عرضة لسوء الغذاء المعنوي.

## هل المرأة الجاهلة صالحة لحمل رسالة الدعوة إلى الله

مما لا مرية فيه أن الأمة تتكون من مجتع، والمجتمع تتكون من أسرة، والأسرة تتكون من رجل وإمرأة، إذا لاحظنا أمر الله سبحانه وتعال في القرآن الكريم يتضح لنا جليا أن الرجل والمرأة بعضه من بعض يتعاونان على الخير والبر والتقوى والأعمال التي تكون لصالح الأمة المسلمة، يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ويطيعون الله ورسوله[85]" وقال في مكان آخر: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله[86]" والأمة متكونة من الرجل والمرأة.

فخطاب التكليف الإسلامي بأبعاده المتعددة جاء عاما للإنسان كجنس بشري فيه الرجل والمرأة على السواء عقيدة، وعبادة، ومعاملة وأمرا، ونهيا وحقوقا وواجبات،

[85] القرآن الكريم، التوبة، الآية 71.
[86] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 110.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة"[87]

والدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به وما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا.

وهذا يشمل الدعوة إلى العقيدة وأصول الإيمان والتحذير من الشرك وأنواعه والحث على فعل الطاعات والواجبات والحث على اجتناب المعاصي والمحرمات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتحبيب في الفضيلة والتنفير من الرذيلة، واتباع الحق ونبذ الباطل.

وكذلك أوجبت الشريعة على المسلمين التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تتضافر الجهود، ويتعاون الجميع على إقامة الحق والعدل ومحاربة الفساد والظلم.

وقد جاء الخطاب الشرعي بالأمر بالدعوة إلى الله عاما لجميع الأمة يشمل الجنسين رجالا ونساء لأن الخطاب إذا ورد بلفظ الذكور كان خطاب للنساء أيضا إلا موضع الخصوص التي قامت أدلة التخصيص فيه.

ومن الآيات التي جاءت آمرة بالدعوة إلى الله تعالى قوله: "قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين"[88].

وجاء الأمر بها صريحا: "ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون"[89].

---

[87] القرآن الكريم، النحل، الآية 125.
[88] القرآن الكريم، يوسف، الآية 108.

ومن السنة النبوية البيضاء التي تدل على وجوب الدعوة إلى الله :"من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[90].

وجميع هذه النصوص وغيرها كثيرة تدل على وجوب القيام بالدعوة إلى الله، والأمر بذلك عام على جميع المسلمين رجالا ونساء.

إذا أقررنا بأن المرأة المسلمة من أعضاء الأمة المسلمة وأركانها وأعمدتها التي يقوم عليها صرح الإسلام المتين، ويجب عليها مسؤولية الدعوة إلى الله، فكيف تؤدي واجبها ومسؤوليتها وهي تعيش في عالم منعزل عن عالمنا المعاصر تماما، أم نحن المسلمين أسقطنا عنها هذه المسؤولية والفريضة الشريفة بعد ما أوجبها الله وهو خالق الذكر والأنثى، ثم كيف تتم المناصرة للحق والتعاون على البر والتقوى بموجب الآية القرآنية السالف ذكرها، في الواقع أن الجنسين متساويان في تحمل أعباء مسؤولية الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، وإذا أخذت أحدهما برودة أوسورة فيذكرصاحبه أو تذكر صاحبها بمسؤوليته، وينشط كل منهما الآخر لأداء ما أوجبه الله عليه.

لكن هناك ينشأ سوال هام هل المرأة الجاهلة التي لا تعرف عن العالم وثقافة الناس وطبائعهم، هل تستطيع أن تقوم بعبء الدعوة إلى الله التي اصطفي لها الأنبياء الأجلاء؟ هل تقدر أن تجيد في مسؤولية الدعوة إلى الله وهي ساقطة في هوة الجهالة، أم الدعوة إلى الله ليس في حاجة إلى الخبرة والمعرفة، والأذهان اليقظة كما هو الشأن في جميع الأشغال والأعمال؟

---

[89] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 104.

[90] الصحيح لمسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث رقم 49.

كلا! إن العمل الدعوي يحتاج العلم والمعرفة مثلما يحتاج الإنسان العيون للمشي، بدونه لا يدري متى يسقط في الهوة ويلقي نفسه في الهلاك، كذلك الداعية الجاهل لا يدري متى يتسبب في تنفير الناس عن الإسلام لأنه لا يتصف بشرطية العمل الدعوي وهو الحكمة والحكمة لا تأتي إلا بممارسة العلم والمران الطويل، بل العلم من أهم ما يحسن بالآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر تتحلى به، فإن العلم زينة لها، ووسيلة صحيحة للعمل، ومرافق دائم في مجال الدعوة والأمر والنهي، إن جهالة من تأمر وتنهى فيما تدعو إليه أو تنهى عنه، قد يوقعها في حماقات كثيرة، وإشكالات عديدة، بل ربما حدثت بسبب ذلك مفاسد متعددة، أو تعطلت مصالحة راجحة.

فضلا عن أن نجعلها الداعية إلى الله جعلناها كالشبح المخيف أو العفريت المرعب يمشي على الأرض لا يرى وجهها أحد ولا يتكلمها أحد وهي في معزل عن العالم مع أنها تعيش في العالم، لا تعرف من أمور الدنيا ولا سياستها ولا ثقافتها شيئا، وجعلناها سجينة الجهل وحبيسة الفقر لا تصلح لأداء شيئ، مشلول الأعضاء ومكتوف اليد، هل نحن نتوقع من أمثال هذة المرأة أن تقوم بأعباء مسؤولية الدعوة إلى الله، هل أنصف الرجال إذا قالوا أن صوت المرأة عورة؟ هل صوت المرأة المسلمة عورة فحسب، أم صوت المرأة الأوربية والأمريكية عورة أيضا، أم صوت المرأة الأوروبية والأمريكية لا تجلب الشر ولا تسبب في إثارة الغرائز الجنسية، ثم إذا قامت إحدى أوروبيات أمام المتدين المتحجر تريد أن تعتنق الإسلام، فبماذا يجيب؟ هل يجعل في أذنه قطنا لا يسمع شيئا من صوتها؟ أو يقول: هلمي يا أختي إلى دائرة الإسلام، وأهلا وسهلا بك في مدينة الإسلام.

بل نحن المسلمين علينا أن نربي المرأة المسلمة على الثقافة الواسعة والعلوم النافعة ونحسن في تربيتها، وإذا قامت أوروبية أو أمريكية أو مسيحية أو يهودية تبسط لسانها في الشريعة الغراء أو تنال من أعراض الإسلام والمسلمين، تقوم المرأة المسلمة ترد عليها ردا حاسما، تفند رأيها، وتبطل فكرتها الخاطئة.

ولكن من الأسف الشديد أبقينا النساء جاهلات لا يعرفن من شؤون الدنيا ولا يتعلمن من ثقافات الأمم الغابرة أو الحاضرة ولا يتزودن بالمعرفة الحديثة والأفكار الراهنة، وجعلناهن يفشلن تمام الفشل في أداء مسؤولية الدعوة إلى الله، وإذا رأت النسوة الأجنبيات الصورة البشعة للمرأة المسلمة تجهمن للإسلام وعبسن وجههن له، ولا غرابة إذا قامت بعض النسوة المسلمات انفصلن عن الأمة الإسلامية والتحقن بأعداء الإسلام، وأصبحن معولا هداما في أعداء الله لهدم صرح الإسلام وذلك لم يجدن من أهل الإسلام الحقوق التي منحها الله لهن، إننا نرى في معظم البلدان المسلمة أن الأمية والجهالة على النساء قد فرضت بإسم الدين مع أن الدين والإسلام لم يفرض عليهن الأمية البتة، بل سوى بين الرجال والنساء في التزود بالعلم النافع والمعرفة النافعة التي لا تجرح كرامتها وأنوثتها ولا تعرض عفتها للخطر، وتعود عليها وعلى أمتها بالخير وتجلب لأسرتها المنفعة في العاجل والآجل، نرى المسلمين هبوا إلى تعليم المرأة وتثقيفها بعدما هزمتها الحضارة الغازية، قبل ذلك كان التيار الديني يرى دخول البنات في الجامعات حراما.

## عدم منح حق التعلم للمرأة هو منع النساء الأجنبيات من الدخول في الإسلام

نحن المسلمين شوهنا أوضاع المرأة المسلمة وشوهنا صورتها الوضيئة وجعلناها دمية كالحة، هناك نوعان من التجار تاجر يعرض متاعه وسلعته في السوق يحسن عرضها ويجيد الدعاية لها يذكر صفات وخصائص لا توجد فيها يصبح ذلك التاخر غشاشا، وأما التاجر الآخر يعرض متاعه وسلعته في السوق لكنه لا يحسن العرض ولايجيد الدعاية لها ولا يعرف بما فيها من الصفات والخصائص فتبدو تلك السلعة دون مستواها، فيعد ذلك التاجر مغفلا لأنه جلب لسلعته كسادا يجر لها الخمول وعدم القبول في عالم السوق ويتحمل الخسارة الفادحة، مثل هذا التاجر كمثل المتدين الفاسد، لا يعرف من الحقوق التي منحها الإسلام للمرأة أوتناسى حقوقها انسياقا للتقاليد والعقائد الباطلة التي ألفها من الأباء والأجداد، مع أن الإسلام بريئ منها كل البراءة، فجر للدعوة الإسلامية وسوقها الكساد لا نغلو إذا قلنا أنه نفر الراغبين فيها وبالخصوص صد النساء من اعتناق الإسلام والانتساب إليه والدخول فيه.

يقول محمد الغزالي "لنفرض أن رجلا كل رأسماله في السنة حديث الحاكم في المستدرك أن المرأة لا يتعلم، أو حديث صاحب الزوائد، أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل، ثم جاء هذا المسكين ببضاعته المزجاة أو أحاديثه الموضوعة أو المتروكة يعرض الإسلام على أهل أوربا أو أمريكا، هل يدخل في الإسلام أحد أو يحتفي به إمرأة"[91].

[91] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صف15.

# الفصل الثالث

## دعاة تعليم المرأة في القرن العشرين

كانت المرأة المسلمة ترجح تحت وطأة الجهالة وكانت قد فرضت هذه الجهالة بإسم الدين وبإسم الإسلام، وشاعت في الحلقات الإسلامية أن صوت المرأة عورة كما جسدها عورة، والسبب يرجع إلى القصور العلمي الذي بلغ مرتبة الجهل المركب عند بعض الإسلاميين المتشدقين المتحدثين عن موقف الإسلام من المرأة وكانوا يرفعون عويلهم وصيحاتهم المنكرة: المرأة لا ترى أحدا ولا يراها أحد، لا تخرج من بيتها إلا إلى الزوج أو إلى القبر.

يقول محمد الغزالي: "لقد كانت قبل الاستعمار الحديث أمية لا تقرأ ولا تكتب، وفرضت عليها هذه الأمية بإسم الإسلام المفترى عليه! فلما اجتاحت بلادنا الحضارة المادية المعاصرة، فتحت أبواب المدارس للمرأة، فلم تتعلم فيها حقائق التراث الغالي ومناقب المرأة في عصرها الأول"[92].

يعتقد محمد الغزالي أن المرأة قد سمحت لدخول الجامعات والمدارس التعليمية تحت ضغط الاستعمار الحديث، ولكن تعليمها لا يعود على الأمة الإسلامية بنفع ولا خير، وذلك أن تعليمها يتجرد تماما عن التربية الإسلامية الرشيدة وعن القيم الإسلامية النافعة، وتتعرى عن مغزى الإسلام، بل من خلال هذا التعليم المزعوم لقد غزا عقل المرأة الفكر الأوربي، وهيمنت على ذهنها هموم المادة وصبغت نفسها وشخصيتها بصبغة التقاليد الأوربية، وألصقت نفسها بالقشر دون المغز، يقول في

[92] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ61.

كتابه: "لقد غزا عقلها الفكر الأوربي، ونهجه الشارد، فإذا نحن أمام تقاليد لا تسر ومناهج لاتنفع، بل قد تضر"[93].

لقد صب المشتشرقون هجمات عنيفة على المسلمين، ووجهوا اتهامات كاذبة لا صلة لها بالإسلام، هناك هب نفر من دعاة تعليم المرأة وفندوا دعواتهم الكاذبة، يقول محمد الغزالي: "تذكرت ما قاله الأستاذ أحمد موسى سالم عن قاسم أمين وعن الدور الذي قام به في الدفاع عن الإسلام ضد الغزو الثقافي الفرنسي الذي حمى واشتد في عصره.. بدأ هذا الغزو بهجوم من المؤرخ "أرنست رينان"[94] على العرب والمسلمين تصدى له جمال الدين الأفغاني فأبطل حجته، وكشف تعصبه، ورد عن الإسلام أباطيله، وبدا الخصم العنيد وكأنه قد لان واستكان لما سمع! ثم أشتبك في الحوار المخطط الشيخ محمد عبده ليرد على إفك وزير خارجية فرنسا "ميسو هانوتو" الذي طال افتراؤه على الإسلام واتهامه لنبيه – عليه الصلاة والسلام – فكان كتاب الشيخ محمد عبده عن علاقة العلم بالدين الذي ألفه في ليلة واحدة قاطعا للسان الوزير الكذوب.

قال الأستاذ أحمد موسى: وكان دور قاسم أمين في هذا الحوار جاهزا. وكان محوره الأساسي هو المرأة في الشريعة الإسلامية. وكانت المبارزة التي خاضها مع الخصم الفرنسي الثالث "دوق داركور" الذي أصدر سنة 1893 كتابا عنوانه "مصر والمصريون" تناول فيه حياة المجتمع المصري أيام الحكم المملوكي والتركي، وهي فترة بلغت ستة قرون عجاف تراجعت فيها خصائص الحياة عن جمهرة الأمة الإسلامية، مما جعل "دوق داركور" يبسط قلمه بالأذى ويرسم صورة قاتمة وبذيئة

[93] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ61.
[94] هو كاتب ومؤرخ فرنسي أصبح شهيرا لترجمته "يسوع" دعا فيه إلى نقد المصادر الدينية نقدا تاريخيا علميا، عاش الفترة ما بين (1823-1892)

للشعب كله ويخص المرأة بمزيد من التجريح والزراية... ويرد ذلك كله إلى طبيعة الإسلام المتأبية على الترقي والحضارة"[95].

يواصل محمد الغزالي قائلا: "ماذا فعل قاسم أمين ليدافع عن دينه وأمته؟ وسارع إلى تأليف كتاب بالفرنسية فند فيه أقوال خصمه، وشرح حقوق المرأة في الإسلام، وما كلفه الدين لها من كرامة مادية وأدبية، ووازن قاسم أمين بين حجاب السترة والاحتشام عندنا وبين تبذل المدنية الحديثة وما أحاطت به أوضاع المرأة من انحلال وتهتك. إن ما فعله قاسم أمين كان محكوما بأمرين أولهما الدفاع عن الإسلام المفهوم من مصدريه الرئيسيين والآخر الاعتذار عن تخلف المرأة بأنه تقاليد غريبة على التوجيه الإلهي ناشئة عن أخطاء الشعوب!"[96]. وهكذا بدأت النهضة التعليمية في القرن العشرين التي بدت مظاهرها في إنشاء المؤسسات التعليمية والتربوية من مدارس ومعاهد تعليمية وكليات وغيرها من دور التربية والتعليم. عندما نتتبع تاريخ تعليم الفتاة نرى أن أول مدرسة قد أنشئت كانت لتعليم الفتيات فن التمريض في عهد "محمد على بك الكبير"، وتخرج فيها العديد من الفتيات، وحقق بعضهن تقدما هائلا ونبوغا في شتى المجالات، وسار على شاكلة "محمد عبده" و"قاسم أمين" وغيره من الأعلام رفاعة الطهطاوي، وحمل لواء تعليم المرأة الذي كان من أحد مبعوثي مصر إلى فرنسا، فأصبح أول داعية في العصر الحديث إلى تعليم الفتاة، وذلك في كتابه الذي سماه "المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين"، طبعت عام 1872 للميلاد بمصر[97].

---

[95] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ 17-18.
[96] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ18.
[97] مجلة الثقافة، العدد 109، عدد أكتوبر 1989 للميلاد، الجزائر، صفـ17، بتصرف.

أشار رفاعة الطهطاوي في كتابه "المرشد الأمين" إلى احتياجية تعليم البنات ومدى أهميته وذلك أن المرأة المتحلية بالثقافة الواسعة والتعليم المناسب لحاجاتها وحاجات الوطن تقدر أن تربي النشء الجديد تربية صالحة وينشأ للإسلام والوطن جيلا صالحا يرفع رأية الإسلام والوطن في سماء الدنيا عالية، وينهض بمسؤولياته وأعبائه كما أن التعليم يشغل فراغ المرأة ويجعلها تمضى معظم أوقاتها في الأعمال تعود بالنفع والربح عليها وأبناء وطنها، وأيد رفاعة الطهطاوي دعواته بذكر نماذج رائعة من نساء شهيرات كان لهن أثر ملموس في تقدم مجتمعهن ورقيه وازدهاره. فقد وجد رفاعة لدعوته صداها في صورة مدرسة أسست للبنات عام 1873 للميلاد في مصر. وانتسب إليها وقت افتتاحها مئتا فتاة، ازداد عددهن بعد سنة واحدة إلى أربعمائة، وكان برنامج المدرسة يقوم على تعليم القراءة والكتابة، والقرآن، والحساب، والجغرافيا، والتاريخ والتطريز، والأعمال المنزلية.

لم تقف الدعوات إلى تعليم الفتاة على رفاعة الطهطاوي، بل تكاتف معه أناس كثير الذين درسوا في أوربا ورأوا بأنفسهم أن النهضة التعليمية لم تكن مقتصرة على الرجال بل تحيط بالصنفين رجالا ونساء، وتشمل البنات والبنين، منهم "على مبارك"، "حفني ناصف"، و"أحمد شوقي" الشاعر، و"أحمد فارس الشدياق" وغيرهم رفعوا علم الدعوة إلى تعليم المرأة[98].

وكان لـ"عبد العزيز جاويش"[99] دور ملموس في هذا المجال، إنه اعتنى بالدعوة إلى الاهتمام بالجانب التربوي في تعليم البنات، دعا إلى تصفية البرامج المدرسية من التخبط والاضطراب، وأكد أن التربية السليمة ليست أن يملأ الأذهان بمختلف

[98] مجلة الثقافة، العدد 109، عدد أكتوبر 1982 للميلاد، الجزائر، صف 17، بتصرف.
[99] عبد العزيز جاويش من رواد التربية والصحافة والاجتماع، عاش الفترة ما بين (عام 1876م-1929م)

المسائل والعلوم، لكنها كما ذهب علماء التربية إلى أن تعمل على تطوير الفكر وتهذيب العقل وتثقيفه حتى يؤهله أن يتجه إلى المعلومات فيزنها بميزان الاعتبار، وينفذ إليها حتى لا تخفى عليه دقائقها، وأن تزود النفس بالأدب العالي وجميل الشمائل، حتى يستطيع أن يعمل قواه العقلية والجسدية في أحسن سبلها.

وانتهى إلى أن الغاية من تعليم المرأة تتم عن طريقين: عن طريق تدريس كتب الدين، وإصلاح أعمال الناشئات بالأسوة الحسنة، والمثل العليا الصالحة، شعر ضرورة إصلاح نماذج خاصة، وإيجاد برنامج شامل لتعليم المرأة وتربيتها، تتلخص برامجه في أشياء: الصحة العامة، والتدبير المنزلي، وقوانين الصحة الشخصية، والإسعافات الأولية، ودروس الخياطة، والطهى والنسيج[100].

ترى الأديبة "باحثة البادية" أن يشمل في منهج تعليم البنات الدراسي تعليم القرآن والسنة النبوية الغراء، وأن يسمح للنساء الذهاب إلى المسجد حتى يستمعن إلى الوعظ الديني، ويغترس في قلوبهن غرس الوازع الديني، وذلك عن طريق سماع المواعظ الحسنة في المدرسة والبيت، ورأت من الواجب تدريس التواريخ الشرقية، وانتقدت نقدا شديدا إهمال المدارس الأجنبية تدريس ذلك التاريخ على الخصوص، مع عنايتها البالغ بالتاريخ الغربي[101].

لم يتخلف "حفني ناصف" في تأييد موقف "باحثة البادية" ورأى من اللازم الملاحظة على المبادئ والقيم يجب أن يقوم عليها تعليم الفتاة منها: القرآن الكريم،

---

[100] سلسلة أعلام العرب رقم 44، الأستاذ أنور الجندي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، صفـ196-197، بتصرف، سنة الطباعة لم تذكر.

[101] باحثة البادية، عبد السلام العشري، الناشر: وزارة التربية والتعليم، إدارة الشؤون العامة، القاهرة، عام 1958م، صفـ62-63.

والسنة النبوية المطهرة، والتاريخ الصحيح، والتربية الصالحة المستدامة لتقوية الوازع الديني، الذي يحميها من الزلات، ويتمسك بها أن تحيد عن الطريق المستقيم.

ولم تتوقف الدعوة النسائية إلى تعليم البنات على "باحثة البادية"[102] بل التحقت بالموكب السيدة "زينب الفواز"[103] التي صدحت دعوتها إلى تعليم البنات عام 1892 للميلاد بالكتابة المتواصلة في الصحف اليومية، والمجلات الدورية، وفي هذا الصدد ألفت كتابا سمتها "الرسائل الزينبية"[104].

في نهاية المطاف أثمرت جهودها الجبارة ودعواتها المليئة بالإخلاص لله النتائج المثبتة، فبرزت طلائع من الأديبات والعالمات على سبيل المثال: السيدة تمرهان الطبيبة ساهمت في تأليف بعض الكتب الطبية، وهي كانت عضوا في تحريرمجلة اليعسوب، والسيدة التيمورية،[105] والسيدة فاطمة الأزهرية،[106] والسيدة ستيتة الطبلاوية[107]، وغيرهن كثير.

ثم واصلت الدعوة إلى تعليم البنات مسيرتها، حتى امتلأت المدارس بالفتيات وأصبحت معمورة بهن الجامعات والكليات، ساهمت المرأة مشاركة فعالة في الحياة العامة بفكرها ورأيها وجهودها، وبعد أن كان عدد الخريجات قليلا يعد

---

[102] "ملك حفني ناصف" عاشت الفترة ما بين (1886-1918) هي أديبة مصرية وداعية للإصلاح الاجتماعي فيي أوائل القرن العشرين، اتخذت إسم "باحثة البادية" اشتقاقا من بادية الفيوم التي تأثرت بها.

[103] "زينب فواز" أديبة لبنانية وهي شاعرة مؤرخة شغلت الحياة الأدبية بمصر خلال الربع الأخير من القرن التاسع، تُوفيت عام 1914م،

[104] مجلة الثقافة، العدد 109، عدد أكتوبر 1989 للميلاد، الجزائر، صفـ18.

[105] "عائشة التيمورية" هي عائشة عصمت بنت إسماعيل باشا بن محمد كاشف تيمور، شاعرة مصرية عاشت الفترة ما بين (1840-1902).

[106] فاطمة الأزهرية هي أديبة مصرية، عاصرت عائشة التيمورية.

[107] أديبة مصرية برعت في فن العروض، وهي من معلمات عائشة تيمورية.

بالبنان، أصبحنا نرى أعدادا كبيرة في جميع مجالات الحياة، مثل: الطب، والأدب، والتدريس، والهندسة، والاقتصاد والسياسة.

لم يتخلف الشعراء عن موكب الدعوة إلى تعليم المرأة بل حاولوا جاهدين في نفخ الروح في تلك الدعوة بأشعارهم النافذة إلى القلوب، ورأوا أن تعليمها حاجة ملحة، فهاهو الشاعر الفحل، "أحمد محرم"[108] يدعو إلى تعليم المرأة، وذلك أن الأم المتعلمة تربي أبناءها على العزة والمروءة وتدفعهم إلى القيادة والسيادة، وتحثهم على التقدم والرقي، ويرى أحمد محرم أن الطريق إلى المجد والرقي مرتبط بتعليم المرأة فيقرض أشعارا فيه:

أ تعرف شعبا لم تلده عليمة  مهذبة فاستن سنة سؤدد

إذا نحن علمنا البنات سمت بنا  إلى سورة من يفت رعاها

رعى الله قوما آثروا الحزم يمجد  خطة وأموا بنا قصد السبيل المعبد[109]

وفي مكان آخر يلفت "أحمد محرم" عناية شعبه إلى تعليم الفتاة، ويهيب به ألا ييأس من تعليمهن، فهن أمهات المستقبل، ومربيات النشء الجديد، والأم المثقفة ثقافة واسعة رحمة والجاهلة نكبة على نفسها ووطنها وأمتها، أهال هجمات عنيفة على الذين اعترضوا على تعليم المرأة وجعلوها في عداد مفسدة كبرى، ذكر أن الأم الجاهلة لا يتوقف ضررها على أسرتها فحسب بل يتعدى إلى إلى البلد والأمة بأسرها:

---

[108] "أحمد محرم" أحمد محرم ابن حسن عبد الله الشركسي، شاعر القومية، مصري من أصول شركسية عاش الفترة ما بين (1877-1945).

[109] ديوان أحمد محرم، تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، المجلد الثاني، الطبعة الأولى 1984م، صفـ145.

لا تيأسوا، وأعدوا الأم صـــالحة في السبيل إلى الإصلاح ما فسـدا

الأم للشعب إما رحمـة وهـــــدى أو نكـبة مـالها من دافع أبـــــدا

لا يذهب الشعب في أخلاقه صببا والأم تذهب في أخلاقها صعـــدا

لن ينفع العلم والأخلاق فـاسـدة والنفس جامحة لا تتبع الـرشـدا

وجاهل ظن أن العلم مفـــــيدة للبنت فانتقص التعليم وانتـقدا

مهلا، فـرب فتـاة أهلكت بجهلها، وعجوز أفسدت بلدا أسرا[110]

وقـد أتعـب الشـاعر المهنك فكره وقـواه، وكـد ذهنـه يبحـث عمـن تتقـدم بهـم الـدول وتنهض بهم الأمم وتصنع بهم الحضارات، وينكشف بجهدهم المتواصل غبار الجهل والتخلف عن أبناء الأمة فوجد أن هذا العمل المجيد والمهام الشاق لا ينهض به الرجل وحده، بل تتكاتف فيه الفتاة والفتى إذا أعدا إعدادا صالحا للقيام بهذا العبء الثقيل.

يقول أحمد محرم:

أعملت رأيي في معنى الحياة لمن يبني الحياة فكان البنت والولدا

ماذا يصان بتـــدبير ومـــعرفة وذا يعد لإصلاح البلاد غـــدا[111]

ترى الشاعرة "باحثة البادية" أن التعليم ليس مقصورا على الرجال، بل هو ضرورة أساسية للرجل والنساء معا، ولا يختص به جنس دون جنس آخر، وتجد أن العلم

---

[110] ديوان أحمد محرم، تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح،الكويت، المجلد الثاني، الطبعة الأولى 1984م، صفـ187،188.

[111] ديوان أحمد محرم، تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، عام 1984م، صفـ187-188.

قرين التربية الإسلامية التي يجب أن يربى عليها الفتى والفتاة، فتقول في معرض رثائها للشيخ محمد عبده الذي لا يزال مطالبا تعليم المرأة:

ليبكك العلم والإسلام ما سلما  وليزرفا الدمع أو فليخرجاه دما

والعلم والدين للجنسين معـــا  فليس يختص جنس واحد بهما[112]

لم يدع الشعراء فرصة للدعوة إلى تعليم المرأة إلا اغتنموها فنجد "محمد عبد المطلب"[113]. في معرض للحديث عن حجاب المرأة، يفند المزاعم الذين يزعمون أن الحجاب يمنع المرأة عن تلقي العلم وتحصيل المعرفة، فيقول ردا عليهم ومبطلا حجتهم، إن الحجاب ليس حاجزا ولا عائقا في سبيل تلقي العلم والمعرفة للمرأة.

وزعموهن بالحجاب عن العلم  ونور العرفان محتجبـــات

بنت مصر كالشمس يحجبها الليـ  ـل وراء الآفاق والظلمـــات

وهي في أفقها ضياء ونـــــــور  ساطع في بدورها النيـــرات

أو هي المسك ينفذ العرف عنه  من وراء الأستار والحجرات[114]

ويشكو "حافظ إبراهيم" التخلف والتدهور الذي يعانيه الشرق وإغفال تعليم المرأة وإهماله، ومن أجل ذلك يدعو أبناء وطنه إلى تربية البنات تربية صحيحة، وإعدادهن إعدادا صالحا فالأم مدرسة يتخرج فيها النشء الجديد وجيل

---

[112] باحثة البادية، عبد السلام العشري، الناشر: وزارة التربية والتعليم، إدارة الشؤون العامة، القاهرة، 1958م، صفـ61.

[113] "محمد عبد المطلب" عبد العزير الأحمر، ولد في شبراخيب بمحافظة البحيرة، كتب الأغاني وأنتج الأفلام، عاش الفترة ما بين (1910-1980م)

[114] ديوان محمد عبد المطلب، مطبعة الاعتماد بمصر، الطبعة الأولى، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ34.

المستقبل، وهي معلمة المعلمين الذين ضاءت بهم الدنيا وتنور بهم العالم وظلت مآثرهم معالم على طريق العلم والمعرفة، وشأن الأم شأن الحديق، إذا أحسنا أورقت وأزهرت وأثمرت، يقول حافظ في أبياته الشهيرة:

من لي بتربية النساء فإنها في الشرق علة ذلك الإخفاق

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبا طيب الأعراق

الأم روض إن تعهد الحيا بالري أورق أيما إيـــــــراق

الأم أستاذ الأساتذة الألي شغلت مآثرهم مدى الآفاق[115]

ثم أفاض "حافظ إبراهيم" الحديث عن قضية "السفور والحجاب" في أبيات تالية للأبيات السابقة، في نهاية القصيدة يوصي بتربية البنات على الفضيلة والحياء:

ربوا البنات على الفضيلة فإنها في الموقفين لهن خير وثاق

وعليكم أن تستبين بناتـــكم نور الهدى والحياء الباقي[116]

ومن الشعراء الأفذاذ الذين بذلوا عناية بالغة بتعليم المرأة، أمير الشعراء أحمد شوقي الذي حث كثيرا في شعره على تعليم البنات، ورغب في ذلك بذكر أمثلة ونماذج من النساء المتعلمات في صدر الإسلام، ومن هذه النماذج الجديرة بالاقتداء: سكينة بنت الحسين حفيدة رسول الله- صلوات الله وسلامه عليه- فقد روت الحديث النبوي، وفسرت آيات الذكر الحكيم.

[115] ديوان حافظ إبراهيم، المجلد الأول، المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1948م، صفـ282.
[116] ديوان حافظ إبراهيم، المجلد الأول، المطبعة الأميرية بالقاهرة، الطبعة الثالثة 1948م، صفـ183.

يقول "أحمد شوقي" في قصيدة له قدمها في جمع حافل بالسيدات المصريات بمسرح حديقة الأزبكية عام 1924 للميلاد مطلعها:

قم حي هذي النيرات حي الحسان الخيـــــرات

خذ بالكتاب وبالحديث وسيرة السلف الثقاتـــــقة

وارجع إلى سنن الخـيـ واتبع نظم الحيـــــــــاة

هذا رسول الله لـــــم ينقص حقوق المؤمنـــــات

العلم كان شريعـــــة لنسائه المتفقهـــــــــات

رضن التجارة والسيا سة والشؤون الأخريـــــات

ولقد علت ببنانـــــه لجج العلوم الزاخـــــرات

وحضارة الإسلام تنـ طق عن مكان المسلمـــات

بغداد دار العالمـــا تومنزل المتأدبـــــــات

ودمشق تحت أميـة أم الجواري النابغـــــات

ورياض أندلس نميـ ن الهاتفات الشاعـــرات[117]

ولقد أشار أحمد شوقي إلى أن النساء في عصور الإسلام الراقية تعمقن في التجارة والسياسة، وعملن في مجالات متنوعة ومتعددة و حضارة الإسلام

[117] ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، المجلد الثاني، 1980م، صفـ24-25.

تنطـق بتـوفير أمـاكن الدراسـة والتعلـيم للمـرأة في أرجـاء العـالم الإسـلامي في: بغداد ودمشق والأندلس.

وتعلـيم المـرأة في رأي شـوقي أولى مـن تشـييد القـلاع والحصـون، لأن النسـاء هـي اللاتـي ينجـبن الأبطـال الـذين يقومـون على حمايـة الـوطن، وهـن اللائـي ينشـئن ويربين الأجيال التي تتحلى بالأخلاق الفاضلة.

يقول شوقي في رثاء عاطف بركات باشا، وكيل وزارة المعارف:

أرى التعليم لما زلت عنـــه ضعيف الركن مخزولا مضاعـا

غريق حاولت يده شراعـا فلما أوشكت فقد الشراعـــــا

سراة القوم منصرفون عنه وصحف القوم تقتضب الدفاعا

قم ابن الأمهات على أســس ولا تبن الحصون ولا القلاعـــــا

فهن يلدن للقصب المذاكي وهن يلدن للغاب السباعـــــا

وجدت معاني الأخلاق شتى جمعن فكن في اللفظ الرضاعـا[118]

ويذكر الشاعر الفحل شوقي كيف تمثل الأم دورا رئيسيا في تربية البنات فتترك أثرا بالغا في ولدها وتشحن قلبها بالشجاعة والرشاد، أوتغرس فيه بذور الجبن والغواية فهي الصوت وهو الصدى وهو عود لين في يدها تشكله كيف تشاء.

لو لا التقى لقلت لم يخلق سواك الولدا!

[118] ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب الدكتور أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، المجلد الثاني،1980م، صفـ478.

إن شئت كان العير أو إن شئت كان الأسدا

وإن ترد غيا غوى أو تبغ رشدا رشدا

والبيت أنت الصوت في ه، وهو للصوت صدى

وكالقضيب اللدن: قد طاوع في الشكل اليدا

يأخذ ماعودته والمرء ما تعودا!

وفي مكان آخر قام شوقي بالتحذير والحيطة من جهل الأمهات فالأم الجاهلة لا ترضع أبناءها إلا الجهل والخمول، وعند شوقي أن اليتيم ليس من فقد أبويه ورعايتهما إنما اليتيم في رأيه هو من لم يستطع أبواه أن يعلماه ويربياه تربية صالحة.

وهو يوجه نداءه إلى المعلمين مشفقين عليهم وهم يحملون أعباء التعليم ودون أن يجدوا مساعدة من قبل الأمهات.

إني لأعذركم وأحسب عبئكم من بين أعباء الرجال ثقيلا

وجد المساعد غيركم وحرمتم في مصر عون الأمهات جليلا

وإذا النساء نشأن في أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

ليس اليتيم من انتهى أبواه من هم الحياة وخلفاه ذلا

فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما وبحسن تربية الزمان بديلا

إن اليتيـــم هـو الذي تلقى لـه  أما تخلت أو أبـا مشـغـــولا

## التدين الفاسد عائقة في وجه تعليم المرأة

إذا كان الإسلام حث على طلب العلم بصورة جادة وجعله فريضة وعبادة سواء أ كان ذلك بالنسبة للرجال أم النساء، فإن قضية تعليم المرأة تعد من القضايا التي لا زالت تفرض نفسها على الفكر التربوي الإسلامي، لأنها لم تأخذ بعد موقعها ومكانها المناسب في البناء التربوي الإسلامي المعاصر، فبعض دعاة الفكر الإسلامي المعاصرين لم يولوا عنايتهم بالفتاة بقدر عنايتهم بالفتى، ولم يقدموا لها المنهج المناسب لأداء رسالتها في مجتمعها، كما لايزال الكثير من هذه القضية موضع أخذ ورد، في ضوء اعتقاد البعض أن الإسلام قد فرض قيودا على تعلم المرأة، انطلاقا، من دوافع الغيرة الشديدة عليها، والتخوف من كل من يحتمل فيه من مجال الغواية والانحراف، فهم يقولون تتعلم المرأة القرآن الكريم والدين الإسلامي ليس غير- مع أن فهم القرآن الكريم في ضوء العصر الراهن يقتضي الحصول على العلوم الأخرى من الجيوغرافيا والتاريخ وما إلى ذلك من العلوم- وينهون عن تعليمها الكتابة والشعر، وقد أورد الجاحظ هذا الرأي في كتابه "البيان والتبيين" فيقول: "لا تعلموا بناتكم الكتابة، ولا تروهن الشعر، وعلموهن القرآن، ومن القرآن سورة النور"[119].

كما أشار القابسي الفقيه القيرواني في كتابه "الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" إلى أن تعلم الأنثى القرآن والعلم حسن ومن

[119]- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، المجلد الثاني، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، عام 1998 م، صفـــ180.

مصالحها، أما أن تعلم الترسل والشعر وما أشبه، فهو مخوف عليها، إنما تعلم ما يرجى لها من صلاحها، ويؤمن عليها من فتنة وسلامتها من تعلم الخط أنجى لها.[120]

وذهب أبو الثناء الآلوسي إلى تحريم تعليم البنت الكتابة، وقد ألف كتابا في هذا المعنى سماه "الإصابة في منع النساء من تعلم الكتابة"[121].

إن هناك أناسا في المجتمع الإسلامي يسمون أنفسهم بالمسلمين يطيرون ببضاعتهم المزجاة في الساحات الإسلامية وهم يهدمون صرح الإسلام بإسم الإسلام، يصب عليهم محمد الغزالي ضرباته الشديدة ينتقدهم نقدا شديدا، يقول في كتابه "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة": "أن رجلا كل رأسماله في السنة حديث الحاكم في المستدرك أن المرأة لا تتعلم الكتابة، أو حديث صاحب الزوائد أن المرأة لا ترى رجلا ولا يراها رجل، ثم جاء هذا المسكين ببضاعته المزجاة أو أحاديثه الموضوعة والمتروكة يعرض الإسلام على أهل أوربا أو أمريكا، هل يدخل في الإسلام أحد؟ هل يحترم الإسلام رجل أو تحتفي به امرأة"[122].

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاتجاه الخاطئ الضار للمجتمع الإسلامي والأمة المسلمة بصورته المختلفة، ومستوياته المتعددة، ما زال متحركا داخل عقول أفراد وجماعات كابرا عن كابر تتحفظ على تعليم المرأة وحدوده، وتثير العديد من الشبهات حول حقها في التعليم والعلم، وحددوه محصنين أنفسهم بدروع من الشريعة والبيولوجيا وشواهد الحياة.[123] رغم أن الله قد أعطى المرأة حق الدعوة

---

[120] الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين، أبو الحسن على بن محمد خلف القابس، دار المعارف، القاهرة، عام1980م، صفـ289.

[121] دراسة عن تعليم المرأة في الإسلام، محمد مرسى، مجلة التربية القطرية، السنة 20، العدد 92، يناير عام 1990م، صفـ86.

[122] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ 15.

[123] تاريخ تعلم البنت في مصر تاريخ قضايا وآراء، حسان محمد حسان، السنة التاسعة، العدد الثالث، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، بسرس الليان 1979، صفـ57.

إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتدريس هدايات الإسلام ومجادلة الملحدين فيها هناك مجموعة من الناس يقومون سدا حائلا في وجه المرأة وحقها في التعليم، يقول الأستاذ محمد الغزالي في كتابه "قضايا المرأة": "معركة نشبت بعدما اكتشف أن الدكتور طه حسين أذن لعدد من الطالبات بدخول كلية الآداب عندما كان عميدا لها، وكان موقف الإيمان أو بتعبير أدق موقف المؤمنين أن ذلك لايجوز، أما الطرف الآخر، والذي سمي بالملاحدة فهو الذي ناصر تعليم المرأة إلى أعلى المستويات، أي أنصاف للإسلام في هذه المعركة السخيفة؟ الدين مع الجهل، والإلحاد مع العلم؟ إلى متى نسمع لأناس يكذبون على الأرض والسماء باسم الدين؟[124]

يواصل محمد الغزالي قائلا: "فقد سألني أحد القراء عن حكم في مصدر إسلامي مهم، أن عمر منع النساء عن تعلم الخط، وكأنه يرى الأمية الأولى بهن! فأجبت ساخرا: ولم تكون الأمية حكرا عليهن وحدهن؟ ينبغي أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى، وتمشيا مع فهم الأعوج لحديث "نحن أمة أمية" يا صديقي أن الحديث الذي يمنع النساء من تعلم الكتابة مكذوب، وكل خبر يهون من شأن العلم بما في الأرض والسماء لا يوثق به"[125].

## تعليم المرأة وتربيتها من منظور محمد الغزالي

إن محمد الغزالي رحمه الله كان في الستينات يؤكد على أولوية عمل المرأة داخل بيتها ولكن على مر العصور وبعد أن تقلب في أحضان بلاد العالم شرقه وغربه تطور فكره حول قضايا المرأة، وأصبح في الستينات يسعى إلى إيجاد توازن

[124] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ20.
[125] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ24.

بين مسؤلية المرأة داخل بيتها وأسرتها، ومسؤليتها نحو قضايا الأمة.[126] ولعل ذلك بعد ما شاهد المرأة الأوروبية كيف تشارك في شؤون بلادها وأمتها، تفرح لفرحها وتحزن لأجلها.

ويرى محمد الغزالي: أن مستقبل الإسلام رهين بإعادة النظر في قضايا عديدة منها قضية المرأة، وأن التضييق كان مدخلا لأعداء الدين لكي ينفذوا إلى المجتمع الإسلامي،[127] وقال محمد الغزالي: لا بد من تثقيف المرأة وعرف التثقيف: بأنه تفتيق الذهن والمواهب وتصحيح فكرة الإنسان عن الكون والحياة وتعهد سلوكه بما يلائم الحق والواجب.[128]

قال الأستاذ محمد الغزالي: إن التربية نشاط شعبي قبل كل شيئ، لا بد من تغيير التقاليد السيئة والأوهام الشائعة،[129]

يقول الأستاذ محمد الغزالي: إن التربية الناجحة تحتاج إلى البيئة السليمة، والتربية المنشودة ليست دروسا تلقى، إنما هي جو يصنع، وإيحاء يغزو الأرواح باليقين الحي والعزيمة الصادقة،[130]

يطالب الأستاذ محمد الغزالي: بتربية المرأة تعليما راقيا يؤهلها لإدراة منزلها ومجتمعها فتفيد أسرتها وتثري مجتمعها، فالمرأة المؤهلة الملتزمة بآداب الإسلام تستحق أن تتقلد أرفع المناصب وتعمل في الوظائف العامة بحرية تامة.

---

[126] الحق المر، محمد الغزالي، الإدارة العامة للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، أكتوبر عام 2005م الجيزة، مصر، صفـ94، 95.
[127] الحق المر، محمد الغزالي، الإدارة العامة للطباعة والنشر، الطبعة السابعة، أكتوبر عام 2005م، الجيزة، مصر، صفـ96.
[128] من هنا نعلم، محمد الغزالي، الطبعة الخامسة، يناير عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، صفـ166.
[129] صيحة التحذير من دعاة التنصير، محمد الغزالي، الإدارة العامة للنشر، الطبعة الثالثة، أكتوبرعام 2005م، صفـ24، 25.
[130] نظرات في القرآن، محمد الغزالي، الطبعة السادسة، يوليو عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، صفـ94.

وقال الأستاذ محمد الغزالي في كتابه ركائزالإيمان في بيان ضرر الأحاديث المكذوبة مثل حديث "لا تعلموهن الكتابة ولا تسكنوهن الغرف، وحديث: "خير للمرأة ألا ترى رجلا ولا يراها رجل" فهذه الأحاديث الباطلة استقبلها الناس كأساس السلوك في بعض البينات.[131]

أشار الأستاذ في كتابه "فقه السيرة": "إلى أن الجهل بالسنة النبوية جعل البعض يعزل النساء تماما عن الحياة العامة،[132] ويواصل قائلا في كتابه "تراثنا الفكري" : أتخوف من سيطرة بعض الحركات الإسلامية في حال الوصول للحكم، لأنهم لا يؤمنون بمبدأ التوسع في تعليم المرأة.[133]

تناول الأستاذ بعض المتدينين باللوم والإنكار، لأنهم لم يعرضوا سماحة الإسلام في قضايا المرأة، بل هم من أسباب نفور الحركات النسائية من تعاليم الإسلام، في نفس اللحظة انتقد الحركات النسائية لأنها هاجمت الدين لا المتدينين.[134]

وقال الأستاذ محمد الغزالي : إشكالية تعليم النساء في القرن العشرين، لم تفتح المدارس أبوابها إلا بعد محاولات مضنية، ولا تزال فكرة عزل المرأة عن الدين والدنيا قائمة في أدمغة نفر من المتدينين[135] .

يرى الأستاذ محمد الغزالي: إلى أن من يربي الإناث من رعاية الأسس النفسية والاجتماعية من أجل تقديم برامج إصلاحية نافعة، وحدد مجموعة من الأسس في هذا الإطار ذكر منها: توثيق الصلة بين المرأة وينابيع الثقافة الدينية والمدنية،

---

[131] ركائز الإيمان، محمد الغزالي، دار الشروق، مصر، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ157.
[132] فقه السيرة، محمد الغزالي، دار الشروق، مصر، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ 36.
[133] تراثنا الفكري: في ميزان الشرع والعقل، محمد الغزالي، الطبعة الأولى، يناير عام 1991م، دار الشروق، مصر، صفـ47، 63.
[134] حصاد الغرور، محمد الغزالي، دار الشروق، مصر، عام 1998م، صفـ 207.
[135] كتاب مقالات الأستاذ محمد الغزلى، المجلد الأول، الطبعة الرابعة، أكتوبر عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، صفـ 29.

وإعادة الحياة للعلاقة بين النساء وبيوت الله في الصلوات، فضلا عن تدريس الوظائف التربوية للبيت المسلم حتى نستطيع تخريج أجيال تعرف ربها ودينها ومعاشها ومعادها، كما أوصى بالحكم بإعدام ما تواصي المسلمون به في تقاليد الزواج من مغالات في المهور، وإسراف في الحفلات، ووصل ما بين البيت المسلم وقضايا المجتمع الكبرى[136].

وتراجع الأستاذ محمد الغزالي عن هذا الرأي فيما يتصل بالاختلاط المحتشم في المرحلة الجامعية، وطالب الأستاذ محمد الغزالي بضرورة السماح للمرأة بارتياد المساجد والمدارس، وبين أن سفور الوجه ليس محرما، وأكد أن تدريب المجتمع على تطبيق الفضائل والآداب العامة يحتاج إلى تربية على نظام أتم وأشمل[137].

ويرى الأستاد محمد الغزالي: أن المرأة يمكنها أن تعمل في تدريس الأطفال إلى سن التاسعة أو الحادية عشر.[138]

حذر الأستاذ محمد الغزالي : من التعليم المختلط في المدارس الثانوية، لأنه جمع يوقد الشر ويؤجج المشاعر عند المراهقين، فطبيعة هذه المرحلة لا تسمح بذلك، وستكون الدراسة فاشلة، كما طالب بتوحيد زي الطالبات في جميع مراحل التعليم.[139]

لم يمنع الأستاذ محمد الغزالي الاختلاط بين الجنسين على إطلاقه بل فصل في الأمر.

---

[136] قذائف الحق، محمد الغزالي، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، سنة الطباعة عام 2002م، صفـ298.

[137] من هنا نعلم، محمد الغزالي، الطبعة الخامسة، يناير عام 2005م، نهضة مصر، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، صفـ160-166.

[138] حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، محمد الغزالي، الطبعة الرابعة، أغسطس عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، صفـ96.

[139] الحق المر، محمد الغزالي، المجلد الثالث، الطبعة الرابعة، أكتوبر عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، صفـ 38.

يستطيع المربون انتقاع مقطوعات تربوية وتعليمية من ذلك الفكر الأصيل النابض وتسخيره لنهضة حضارية تقوم على توظيف طاقات المرأة المعطلة، وجعل قضيتها ركيزة إيمانية لبناء فلسفة واضحة، وتحديد معالم استراتيجية محددة لتثقيف المرأة، وتصويب المفاهيم الشعبية الخاطئة، ومراجعة الموروثات الفكرية الشائعة كوظيفة أولى للتربية، والرد على شبهات الغلاة، والتعريف بالتربية الإسلامية عالميا، والأستاذ محمد الغزالي: يعتز بالمصلحين ويقر فضلهم ويقدر مواقفهم، ويتخير من آراءهم ولكن لا يتحيز لفكرهم، والتربية الصحيحة هي القوة الفعلية لنهضة الأمم دوما، ورغم أن الأستاذ محمد الغزالي شديد الإعجاب بجمال الدين الأفغاني وفكره في الإصلاح السياسي، إلا أنه لا يعتبر تغيير الحكومات هو الحل الجذري لأنه رفع مستوى الشعوب.[140]

والخلاصة : تتركز فلسفة الأستاذ محمد الغزالي التربوية على ضرورة الإصلاح الشامل وضرورة تقديم الفكر الإسلامي المنفتح، عن طريق السلوك الحميد، وعن طريق التعاون مع كل من يمكن التعاون معهم، لأن الحكمة لا وطن لها فأينما وجدها المسلم فهو أحق الناس بها.

[140] الحق المر، محمد الغزالي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، مايو عام 2005م، الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر صفـ62.

# الباب الثالث

# آراء محمد الغزالي حول مشاركة المرأة في الشؤون السياسية في الإسلام

## الفصل الأول

## تاريخ مشاركة المرأة في الشؤون السياسية

## الفصل الثاني

## مشاركة المرأة غير المسلمة في النشاط السياسي وبطولتهن الرائعة

## الفصل الثالث

## واقع مشاركة المرأة في العمل السياسي لدى الحركات الإسلامية

# الفصل الأول

## تاريخ مشاركة المرأة في الشؤون السياسية في الإسلام

في معظم الأحيان نجعل العمل السياسي في الترشيح والترشح في البلديات وفي مجالس الأمة، وتولي الوزارات، ونحو ذلك في حين أن الرؤية الإسلامية للعمل السياسي أشمل وأوسع وأعمق من هذا بكثير.

وفي أكثر الأحيان استنكر البعض أن يكون العمل السياسي ميدانا تصلح له المرأة ويصلح لها ولا نود أن نتقدم في الحديث حول هذا الموضوع بعيدا إلا إذا سقنا الحديث عن تاريخ مشاركة المرأة ومساهمتها في العمل السياسي بمفهومه الواسع في عهد النبي- صلوات الله وسلامه عليه.

## مشاركة المرأة في الهجرة

فهناك مجموعة من النساء هاجرن إلى المدينة في سبيل الله كما يسجل القرآن الكريم في آياته الأبدية: "يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك"[141]

روى البخاري بسنده عن بن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع مروان والميسور بن مخرمة – رضي الله عنهما – يخبران عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لما كتب سهيل بن عمر يومئذ، كان فيما اشترط سهيل بن عمر على النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته

[141] القرآن الكريم، الأحزاب، الآية 50.

علينا، وخليت بيننا وبينه. فكره المؤمنون ذلك، وامتعضوا منه، وأبى سهيل إلا ذلك، فكاتبه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، فرد يومئذ أبا جندل على أبيه سهيل بن عمر، لم يأته أحد من الرجال إلا رده في هذه المدة، وإن كان مسلما، جاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ممن خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهي عاتق، فجاء أهلها يسألون النبي صلى الله عليه وسلم أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم لما أنزل الله فيهن: "يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بإيمانهن" إلى قوله "ولا هم يحلون لهن"[142].

وقد جاء في "كتاب المفهم" حديث قل عن البخاري رحمه الله: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: وقد كانت أسماء بنت عميس هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر...[143]

## مشاركة المرأة في البيعة

وهناك نموذج أخر من القرآن الكريم والسنة النبوية من المبايعة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو رائد الأمة وقائدها وقد ذكر القرآن الكريم هذه البيعة المباركة ذكرا فائضا - والبيعة في صلب السياسة - فقال تعالى: "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم"[144].

---

[142] السنن الكبرى للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقي، تحقيق محمد عبد القادر عطاء، الجزء التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، صفـ382، سنة الطباعة لم تذكر.

[143] كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي عن نسخة نادرة بخط الرحالة المغربي ابن بطوطة، تقديم وتحقيق د. عبد الهادي التازي، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، عام 2005م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، صفـ1274.

[144] القرآن الكريم، الممتحنة، الآية 12.

فهذا أحسن دليل بأن الآية الكريمة صريحة تمام الصراحة في أن النساء يتساوين مع الرجال في مبايعتهن للرسول- صلى الله عليه وسلم- على الالتزام بالتكاليف الشرعية، التي كلف الله بها الرجال وقد ذهب إلى هذا الرأي محمد الغزالي،[145].

عن عبد الله بن عباس- رضي الله عنه - قال: "شهدت الفطر مع النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان-رضي الله عنهم - يصلونها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد، خرج النبي صلى الله عليه وسلم كأني أنظر إليه حين أجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى جاء النساء معه بلال فقال: يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك، ثم قال حين فرغ منها: "آنتن على ذلك" قالت امرأة منهن لم يجبه غيرها نعم. لا يدري حسن من هي. قال: فتصدقن فبسط بلال ثوبه ثم قال: هلم فداء أبى وأمي، فيلقين الفتح والخواتيم في ثوب بلال"[146].

عندما تم فتح مكة على يد المسلمين بعدما عاشوا مدة طويلة حياة الهجرة في المدينة، وعاد المهاجرون إلى ديارهم الحبيبة ومساكنهم العزيزة، وسقطت أصنام الكفر والظلم الكبار، فر من فر من مكة وأسلم جمع كبير على يد الرسول- صلى الله عليه وسلم - من سادات مكة وسيداتها كبارها وصغارها، رجالها ونساءها أغنياءها وفقراءها ومنها كانت إمرأة أبي سفيان هند بن عتبة، دار بينها وبين النبي الكريم- صلوات الله وسلامه عليه- حديث فيه شيئ من الجرأة وصراحة القول وحرية الرأي وديموقراطية الفكر، لو كان ذلك في زماننا هذا في مجالس الشيوخ والعلماء الكثيرين لعد من الإساءة والإهانة لا يغفر، قال محمد الغزالي ناقلا عن

---

[145] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ14 ، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

[146] كتاب غوث المكدود بتخريج منتقى ابن الجارود ، تأليف أبي إسحاق الحويني الأثري، الجزء الأول، الطبعة الأولى، عام 1988م لدار الكتب العربي، بيروت، لبنان، صفـ 230.

الآلوسي: "قال الآلوسي: "وممن بايعن الرسول -صلى الله عليه وسلم- في أعقاب فتح مكة: هند بنت عتبة- زوجة أبي سفيان- وقد دارت بينها وبين الرسول- صلى الله عليه وسلم- محاورة منها: أنه - صلى الله عليه وسلم- لما قرأ "ولا يسرقن" قالت: والله إني لأصيب الهنة- أي: الشيئ القليل- من مال أبي سفيان، وما أدري أيحل ذلك أم لا؟ فقال النبي: ما أصبت من شيئ فيما مضى فهو حلال لك، فلما قرأ صلى الله عليه وسلم "لا يزنين" قالت: يا رسول الله أو تزني الحرة ؟!! فلما قرأ "ولا يقتلن أولادهن" قالت: ربيناهم صغارا، وقتلتهم كبارا، تشير إلى قتل ابنها حنظلة في غزوة بدر، وفي رواية أنها قالت: قتلت الآباء وتوصينا بالأبناء"؟ تشير إلى مقتل أبيها وعمها في غزوة بدر!! فلما قرأ "ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن" قالت: إن البهتان أي الكذب- لقبيح، ولا يأمر الله إلا بالرشد ومكارم الأخلاق. فلما قرأ "ولا يعصينك في معروف" قالت: والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفي أنفسنا أن نعصيك"[147].

كتب السنة النبوية الكثيرة ملئية بنماذج البيعة والمبايعة، وتتضح من خلال ذلك أن المرأة لها شخصية مستقلة، وأنها ليست مجرد تابع للرجل بل هي تبايع كما يبايع الرجل، وتمارس العقد كما يمارسه الرجل، ويتجلى أن بيعة النساء هي بيعة الإسلام، الطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، والرجال والنساء فيها متساوون وليست شخصيتها دون شخصية الرجال، وليست كرامتها أقل من كرامة الرجال وليس أجرها عند الله أقل مما يعطى الرجال.

[147] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي و الدكتور أحمد عمر هاشم صفـ 55-54، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

ويتضح كذلك أن بناء مبايعة النساء النبي الأكرم- صلوات الله وسلامه عليه- على أساسين:الأول: باعتباره- صلوات الله وسلامه عليه- المبلغ عن الله، والثاني باعتباره قائد المسلمين ورائدهم، والذي يؤكد وجود الاعتبار الثاني قوله تعالى: "لا يعصينك في معروف، يقول محمد الغزالي في كتابه ساخرا على أوضاع المسلمين الراهنة وموقفهم وموقف العلماء من المرأة في البلدان الإسلامية في آسيا وإفريقيا: "لقد شاركت المرأة في بيعة العقبة الكبرى، وشاركت في بيعة الرضوان تحت الشجرة! ومن المؤكد أنها كانت ستمنع من مثل هذه المبايعات في تاريخ المسلمين الأخير وسيقال لها: أمكثي في بيتك!"[148].

## مشاركة المرأة في المشورة

ولا يخفى على دارس لكتب السنة النبوية قصة أم سلمة الذهبية في صلح الحديبية حينما شكا زوجها النبي الأكرم- صلوات الله وسلامه عليه - إليها همه من أن الصحابة لم ينصاغوا لأمره بالتحلل وفك الإحرام. فأشارت عليه: أخرج أنت وفك الإحرام، فيقتدوا بك! واستحسن الرسول صلوات الله وسلامه عليه رأيها. وهكذا كان! وهذا خير دليل وخير نموذج لجعل الرجل همه وغمه أمام زوجته سواء كان ذلك سياسيا، اقتصاديا أو شخصيا أو غير ذلك، ولا يستنتج منه أن حديث الرجل ينحصر في شؤونه المنزلية، فأسرار الحياة كلها مفتوحة أمامها.

## مشاركة المرأة في الغزوات والحروب

يصور محمد الغزالي بطولات الصحابيات اللآتي ساهمن مساهمة فعالة في الغزوات تصويرا رائعا، ومنهن عائشة الصديقة وأم سليم رضي الله عنهما فيقول:

[148] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ14 ، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

"هذه عائشة وأم سليم- رضي الله عنهما- كان يخدمان المجاهدين في غزوة أحد، ففي الصحيحين عن أنس- رضي الله عنه- قال" رأيت عائشة بنت أبي بكر، و أم سليم، حين انهزم الناس يوم أحد، وإنهما المشمرتان، ينقزان - أي يحملان- القرب على متونهما، تفرغانها في أفواه القوم"[149].

وهناك نموذج آخر رائعة للعناية البالغة للشؤون السياسية والإسلامية التي قدمتها الصحابية الجليلة أمية بنت قيس الغفارية، يسجل قصتها محمد الغزالي في كتابه: "فيقول: "هذه أمية بنت قيس الغفارية- أبلت بلاءا حسنا في غزوة خيبر، فقلدها الرسول بعد الغزوة قلادة تشبه الأوسمة العسكرية في عصرنا، فكانت تزين صدرها طول حياتها، وأوصت بدفنها معها بعد وفاتها"[150].

لا يرى محمد الغزالي ومن سلك على شاكلته واغترف من منهله أن تكون المرأة مقاتلة ومصارعة في الحروب ولكنه يرى من أن تدرب المرأة حتى تكون قادرة على دفاع نفسها ونفس غيرها عند مسيس الحاجة إليه، قد سجل عبد الحليم محمد أبو شقة[151] ناقلا عن الطبقات بن سعد: "فقد أورد ابن سعد في الطبقات أن أم عمارة حملت السلاح ودافعت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن انهزم المسلمون.وكان عمر بن الخطاب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد: ما التفت يمينا ولا شمالا إلا وأنا أرى أم عمارة تقاتل دوني"[152].

---

[149] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم ، صفـ 68، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

[150] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم ، صفـ 68، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر..

[151] "محمد حليم أبو شقة" كاتب ومفكر إسلامي، وُلد في حي الجماليه بالقاهرة، عاش الفترة ما بين (1924-1995م) من أهم أعماله "تحرير المرأة في عصر الرسالة"

[152] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 53، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

والمرأة كانت تحصل على الغنائم بعد أن وفق المسلمون النصر والفوز، "فعن ابن عباس: .... كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بهن ويحذين من الغنيمة..."[153].

كانت لدى المرأة حنين شديد إلى المشاركة في الحروب والغزوات وإلى الشهادة كما كان الرجال يشتاقون ويتسابقون إليها جماعات وأفواجا "فعن أنس بن مالك رضي الله عنه...قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله ....فقالت "أم حرام" يا رسول الله أدع الله أن يجعلني منهم. قال اللهم اجعلها منهم... فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت غازيا أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية فلما انصرفوا من غزوتهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت"[154].

إن نظام الدفاع والقوة العسكرية لها شعب وفروع، والمرأة قد ساهمت في معظم الشعب الحربية من صنع الطعام، ومداواة الجرحى، والقيام على المرضى، ونقل القتلى والجرحى، وسقي العطشى وغير ذلك من أمور، وبالكاد توجد غزوة لم تشارك فيها المرأة، لم تكن عاجزة عن تمثيل دورها في المجالات الإسلامية المختلفة ولم يكن باب العالم مغلقا دونها بإسم الدين وهي كانت تؤدي جميع وظائفها وواجباتها في جو من احتشام بعيدا عن الاختلاط الفاحش والريبة والظنون.

قد أتى عبد الحليم محمد أبو شقة في كتابه "تحرير المرأة في عصر الرسالة "بروايات من الصحيح لمسلم حول كل هذه الأعمال تقدم لنا الصور الصادقة

---

[153] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 53، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

[154] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 54، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

لمشاركة المرأة في الحروب والغزوات: "عن أم عطية: "غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات أخلفهم في رحالهم وأصنع لهم الطعام"[155].

قد دون عبد الحليم محمد أبو شقة في كتابه الوقائع التي تتجلى من خلالها دور النسوة الأنصارية في مداواة الجرحى مع تواجد الخوف أن يقعن الأسرى في يد الكفار ومشركي مكة "وعن أنس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سليم ونسوة من الأنصار إذا غزا يداوين الجرحى".[156]

لم تكن مشاركة المرأة في الحروب والغزوات مجرد حادث، بل الروايات في كتب التاريخ تدل على كثرة مشاركتهن "وعن حفصة بنت سيرين عن إمرأة من الأنصار: أن زوج أختها غزا النبي صلى الله عليه وسلم ثنتي عشرة غزوة فكانت أختها معه في ست غزوات، قالت: فكنا نقوم على المرضى".[157]

"عن الربيع بنت معوذ: ..... كنا نغزو مع النبي صلى الله ... ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة..."[158]

لم يكن دور المرأة متوقفا على مشاركتها في الحروب والغزوات والمبايعة والتمريض والدعاية، بل يتجاوز إلى معظم شعب السياسة إلى الإجارة، والتمليك، وتقديم الأمان، ذكر محمد الغزالي قصة أم هانئ الشهيرة في كتابه "المرأة في الإسلام": "فقد ثبت في الحديث الصحيح، أن أم هانئ بنت أبي طالب، جاءت إلى النبي- صلى الله

---

[155] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 53، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.
[156] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 53، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة، عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.
[157] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 53، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة، عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.
[158] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ 53، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة، عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

عليه وسلم- يوم فتح مكة فقالت: إني قد أجرت رجلين من أحمائي- أي من أقارب زوجي، فقال لها - صلى الله عليه وسلم- قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ، أي قبلنا جوارك، وأصبح من أخذ منك الأمان في أمان- أيضا- منا"[159].

وهناك قصة رائعة وبطولة باهرة للصحابية قد ساهمت في المعارك الإسلامية الضارية الأولى وهي كانت قوية الإرادة متغلغلة الإيمان في نفوسها، وهي أفدت ابنها في سبيل الله صورهما محمد الغزالي في كتابه "المرأة في الإسلام" تصويرا جميلا يبدو للقارئ كأنه يشاهد الفيلم في إحدى دور السينمات يقول: "وكان حبيب شابا مؤمنا جريئا، فلما رآه مسيلمة قرر قتله! فسأله أولا: أتشهد أن محمدا رسول الله؟

قال: نعم.

قال: أتشهد أني رسول الله؟

فتصامم حبيب، وأشار بوجهه لا أسمع.

وكرر مسيلمة دعواه، وكرر رفضه الصامت المستهزئ المستكبر! وهنا بدأ مسيلمة يقطع الشاب المؤمن عضوا عضوا، كلما سأله فرفض الإيمان به قطع جزءا من جسمه، فلما استمر تقطيع الأشلاء، ونزف الدماء فاضت روح الشاب الجلد هو يحتقر الباطل ويعز الحق!

وعلمت أمه "نسيبة بنت كعب الأنصارية" بمصرع ولدها على هذا النحو فنذرت ألا تغتسل حتى تتأثر لولدها وحتى يقتل مسيلمة، وخرجت المرأة مع ابنها عبد الله واشتركت في معركة اليمامة وقاتلت جيش مسيلمة أشد قتال، وأصابها اثنا ع شر

[159] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ14 ، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

جرحا وهي مقدمة شجاعة، وقطعت يدها خلال المعركة الشرسة، لكن خيل الله قتلت مسيلمة ومحت أكذوبته بالدم الغزير، وانتصر الحق، وزاح الإفك، وعادت نسيبة بعدما وفت بنذرها!

أكان أحد يستطيع ردها عندما خرجت؟

كلا..... لقد شهدت من قبل قتال أحد، وشهدت بيعة الرضوان في عمرة الحديبية، وشهدت فتح مكة ويوم حنين، ومن قبل ذلك شاركت في بيعة العقبة، إنها مثل عال للمسلمة المجاهدة التي شرفت أسرتها ودينها..."[160] يواصل محمد الغزالي قائلا: "وأعلم أن بعض المتفيهقين في عصرنا لو صادف المرأة الصالحة وهي خارجة من بيتها لتقاتل الكذاب وأتباعه لقال لها: أقعدي في بيتك، لا يجوز لك هذا! إن هؤلاء المتفيهقين تعرفهم عصور الاضمحلال العقلي"[161].

لم تكن نسيبة في هذا المجال وحيدة ولا ينعدم مثال البطولة والشجاعة عليها، هناك نموذج آخر مزيج بالبطولة والأمانة والصدق والشرف، ونفذ كل ذلك إلى قلب العدو اللدود وانقلب درعا للصحابية عندما وقعت في يد الأعداء.

ساق محمد الغزالي حديثها في كتابه "سر تأخر العرب والمسلمين" بشيئ من التفصيل قصة الصحابية التي لا تزال تكون قدوة على مر العصور للنسوة التي سنحت لهن فرصة العمل في هذا المجال التي بادلت الإحسان بالإحسان والشرف بالشرف وإنها كانت تدري وما جزاء الإحسان إلا الإحسان: "حدث في حروب الردة أن أسر خالد بن الوليد مجاعة بن مرارة سيد أهل اليمامة، فأوثقه ورمى به عند

[160] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صف31-32، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

[161] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي و الدكتور أحمد عمر هاشم، صف32، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

امرأته أم تميم في فسطاطها وحفظت المرأة أسيرها، فلم ير الأسير منها إلا الشرف والصدق!

وجال المرتدون جولة هزموا فيها المسلمين، واقتحموا فسطاط خالد، حمل رجال منهم بالسيف على أم تميم، فألقى الأسير رداءه عليها وقال: أنا لها جار، فنعمت الحرة والله ما علمت! دعوها وعليكم بالرجال!

ثم عادت الكرة للمسلمين، واستعادوا الفسطاط، وأخذوا يقتلون محتليه، ووضعوا أيديهم على الأسير ليقتلوه! فقالت له أم تميم أنا له جارة فتركوه.

كانت للمرأة شخصية، ومكانة فلم يحاول أحد مراجعتها أو تخطئتها، ونحن نعرف حديث "قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ!"[162].

## مشاركة المرأة في المحن والمعانات

يتجاوز دور المرأة السياسية من الحرب إلى الدعوة ومن المبايعة إلى المعاناة منها قصة أم عمار بن ياسر، يقول محمد الغزالي في كتابه "المرأة في الإسلام": "عن عثمان بن عفان - وهو من قمة قريش- قال بينما أنا أمشي مع رسول الله بالبطحاء إذ بعمار وأبيه وأمه يعذبون في الشمس ليرتدوا عن الإسلام! قال أبو عمار: يا رسول الله، الدهر هكذا؟

فقال صبرا يا آل ياسر، اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت، وجاء قادة الجاهلية ليسروا بمنظر التعذيب، وكان بينهم أبو جهل الذي غاظه تجلد المرأة، وصبرها على

[162] سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، صفـ21-22، الطبعة السابعة، مارس عام 2005م، الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي المهندسين- الجيزة.

ما ينزل بها، فطعنها بحربته في أسفل بطنها طعنة مزقت رحمها وأودت بحياتها فكانت أول شهيدة في الإسلام".[163]

هنا نموذج أخر من الأنبياء السابقين ينقل عبد الحليم محمد أبو شقة في كتابه رواية عن الصحيحين للبخار ومسلم: "عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله: "إني سقيم" وقوله تعالى: "بل فعله كبيرهم هذا" وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتي على جبار من الجبابرة فقيل له: إن هذا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني. فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال أدعي الله لي ولا أضرك...فدعت الله فأطلق، ثم تناولها الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: أدعي الله ولا أضرك.. فدعت الله فأطلق، فدعا بعض حجبته فقال: إنك لم تأتني بإنسان إنما أتيتني بشيطان. فأخدمها هاجر، فأتته وهو قائم يصلي فأومأ بيده مهيم؟ قالت: رد كيد الكافر أو الفاجر في نحره وأخدم هاجر. قال أبو هريرة: تلك أمكم يا بني ماء السماء".[164]

---

[163] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي شاركه الدكتور سيد محمد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ27-26، إدارة الكتب والمكتبات
، سنة الطباعة لم تذكر.

[164] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني،صفـ110، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة، عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

## مشاركة المرأة في الاهتمام بالدعوة ونصرة الدين

هناك نموذج آخر للمرأة الصادقة في إيمانها، قد أحرزت قصب السبق في ميدان السياسة حينما فازت في استمالة قلب أخيها عمر بن الخطاب لدين الله الذي أعز الله الإسلام بإسلامه، يقول محمد الغزالي في كتابه "المرأة في الإسلام": "يحكي المؤرخون أن أخت عمر بن الخطاب كانت أسبق منه إلى الإسلام، لقد أدمى وجهها عندما علم بإسلامها وهاجمها بقسوة فقالت له: يا عمر إن الحق في غير دينك، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله! ثم أسلم عمر بعد، ودخل الرجال والنساء في دين الله، وأعطوا المواثيق على اعتناق الحق والعمل به والذود عنه، وانتظمت الصفوف في المسجد النبوي تستوعب الرجال والنساء على سواء"[165].

## مشاركة المرأة في صراحة القول عند سلطان جائر

هناك قصة عديمة النظير في صراحة القول أمام سلطان جائر، قصة صحابية قتل ولدها فلم تنكسر ولم تعجز ولم تستكن، التي يعجز عنها كبار الشيوخ في عصرنا الراهن، بل نجد كثيرا من العلماء والشيوخ يتسابقون في كسب مرضاة الحكام والولاة وبيع دينهم بعرض من الدنيا، يقول عبد الحليم محمد أبو شقة في كتابه "تحرير المرأة في عصر الرسالة": "عن أبي نوفل قال: ثم انطلق الحجاج يتفقد حتى دخل عليها -أي أسماء بنت أبي بكر- فقال كيف رأيتني صنعت بعدو الله - يقصد قتل ولدها عبد الله بن الزبير- قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك... أما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا إن في بني

[165] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني،صفـ8، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة، عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

ثقيف كذابا ومبيرا. أما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا أخالك إلا إياه قال: فقام عنها ولم يراجعها"[166].

[166] تحرير المرأة في عصر الرسالة، الجزء الثاني، صفـ57، عبد الحليم محمد أبو شقة، الطبعة السابعة عام 2002م، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت.

# الفصل الثاني

## مشاركة المرأة غير المسلمة في النشاط السياسي وبطولتهن الرائعة

يتألم محمد الغزالي من وضع المرأة المسلمة في الأقطار العربية والإسلامية تألما شديدا، وهذا الوضع قد فرض عليها بسبب التقاليد توارثها المسلمون من الأمم المهزومة من الفرس والروم وغيرها والتقاليد الوافدة من الغرب. إن التقاليد الموروثة قد صبغها المسلمون بصبغة الدين وافتروها باسم الدين، دافعوا عنها كأنهم يدافعون عن الدين والعقيدة، مع أن ليس لها بالدين صلة، وإنه بريئ منها براءة الذب من دم يعقوب، ومن سوء الحظ قد وجدت هذه التقاليد أنصارا من المسلمين الجهلة والعلماء المزعومين ليس لهم يد طولى في الكتاب والسنة فخلقوا لها أقوالا سائرة، وفسروا السنة النبوي على طراز يخدم تقاليدهم الكاذبة ومزاعمهم الواهية.

والنوع الثاني من التقاليد وهو التقاليد الوافدة مع الأمم الغازية من الغرب جعلت المرأة فريسة لمكرها ودهاءها وهي أيضا وجدت جوازا من قبل العلماء المتفيهقين الذي رفضوا أن يعطوا للمرأة حقوقها الإسلامية في ضوء الكتاب والسنة، وأصبحت المرأة قد منعت من المساجد، والكتابة والقراءة والتعليم والثقافة، وأصبح دورها يدور حول فراش البعل، وجدران المنزل، وعدت آلة لإرضاء الضروة الحيوانية وإنجاب الأطفال وأصبحت هي فريضتها الألى والأخيرة، فلا دور لها في مجال الدعوة والمجتمع والنشاط السياسي، فاستغل أعداء الإسلام من أوربا هذه الفرصة، ولهم الدكتوراة في استغلال لمثل هذه الفرص، فصبوا حملات منكرة على الإسلام والمسلمين ومعتقداتهم، وأثاروا الغوغاء والضوضاء بأن الإسلام يظلم

المرأة ويسجنها في البيت ويبقيها في هوة الجهالة، فوجدوا الأنصار وحاملي رأية الفساد من بين النساء الجاهلات عن تعاليم الإسلام.

ونتج عن ذلك أن الإسلام لم يرزق النساء المتحمسات له كما رزق الضلال فشن الأعداء غارات من جهة ليس فيها الدفاع.

يحكي محمد الغزالي قصة امرأة مترجلة تضيق بالإسلام في "كتابه الحق المر": "كانت ذات منصب ونفوذ استغلتهما في تشويه الإسلام، ومحاربة رجاله وتنصير قوانين الأسرة، ومساعدة الاستعمار الثقافي جهد الطاقة! ثم شاء الله أن يذهب ذلك كله، لكن بقي الكره في نفسها لشرائع الإسلام وشعائره...وذهبت في سياحة طويلة ثم عادت فوجدت الطالبات محجبات، جمهرة كبيرة من النساء يملن إلى الاحتشام ويكرهن التكشف والتبرج، فإذا هي تعلن سخطها وتقول: إن الرجعية عادت! وإن الأمة مهددة بانتكاسة، وإن ما بذل بالنهوض بالمرأة ضاع وموشك بالضياع...؟"[167]

لم يكن إعجاب محمد الغزالي لما قرأ هذه الأخبار، لم يكن يتوقع من أمثال هذه المرأة توبة نصوحا، لكن إعجابه ودهشته كان لما سمع من صديق له أنها طلبت النساء الكبيرات الجاه زيارة بابا الفاتيكان، وهو يواصل قائلا: "أما الذي عجبت له فما حكاه صاحبي لي بعد ذلك، قال: إنها طلبت مع بعض النسوة الكبيرات المقام أن يزرن بابا الفاتيكان، وقيل لهن: لا مانع، ومراسم الزيارة معروفة، إن البابا لا يستقبل إلا نسوة مؤدبات محجبات، يبدون في أزياء الراهبات لا يظهر منهن إلا والوجه واليدان، وقلن في رضا واقتناع: لا حرج ودخلت السيدة التي ازدرت الفتيات

[167] الحق المر، الجزء الأول، محمد الغزالي، الطبعة السابعة، أكتوبر عام 2005م، صفـ 117، الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي – المهندسين- الجيزة.

المسلمات المستعفات في ملابس كاملة وزي تام الحشمة! وخرجت من المقابلة قريرة العين، شاعرة بالزهو...."

"لقد فكرت طويلا في هذا السلوك، إن فتياتنا الشاعرات برقابة الله الساعيات إلى رضائه ارتدين الملابس التي قضت بها آداب الإسلام، فكن موضع غضب هذه المرأة وأشباهها! فلماذا لبست هي لباس التقوى عند ما سعت إلى مقابلة رئيس ديني آخر يطلب ذلك؟"

"وعرفت الجواب المحزن، إن بيننا رجالا ونساء يبسطون ألسنتهم في الإسلام دون وجل، و ينتقصون رجاله دون حياء.. فإذا كانوا خارج أرضه التزموا الحدود المقررة وتقيدوا بالآداب المرعية، بل لو رحلوا إلى بلد يعبد العجول لسارعوا إلى حمل حزم من الحشائش يتقربون بها إلى الإله المصنوع!!"

هؤلاء الرجال والنساء هم حصيلة سنين طويلة من الاستعمار الثقافي والعسكري، أفرغ أفئدتهم من الإيمان كله، ومنحهم قدرة خارقة على إضاعة الصلوات، واتباع الشهوات، وتعريف المنكر، وإنكار المعروف."[168]

يقدم محمد الغزالي نماذج كثيرة من النساء المشركات الباسلات نهضن بقومهن وشاركن في تنمية بلادهن عبر العصور، وتحمسن لحماية أديانهم الباطلة وأضفن في قوة بلادهن العسكرية وهزمن المسلمين هزيمة نكراء وألحقن الخسارة الفادحة ببلادهم نحتاج لإصلاحها إلى أجيال قادمة في العصور الآتية، ومن هذه النماذج رئيسة إسرائيل "جولدا مائير".

[168] الحق المر الجزء الأول، محمد الغزالي، الطبعة السابعة، أكتوبر عام 2005م، صفـ117-118، الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي – المهندسين- الجيزة.

"وقد لاحظت المرأة اليهودية شاركت في الهزيمة المخزية التي نزلت بنا وأقامت دولة إسرائيل على أشلاءنا، إنها أدت خدمات اجتماعية وعسكرية لدينها، كما أن امرأة يهودية هي التي قادت قومها وأذلت نفرا من الساسة العرب لهم لحى وشوارب في حرب الأيام الستة وفي حروب تالية"[169]

وقد أصاب محمد الغزالي في قوله إذا قرأنا حوارا لها مع صحافي في جريدة "آسيا تربيون"[170] في الوقت الحالي دهشنا لفطنتها العسكرية هنا ننقل من حوارها: عام 1973 اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل، في حين قام عضو مجلس الشيوخ الأمريكي بزيارة دولة اسرائيل في مهمة خاصة، وتم ترتيب لقاء خاص مع رئيسة الوزراء الاسرائيلية "جولدا مائير" على الفور، رحبت جولدا مائير ضيفها في منزلها كأنها ربة بيت ترحب ضيف الأسرة، قد أخذته إلى مطبخ بيتها جعلته يجلس على طاولة المائدة في المطبخ، أثناء إعدادها الشأي لضيفها أجرت المفاوضات حول صفقة الطيارات، والصواريخ، والدبابات والبناديق، أعدت كأسين من الشأي في بالغ السذاجة قدمت أحدهما للحارس على الباب والآخر للضيف، وبعد أن تمت المفاوضات انتهى الفريقان إلى صفقة السلاح.

والجدير بالذكر أن دولة اسرائيل في ذلك الحين كانت تواجة الأزمة المالية الشديدة، ولكن صفقة السلاح الكبرى قد تمت في غاية السذاجة في تاريخ اسرائيل، ومن المدهش أن كابينة اسرائيل قد رفضت نفس الصفقة على أساس أنها باهظة التكلفة، وقالت: لو رضينا بهذه الصفقة لتضطر الأمة الاسرائيلية بأسرها إلى غذاء الوقت الواحد عبر السنوات القادمة.

---

[169] السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث، محمد الغزالي، صفـ53، دار الشروق، عام 1989م.
[170] آسيا تربيون (asiantribune.com) جريدة يومية الكترونية تصدر باللغة الإنجليزية، تهتم بنشر أخبار آسيا.

كانت تعرف جولدا مائير موقعها وقالت: شكواكم على راسخ الأساس ولكن إذا فزنا في الحرب وهزمنا العرب، يذكرنا التاريخ كفاتح، وإذا سجل التاريخ أمة كفاتح تنسى كم عدد من البيضات أكلت، وكم مرة تناولت الطعام، هل كان على طاولة المائدة عسل أو زبدة أم لا؟ وكم ثقوب كانت في نعالهم؟ وهل كانت أغمدة السيوف حديثة أوقديمة، الفاتح هو الفاتح.

على أساس منطق جولدا الصائب، اعترفت كابينة اسرائيل بهذه الصفقة، وفي وقت لاحق قد ثبت أنها أصابت في قرارها، وشهد العالم كله أن اسرائيل قد قرعت أبواب العرب في الحرب بهذه الدبابات الفتاكة، وذاقت العرب مرارة الهزيمة النكراء على يد هذه المرأة الحديدية الذكية.

وبعد عقد كامل لهذه الحرب، مراسل لصحيفة "واشنطن بوست" سأل جولدا مائير في مقابلة لها "هل كان المنطق في ذهنك لصفقة الأسلحة ارتجاليا أو كانت الاستراتيجية مسبقا" كان رد جولدا مائير في غاية الإعجاب، وكان فيما ردت على المراسل: " إنني أخذت هذا المنطق السليم من نبي المسلمين - صلوات الله وسلامه عليه- عندما كنت طالبة كان من أحب المواضيع لدي الدراسة المقارنة بين الأديان والمذاهب، في تلك الأيام كانت تحت دراستي حياة النبي- صلوات الله وسلامه عليه- قد كتب واحد من الكتاب: "حين مات النبي-صلوات الله وسلامه عليه- لم يكن في بيته مال لشراء الزيت للمصباح، زوجته عائشة قد جعلت درعه في الرهن حتى تشتري الزيت، على الرغم من ذلك كان عدد السيوف المعلقة بجدران بيته تبلغ إلى تسعة.

لما قرأت هذا المقدار، دار في ذهني كم من الرجال في هذا العالم يعرفون الوضع المالي الأسوأ لدولة المسلمين؟ لكنهم يعرفونهم كفاتحين لنصف العالم، فعهدت شراء الأسلحة على أي حساب كان، حتى لو اضطررنا إلى المجاعة، والعيش في المخيمات بدلا من المباني الشامخة، ولكن نحن نثبت أنفسنا فاتحين.[171]

يعتقد محمد الغزالي أن امرأة ذات مواهب نفسية وكفاءات قيادية أفضل بكثير من الرجل الذي يحرم منهما، ويقول في نفس الكتاب في مكان آخر إلقاءا الضوء على فداحة الخسارة التي ألحقت بها الأمة الإسلامية: "أما مصائب العرب التي لحقت بهم يوم قادت "جولدا مائر" قومها فحدث ولا حرج، قد نحتاج إلى جيل آخر لمحوها! إن القصة ليست قصة أنوثة وذكورة! إنها قصة أخلاق ومواهب نفسية"[172].

يبرئ محمد الغزالي نفسه بأنه ليس من هواة تولي المرأة الحكم العليا ورئاسة البلاد، لكنه يتناول بالنقد الذين يفسرون الحديث على غير وجه، إذا ولي أمر القوم إلى امرأة تخيبهم في آمالهم، وتجر لهم العار، وهو يقدم نموذج "إنديرا غاندي" المرأة الحديدية التي حكمت الهند بكل ذكاوة، يقول: "وقد تحدثت في مكان آخر عن الضربات القاصمة التي أصابت المسلمين في القارة الهندية على يد "إنديرا غاندي" وكيف شطرت الكيان الإسلامي شطرين فحققت لقومها ما يصبون، على حين عاد المرشال "يحي خان" يجرر أذيال الخيبة"[173]

---

[171] www.asiantribune.com/?q=node/11826

[172] السنة النبوية بين أهل الفقة وأهل الحديث، محمد الغزالي، صفـ59ـ، دار الشروق، مصر، عام 1989م.

[173] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م صفـ58ـ59.

ويقول محمد الغزالي في نفس الكتاب في مكان آخر: لقد أجرت "إنديرا غاندي" لترى أ يختارها قومها للحكم أم لا؟ ولسقطت في الانتخابات التي أجرتها لنفسها! ثم عاد قومها فاختاروها من تلقاء أنفسهم دون شائبة إكراه"[174].

يقول محمد الغزالي إن الساحة للمرأة المسلمة مفقودة من الحياة الاجتماعية في حين أن الراهبات في إفريقيا النائية وفي البلدان المختلفة يكسبن قلوب الفقراء والمرضى والمنكوبين ويلعبن دورا هاما في التنصير، ونحن نناقش هل صوت المرأة عورة أم لا؟

يقول في كتابه: "وقد لاحظت في الشمال الإفريقي وأقطار أخرى أن الراهبات وسيدات متزوجات وغير متزوجات يخدمن التنصير بحماس واستبسال"[175].

يلفت أنظار المرأة المسلمة إلى المسؤولية والأعباء التي تنهض بها الطبيبات الانجليزيات في مخيات اللاجئيين، لماذا لا توجد مثل هذه الطبيبات من بين المسلمات لماذا دور المرأة المسلمة فاقد من ساحات القتال مع أن مثل هذه الطبيبات كن موجودات في ساحات القتال في عهد النبي- صلوات الله وسلامه عليه- لتداوي المرضى، وتمريضهم ونقلهم، كل ذلك يرجع إلى أن المسلمين قيدوا المرأة بسلاسل التقاليد المورثة الواهية، فلا الشعر والكتابة ولا الأدب.

إن الضلال قد رزق الطبيبات الماهرات الباسلات وأن الإيمان قد حرم من ذلك كله تمام الحرمان، فتلك الطبيبات يكسبن قلوب المرضى للإسلام أو للكفر، وإذا انفصل واحد من المرضى من دار الإيمان إلى دار الكفر فمن يلام؟

---

[174] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م ، صفـ59.
[175] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ53.

يقول محمد الغزالي في كتابه "الحق المر": "لعلنا لا ننسى الطبيبة التي بقيت في مخيمات اللاجئين الفلسطين وهي تهدم على رؤوس أصحابها وتحملت أكل الموتى من الحيوانات والجثث، ثم خرجت ببعض الأطفال العرب آخر الحصار لتستكمل معالجة عللهم في انجلترا..."[176].

إنه يلفت أنظار المسلمين إلى أن يكونوا متفائلين لا متشائمين بأنه إذا ثقفوا بناتهم وعلموهن يقعن لعبة في يد الأعداء، هناك ساحات شريفة وساحات رذيلة إذا أدبوهن حسب تعليمات الإسلام وربوهن في الإطار الإسلامي والبيئة الملئية بالحشمة والحياء يكون الفرص منعدمة لوقوعهن في شباك الأعداء.

ويقول محمد الغزالي في مكان آخر: "إن هناك نشاطا نسائيا عالميا في ساحات شريفة رحبة لا يجوز أن ننساه لما يقع في ساحات أخرى من تبذل وإسفاف".[177]

وتوجد المواهب والقدرات في الأشخاص لا توجد في غيرهم وقد فضل الله بعضهم بعضا في الذكاوة والدراية والاستعداد العقلي، وهذه السنة تجري في النساء قد يتفوقن كثيرا من الرجال فلا ينبغي أن يحرم الإسلام من هذا التفوق العقلي والاستعداد الذهني في حين من الأحيان.

ساق قصة ملكة سبأ تفوقت كثيرا من أصحاب الحل والعقل من قصرها في المواهب النفسية والقدرات العقلية عندما رفضت أن تستكبر استكبارا وتعلو علوا على سليمان نبي الله بل اختارت ان تختبره هل هو ملك أو نبي من الأنبياء؟ مع أن أرباب القصر الملكي أشاروا عليها بأن لديها الشوكة الشائكة والقوة الهائلة للدفاع

---

[176] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م صفـ53.
[177] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م ، صفـ53.

عـن ملكهـا الواسـع الخصـب وعرشـها العظـيم، أن هـذه الملكـة تمـارس عملهـا بالشـورى، فهي أفضل بكثير من الرجال الذين يستبدون بالرأي فهي لا تجر العار والمذلة لقومها بل تحاول جاهدة في احتفاظ سلامة بلادها وأمانها، وحمايتها من الخراب والدمار.

يواصل محمد الغزالي قائلا في كتابه "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" : "أن النبي - عليه الصلاة والسلام- قرأ على الناس في مكة سورة النمل، وقص عليهم في هذه السورة ملكة سبأ التي قادت قومها إلى الإيمان والفلاح بحكمتها وذكاءها ويستحيل أن يرسل حكما في حديث يناقض ما نزل عليه وحي، وكانت بلقيس ذلك ملك عريض، وصفه الهدهد بقوله "إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيئ ولها عرش عظيم"[178]. وقد دعاها سيلمان إلى الإسلام، ونهاها عن الاستكبار والعناد، فلما تلقت كتابه، تروت في الرد عليه، واستشارت رجال الدعوة الذين سارعوا إلى مساندتها في أي قرار تتخذه، قائلين "نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد، والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين"[179].

ولم تعتز المرأة الواعية بقوتها ولا بطاعة قومها لها، بل قالت: نختبر سليمان هذا لنتعرف أهو جبار من طلاب السطوة الثروة أم هو نبي صاحب إيمان ودعوة؟ ولما التقت بسليمان بقيت على ذكاءها واستنارة حكمها تدرس أحواله وما يريد وما يفعل، فاستبان لها أنه نبي صالح... وتذكرت الكتاب الذي أرسله إليها "إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمان الرحيم ألا تعلو علي وأتوني مسلمين"[180]. ثم قررت طرح وثنيتها الأولى والدخول في دين الله قائلة: "رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع

[178] القرآن الكريم، النمل، الآية 23.
[179] القرآن الكريم، النمل، الآية 37.
[180] القرآن الكريم، النمل، الآية 30-31.

سليمان لله رب العالمين"[181]. هل خاب قوم،ولو أمرهم امرأة من هذا الصنف النفيس؟ إن هذه المرأة أشرف من الرجل الذي دعته ثمود لقتل الناقة ومزاحمة نبيهم صالح،[182] "فنادوا صاحبهم فتعاطي فعقر فكيف كان عذابي ونذر، إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر"[183].

يرد محمد الغزالي على اعتراضات من يأتي بالحديث النبوي- صلوات الله وسلامه عليه- "كيف يفلح قوم ولوا أمرهم المرأة" ويفسر الحديث على طراز آخر يقول: "ونحب أن نلقي نظرة أعمق على الحديث الوارد، ولسنا من عشاق جعل النساء رئيسات للدول أو رئيسات للحكومات! إننا نعشق شيئا واحدا، أن يرأس الدولة أو الحكومة أكفاء إنسان في الأمة، وقد تأملت في الحديث المروي في الموضوع، مع أنه صحيح سندا أو متنا ولكن ما معناه؟

عندما كانت فارس تتهاوى تحت مطارق الفتح الإسلامي كانت تحكمها ملكة متشددة مشؤومة، الدين وثني! الأسرة المالكة لا تعرف شورى، ولا تحترم رأيا مخالفا، والعلاقات من أفرادها بالغة السوء، قد يقتل الرجل أباه أو إخوته في سبيل مآربه، والشعب خانع منقاد، وكان في الإمكان وقد انهزمت الجيوش الفارسية أمام الرومان الذين أحرزوا نصرا مبينا بعد هزيمة كبرى، وأخذت مساحة الدولة تتقلص أن يتولى الأمر قائد عسكري يقف سيل الهزائم، لكن الوثنية السياسية جعلت الأمة والدولة ميراثا لفتاة لا تدري شيئا، فكان ذلك أيذانا

---

[181] القرآن الكريم، النمل، الآية 44.

[182] السنة النبوية بين أهل السنة وأهل الحديث، محمد الغزالي، صف57-58، دار الشروق بمصر، عام 1989م.

[183] القرآن الكريم، القمر، الآية 29-32.

بأن الدولة كلها إلى ذهاب، وفي التعليق على هذا كله قال النبي الحكيم كلمته الصادقة، فكانت وصفا للأوضاع كلها"[184].

ولو كان الأمر على هذا لخابت إنجلترا في عهد "فيكتوريا" ولكنها كانت على عكس ذلك، يقول: "إن انجلترا بلغت عصرها الذهبي أيام الملكة "فيكتوريا" وهي الآن بقيادة ملكة ورئيسة وزراء، وتعد في قمة الازدهار الاقتصادي والاستقرار السياسي، فأين الخيبة المتوقعة لمن اختار هولاء النسوة"[185].

وقد كان دور النساء في القديم والحديث معروفا لدى الناس سواء كانت من فئة الخير أو الشر، أنها مثلت دورها حيث كانت، إذا صرفنا أنظارنا إلى حياة المسلمين في مكة نجد المرأة تعادي النبي - صلوات الله وسلامه عليه- وكانت تحاول جاهدة في تشويه دين المسلمين ونصرة دين زوجها، وكانت لها دراية بقضايا المجتمع كبراها وصغراها، يقول محمد الغزالي في كتابه: "وقد ظهر ذلك في بدء الوحي، فإن أبا لهب عم النبي- عليه الصلاة والسلام- كان مع امرأته في تكذيب الوحي، ومقاومة الإسلام بضراوة وحقد! كانت المرأة تسمى الرسول "مذمما" لا محمدا !! وتقول " مذمما أبينا، ودينه قلينا، وأمره عصينا. ومشت بهذا الهجاء المسعور في مجالس قريش تسفه وتتطاول وتبث الفتنة وتؤيد الكفر، فنزل قوله تعالى فيها "وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد" والمرأة كانت من كبراء قريش، لا تشتغل بالاحتطاب وإنما شبه سعيها بالوقيعة والبذاءة وإيقاد العداوات ضد الإسلام بمن تحمل الحطب والوقود. قلت في نفسي: إذا رزق الضلال نسوة ينصرنه بهذه

[184] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، صفـ57، دار الشروق بمصر، عام 1989م.
[185] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، صفـ58، دار الشروق بمصر، عام 1989م.

الحمية، ويتبين قضاياه بهذه القوة، فلماذا يحرم الإيمان نشاطا نسائيا معارضا له، واقفا ضده؟"[186].

شاركت النساء المشركات في الحروب بكل حماسة لتحريض الرجال وإشعال شعلة الغيرة فيهم من وراء الصفوف، كما كانت النساء المسلمات كن يساعدن في الغزوات، ولم يختف دورهن إلا في العصور المتخلفة للمسلمين، يقول محمد الغزالي في كتابه "المرأة في الإسلام": "وفي معركة أحد خرجت نساء المشركين وراء الجيش الذي يطلب الثأر من هزيمتهم في بدر وهن ينشدن حاثات الرجال على الحرب":

إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق!

إن تدبرو نفارق فراق غير وامق[187]

إذا اختفى دور المرأة المسلمة من ساحات الحياة في العصور المتأخرة وفي عصرنا هذا لم يختف دور النساء المشركات، هن على يقظة تامة ويسعين بساق الجد لمساعدة الكفر ومعاندة الإسلام في الحديث والقديم، يقول محمد الغزالي: "إن الذي أسقط آخر معاقل الإسلام في الأندلس هما "فرديناد وإيزابيلا" رجل وامرأة تكاتفا على إسقاط علم الإسلام والتوحيد، وفي النساء المسلمات آلاف وآلاف

[186] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ36-37، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

[187] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ38، إدارة الكتب والمكتبات، سنة الطباعة لم تذكر.

يسطعن خدمة الإيمان كما استطاعت المشركات خدمة الضلال فلماذا يحال بينهن وبين هذه الخدمة؟"[188].

هناك نموذج للمرأة الإسرائيلية الساعية لكسب معركة الانتخابات الأمريكية في حق زوجها، وكل يعرف أن الدولة الإسرائيلية أقيمت على أنقاض دولة المسلمين.

يقول محمد الغزالي: "في الانتخابات الأمريكية كانت امرأة المرشح الديموقراطي لرياسة الولايات المتحدة تسعى بجبروت لنصرة زوجها، وظن الناس أنه كاسب المعركة! ولما كانت المرأة يهودية فقد قيل: إن ملكة البيت الأبيض ستكون حليفة إسرائيل! و شاء الله أن ينتصر الحزب الجمهوري، فإذ الملكة المترقبة يخامرها الأسى! وحاولت أن تتغلب على آلامها بالخمر، وهي الآن في المستشفى تعالج من الإدمان! لأنها تحاول النسيان!"[189].

يواصل محمد الغزالي قائلا: "لقد تسائلت : ما هذا الإخلاص! ما هذا الشعور العميق! لماذا لا ينشغل نساؤنا بخدمة المثل الإسلامية بهذه القدرة؟ من يمنعهن؟ ما يمنعهن إلا جاهلون بالإسلام".[190]

يسوق محمد الغزالي قصة امرأة انجليزية في القرن التاسع والعشرين وهو القرن الذي طال فيه الجمود والتحجر في بلاد المسلمين في أنحاء العالم، وعرفه العالم الإسلامي التدهور الشديد في كل شعب من شعب الحياة، وأصبحت البلاد الإسلامية تسقط واحدا تلو الآخر في يد الاستعمار، لا يوجد من يدافع عن حماها،

---

[188] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ37، إدارة الكتب والمكتبات بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.

[189] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ37، إدارة الكتب والمكتبات بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.

[190] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي، شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ37، إدراة الكتب والمكتبات بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.

في حين كان الاستعمار يتمتع بمواهب المرأة النفسية، واستعدادها العقلي، يقول: "كنت يوما أطالع إحدى الصحف، وكان في صدرها صورة لرئيسة وزراء انجلترا "تاتشر" فقال لي شاب يرقبني: أترى هذه الصورة؟ قلت نعم، فاستتلى: أ يعجبك هذا؟ قلت: قومها يصفونها بأنها امرأة حديدية! وقد أعجبني موقفها في مجلس العموم وهي تطالب بإعادة عقوبة الإعدام إلى القانون الانجليزي، صحيح أن المجلس خذلها بيد أني أراها أذكى وأبصر للحق من مأتي عضو عارضوها وانتصروا عليها. إن مسؤوليتها عن الأمن أقنعتها بضرورة القصاص، وهي أرشد وأعدل من الرجال الذين قاوموها!

وأراد الشباب مقاطعتي، فقلت له: وشيء آخر سرني منها عندما حاربت انجلترا الأرجنتين- وكانت هذه المرأة تقود قومها - رأيت تتردي السواد باستمرار، كانت ترى كل جندي يقتل من أبناء وطنها أخا، أو ابنا فهي تلبس عليها الحداد، وترفض كل شارة للسرور والبهجة!

إنها في نظري أفضل من حكام في الشرق لهم شوارب لحى، قال الشاب ألا ترى رأسها العاري؟ قلت أدب إسلامي ينقصها، والإسلام يرى أن الرأس عورة يضرب عليها الخمار، وسواء كانت العورة مغلظة كما يقول الأئمة أو مخففة كما يقول المالكيون، فالشعر ينبغي ستره احتراما لتعاليم الدين."[191]

[191] سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، صف21، الطبعة السابعة، مارس 2005م، الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي- المهندسين- الجيزة.

قد قدمنا نماذج كثيرة للنساء المشركات الباسلات المتحمسات لدينها ووطنها ورجالها، لا يستنتج من هذا أن بلاد المسلمين تنعدم من مثل هذه النماذج، ولا توجد النساء المسلمات المتحمسات لدينهن ورجالهن ولا تكسبن المجد والشرف لوطنهن لكنهن في قلة قليلة، وقد دفن تاريخهن وأمجادهن تحت ركام التقاليد الجائرة، تجاهل العلماء ذكره للأجيال الناشئة انسياقا وراء هذه التقاليد الفاسدة، لو قدموها للأجيال القادمة لأنجب الإسلام النساء المسلمات الباسلات قارعن سيوفهن بسيوف المشركات وفندن آراءهن البالطة ودافعن عن ثغور الإسلام، ولاختفت الحركات النسائية من بين المسلمين، يقدم محمد الغزالي من تلك النماذج القليلة نموذجا يقول: "عندما كنت أزور الجزائر سمعت باسم السيدة فاطمة السومرية التي قادت جيشا من أشجع الشباب، وهزمت عددا من الجنرالات الفرنسين في معارك ضارية!! واستغربت لأن إسمها -إن ذكر باحترام كبير- يطوى على عجل.... قلت: إن الفرنسيين يعدون "جان دارك" قديسة، ويسلكون إسمها بين أكابر القادة! لا يستحون من إبداء الاحترام العميق لذكراها بينما يعدها الانكليز الذين حاكموها وأعدموها ساحرة مشعوذة... قلت لمن يحدثني من الجزائريين : خلدوا سيرة بطلتكم هذه، ودرسوها للبنات في المدارس والمعاهد، فالذكري تنفع المؤمنين"[192]

وفي صدر الإسلام استطاعت امرأة باسلة من الخوارج أن تقود جيشا كبيرا يهزم الحجاج ويحصره في قصره ويتركه وهو مذعور ومندهش، حتى عير أحد الشعراء على هذا الموقف المخزي يقوله:

---

[192] سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، صفـ24، الطبعة السابعة مارس 2005م، الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابي – المهندسين- الجيزة.

أسد علي وفي الحرب نعـامة فتخاء تنفر من صفير الصـافر!

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر[193]

[193] المرأة في الإسلام، محمد الغزالي شاركه الدكتور محمد سيد الطنطاوي والدكتور أحمد عمر هاشم، صفـ36ـ، إدارة الكتب والمكتبات بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.

# الفصل الثالث

## واقع مشاركة المرأة في العمل السياسي لدى الحركات الإسلامية

مما لا شك فيه أن الحركات الإسلامية كلها تمنع المرأة من توليها الخلافة العظمى أو يكون لها منصب وزير الوزراء، أما المناصب دون الخلافة العظمى ورئاسة البلاد، أو وزارة الوزراء، ففيها تختلف اختلافا شديدا، بعضها تمنحها أن تترشح للبرلمان وتكون لها مقعدا برلمانيا وتكون وزيرة، وبعضها تسمح لها حق إدلاء الأصوات في الانتخابات قياسا على المبايعة في عصر الرسول- صلوات الله وسلامه عليه- ولا يجوز لها أن تكون مترشحة للبرلمان في الانتخابات كما جاء النهي بكتاب الله، قال الله تعالى في كتابه: "وقرن في بيوتكن"ـ والترشح للانتخابات تدعو إلى التبرج، والاختلاط الفاحش، والخلوة بالرجال، وأمرهن الله تعالى الالتزام بالبيت والمنزل فلها تربية الناشئة الجديدة ورعاية الأطفال، والخلافة العظمى تدعو إلى إمامة الرجال في الصلوات، وقيادة الجيش في الحروب، ومشاورة الناس في شؤون البلاد، والمرأة لا تقدر أن تقوم بهذه الأعباء.

## موقف جماعة الإخوان من مشاركة المرأة في العمل السياسي

قد تناولت حركة الإخوان لأن محمد الغزالي كان عضوا لها لمدة طويلة، ففكرة الحركة نحو مشاركة المرأة في العمل السياسي تشكل فكرة محمد الغزالي في كتاباته لمشاركة المرأة في العمل السياسي إلى حد ما.

منذ أن تأسست جماعة "الإخوان المسلمون" أسس مؤسسها حسن البنا قسما للأخوات المسلمات وكانت أول رئيسة لهذا القسم لبيبة أحمد، وقد أنشأ معهد أمهات

المؤمنين في الإسماعيلية، كما أن الجماعة قامت بترشيح النساء غير مرة على قوائمها الانتخابية، على سبيل المثال الدكتور الديري، وجيهان الحلفاوي في مصر، أم نضال، ومريم صالح في فلسطين، والدكتور حياة المسيمي في الأردن[194].

ولم يأت هذا التغيير الهائل في جماعة الإخوان على الفور، إذ بدأت نظرة الجماعة نحو مشاركة المرأة في السياسة متحفظا جدا، كان مؤسسها حسن البنا يفرق بالحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة نظرا لتباين دور كل منهما في المجتمع الإسلامي. كتب حسن البنا تحت عنوان: "المرأة المسلمة" قام فيها بتوضيح موقفه من المرأة وحقوقها بكونها شريكة للرجل بالحقوق والواجبات بما فيها الحقوق السياسية والشخصية ويرى فيها بأن الفوارق بالحقوق والواجبات بين الرجل والمرأة يرجع إلى اختلاف الدور الذي خلق من أجله كل منهما في المجتمع[195].

يعتقد حسن البنا المرشد العام للجماعة بأن الاختلافات الطبيعية في التكوين الجسدي والنفسي لكل من المرأة والرجل تقتضي وجود فوارق في الحقوق والواجبات. بعدما تقلد سيد قطب منصب المرشد العام للجماعة رأى بأن الإسلام قد ساوى ما بين الرجل والمرأة من حيث الجنس والحقوق الإنسانية، ومن ناحية الأهلية للتملك والتصرف الاقتصادي، يشير بأن التفاوت في بعض التفاصيل مرده الملابسات المرتبطة بالاستعداد والدربة والتبعة، ويعطي المرأة حق العمل عند الحاجة ويفضل عليها قيامها بدورها برعاية الأطفال والأسرة، ويرى بأن تفضيل المرأة للعمل على وظيفتها الرئيسية يشكل جهالة وتخلفا حضاريا، ويرى سيد قطب أن مجالات الدراسة يجب

[194] الإخوان والمرأة: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة عن الموقع الإلكتروني: http://ar.wikipedia.org/wiki
[195] المرأة المسلمة، حسن البنا، عن الرابط الالكتروني http://www.hassanalbanna.org/pages/Books/6.pdf

على المرأة خوضها هي ما يتعلق بالطفل وغرائزه، وصحة الطفل والحامل، أدب الأطفال، التربية الجنسية، ترويض الرجال، التدبر المنزلي[196].

ويرى المستشار محمد مأمون الهضيبي المرشد العام الأسبق للجماعة المرأة نظرة منفتحة نحوها حيث يشير بأنها مخاطبة الخطاب الإلهي في القرآن الكريم والسنة النبوية خطابها كالرجل و مكلفة مثله، ومسؤوليتها كاملة كمسؤولية الرجال في القضايا الجنائية والمدنية كالرجال، وتتمتع بالاستقلالية المالية الكاملة دون حاجة لموافقة الرجال على تصرفاتها المالية، كما أشار بأن قوامة الرجل على المرأة لا تتعدى حدود المشاركة الزوجية القائمة على التواد والتراحم والتشاور، وأكد حق المرأة في المشاركة في الانتخابات النيابية والمحلية والنقابات وحقها في تقلد المناصب العليا باستثناء رئاسة الدولة تاركا حيث توليها لمنصب القضاء للاجتهاد[197]

ويتفق مفكرو الجماعة على موقف الجماعة باقتصار منصب الإمامة الكبرى على الرجال حيث تمسك محمد حبيب النائب الأول السابق للمرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين في بموقف الجماعة الرافض تولي المرأة منصب رئاسة الدولة وصرح في مقابلة مع رويترز "REUTERS" أن رئاسة الدولة "يجب أن تكون لمسلم"، مشيرا إلى أن الجماعة ارتضت بهذا الخيار، وقال "أتصور أننا لن نعدل عنه"، كما قال إن المسيحيين والنساء "سيتولون جميع الوظائف العامة ويتمتعون بكل الحقوق بدون أي تمييز باستثناء رئاسة الدولة الجمهورية"[198].

---

[196] سيد قطب الخطاب والأيدولوجيا، محمد حافظ دياب، الطبعة الأولى، دار الطليعة للطباعة والنشر بمصر، عام 1988م، صف202-203.

[197] محمود عبد الحليم: دراسة بعنوان الإخوان المسلمون والموقف من المرأة نشرت على الموقع الالكتروني للمركز العربي للأبحاث والدراسات 3334 =NID?/NewsDetails.aspx/http://www.alkharitah.com

[198] الجزيرة ن ت :إخوان مصر يتمسكون بعدم أهلية المرأة لرئاسة الدولة، 26-10-2007 عن الموقع الالكتروني:
http://www.aljazeera.net/news/archive/archive?ArchiveId=1072861

## موقف التيارات السلفية من مشاركة المرأة في السياسة

موقف التيارات السلفية من مشاركة المرأة في السياسة واضح كل الوضوح بأن المرأة مكانها المنزل ودورها رعاية الأطفال والأسرة، وأن انشغالها بقضية السياسة يؤدي إلى الاختلاط ثم إلى الفتنة، فمشاركة المرأة في السياسة مسئلة غاية في الصعوبة، وإذا تم قبول حق الانتخاب قياسا على البيعة فإن حق الترشيح وتولي المناصب العامة أمر لا يقبل به.

فإن التيار السلفي يعتبر مفهوم القوامة في البيت على مفهوم الولاية، وهكذا فإن التيار السلفي ليس في حاجة إلى تأكيد موقفه من دور المرأة في السياسة لأن معظم تصوراته تعارض النشاطات النسائية في الحياة المدنية، وهو يتمسك برؤية مبدئية تحدد دور المرأة في الإنجاب والأمومة، والتربية، وتحذرها من الاختلاط، وأقصى ما يمكن توقعه هو قبول النشاط الاجتماعي النسائي المستقل في مجالات العمل الأهلي الخيري.

## الولاية العامة للمرأة

رفض محمد الغزالي الولاية العامة للمرأة بأنه لا يناسب مع طبيعتها وأنوثتها وظيفتها الأولى بالمنزل وهي رعاية الأطفال وتربيتهم، وهو ليس وحيدا منفردا في رفضه للمرأة الولاية العظمى وإن ساق حديثا في حق ولاية المرأة في بعض كتاباته قصة سبأ، وفسر حديث النبي -صلوات الله وسلامه عليه- حديث أبي بكرة على طراز آخر.

قد كتب في مؤلفه مجيد محمود أبو حجير: "لم يختلف الفقهاء والعلماء القدامى وغالب المعاصرين في حكم تولي المرأة للإمامة العظمى، حيث ذهبوا إلى المنع من ذلك إلا

أن فرقة الشبيبة من الخوارج، وبعض المعاصرين ذهبوا إلى جواز ذلك، لنفيهم شرط الذكورة في الإمام"[199].

هناك عدد كبير من العلماء والفقهاء الذين ذهبوا إلى جواز تولي المرأة الوظائف العامة والمناصب العامة والترشح في الانتخابات للبرلمان لكن اختلفوا فيما يرجع إلى تولي المرأة الإمامة الكبرى اختلافا شديدا، فأصبح فيه الفريقان فريق يؤيد وفريق يرفض.

الفريق المؤيد لتولي المرأة الإمامة العظمى يقول :"يجوز أن تتولى الإمامة العظمى، وذهب إلى هذا الرأي فرقة الشبيبة من الخوارج، قال البغدادي:"إن شبيبا مع أتباعه أجازوا إمامة المرأة، منهم إذ قامت بأمورهم، خرجت على مخالفيهم، وزعموا أن غزالة أم شبيب كانت إمامة بعد قتل شبيب إلى أن قتلت، واستدلوا على ذلك بأن شبيبا لما دخل الكوفة أقام أمه على منبر الكوفة حتى خطبت"[200].

وقد نالت هذه الفرقة قبولا عند بعض المعاصرين فأيدوها في بعض كتاباتهم منهم ظافر القاسمي. وممن أيد هذه الفكرة الدكتور "عبد الحميد متولي"[201] قال:"أرى أن تترك هذه المسئلة أي تولي المرأة رئاسة الدولة شأنها شأن غيرها من جزئيات أنظمة الحكم ليوضع لها الحل طبقا لما تمليه ظروف البيئة الاجتماعية، واتجاه الرأي العام ومقتضيات الصالح العام في كل مكان وكل زمان، وألا نقيم من الدين أو أحكام

[199] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صفـ124، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[200] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صفـ125، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[201] عبد الحميد المتولي هو من كتاب مصر وُلد في قرية سحيم وسط الدلتا وتوفي في الإسكندرية وعاش الفترة ما بين (1900م-1978م).

الشريعة عقبة أو عائقا في سبيل الحل الذي تمليه ظروف البيئة مما يتطلبه صالح الأمة".[202]

والمؤيد الآخر هو الأستاذ "محمد المهدي الحجوي"[203] في معرض استدلاله على جواز كون المرأة نائبة في البرلمان "يرد على هذا أن المرأة إذا ولجت البرلمان ربما انتخبت رئيسة للوزارة للجمهورية، الجواب على ذلك: أنه على فرض وقوعه فإنه لا يبلغ درجة الخلافة الممنوعة هي منها، إذ رئاسة الجمهورية، ورئاسة الوزارة ليست خلافة عامة"[204].

هناك دلائل عديدة قدمها أصحاب هذا الرأي من المعاصرين تولي المرأة لرئاسة الدولة في تأييد رأيهم " أحدهما: أن "الشرع لم يفرق بين المرأة والرجل في الحق السياسي"، والثاني أن "مشكلة الحقوق السياسية للمرأة ليست دينية أو فقهية أو قانونية إنما هي مشكلة اجتماعية سياسية إذ ليس هناك حكم من الأحكام الشرعية يحرم منح المرأة تلك الحقوق "[205].

والفريق الثاني يقول: "لا يجوز للمرأة أن تتولى الإمامة العظمى، لأن الذكورة شرط صحة في تقليد الإمام وذهب إلى هذا الرأي جمهور الفقهاء الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وعلماء العقيدة وعلماء التفسير، وأيده أغلب المعاصرين".[206]

هناك دواعي وأسباب قدمها العلماء الذين يرون منع تولي رئاسة الدولة في تأييد رأيهم، منها القرار في البيت: "إن النساء أمرن بالقرار في البيوت، لأن مبنى حالهن على الستر،

---

[202] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صف126، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[203] محمد المهدي الحجوي، هو شاعر فحل وُلد في مدينة فاس في المغرب، ومات فيه، وعاش الفترة ما بين (1903م -1968م).

[204] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صف127، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[205] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صف127، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[206] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صف128، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

ومعظم أحكام الإمامة تستمد الظهور والبروز، فالإمام لا يستغني عن الاختلاط بالرجال والمشاورة معهم في الأمور، والمرأة ممنوعة من ذلك".[207]

وكذلك اشترط في الحاكم أن يكون كامل العقل والنساء ناقصات عقل ودين: "أن يكون من أهل الولاية المطلقة الكاملة، أي مسلما، حرا، ذكرا، عاقلا، بالغا.... والنساء ناقصات عقل ودين".[208]

والعلماء المعاصرون الذين رأوا منع تولي المرأة المنصب الأعلى ورئاسة الدولة مرده ذلك لأنه يتضمن اختصاصات دينية، وسلطات سياسية، تخرج عن قدرة المرأة، فمن طبيعة عمل الخليفة مشاورة في مختلف شؤون الدولة، والاختلاط ببعض أرباب الحل والعقد، والمرأة،منعت عن ذلك كله.

هناك قائمة العلماء الذين يرون منع المرأة تولي رئاسة الدولة أو الإمامة العظمى وإن كان بعضهم ذهبوا إلى جواز تولي المرأة منصب قاضي القضاة منهم أبو حنيفة والطبري:

1 أجاز أبو حنيفة تولي المرأة منصب قاضي القضاة ولكن منعها تولي منصب الإمامة العظمي أو رئاسة الدولة.[209]

2 ذهب ابن حزم ظاهري أن النساء لا يتولين منصب رئاسة الدولة أو الإمامة العظمى إلا نساء قريش، في وسعهن أن يتولين منصب القضاة.[210]

---

[207] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صف129-130، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[208] المرأة والحقوق السياسية في الإسلام، مجيد محمود أبو حجير، صف129-130، الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية- الرياض- طريق الحجاز.

[209] فتح الباري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر شيبة الحمد، باب أصحاب الحرب في المسجد، سنة الطباعة لم تذكر، 472/8

[210] المحلى بالآثار، ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي، تحقيق عبد الغفار سليمان البنداري، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة الطباعة 1988، الجزء الثامن، صف421-422.

3 لا يسمح أبو حامد الغزالي للنساء أن يتولين منصب الخلافة وإن كن ذوات علم ومواهب نفسية أكثر من الرجال.[211]

4 ابن العربي المالكي لم يمنع المرأة من تولي منصب الإمامة العظمي أو الخلافة فحسب بل يرفض صحة كل آراء وأقوال نسبت إلى أبي حنيفة والطبري أنهما أجازا المرأة تولي منصب قاضي القضاة.[212]

5 قد قام سيد محمد رشيد رضا باستثناء المرأة تولي منصب الخلافة أو الرئاسة أو الإمامة العظمى.[213]

6 يؤمن مصطفي سباعي بأن الحديث واضح كل الوضوح في منع المرأة من تولي منصب الإمامة العظمى وكذلك كل المناصب السياسية لها أهمية كبرى.[214]

كل من يمنع تولي المرأة المنصب الأعلى ومنصب الخلافة أو منصب الإمامة العظمى، يأتي بحديث أبو بكرة في تأييد مذهبه ورأيه، والذي يسمح تولي المرأة منصب الخلافة يفسر الحديث على طراز آخر، وذلك أن المرأة الفارسية كانت مستبدة مشؤومة، والأسرة الحاكمة لا تعرف شورى ولا تحترم رأيا مخالفا لرأيها والعلاقات بين أفرادها على أسوأ حال يقتل الرجل أباه وأخوته في سبيل أغراضه و مقاصده الطافحة، لو كانت المرأة قد أخذت بشورى لكانت كمثل جولدا مائير.

---

[211] فضائح الباطنية، أبو حامد محمد الغزالي، تحقيق عبد الرحمان بدوي، صفـ180، سنة الطباعة 1964، الدار القومية بمصر.
[212] أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، الجزء الثالث، صفـ482-483، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة الطباعة لم تذكر.
[213] نداء للجنس اللطيف، محمد رشيد رضا، مطبعة المنار بمصر عام 1932م، صفـ24.
[214] المرأة بين الفقة والقانون دراسة شرعية وقانونية واجتماعية، مصطفى السباعي، صفـ 39-40، الطبعة الثانية، المكتبة العربية حلب.

تقول هبة رؤوف عزت أن الحديث: كان قد أريد به الأمة الفارسية التي كانت تحت مطارق الفتح الإسلامي.[215]

يدعي "أحمد الخمليشي"[216] بأنه لا توجد أي نصوص دينية في الشرعية الإسلامية تمنع المرأة من تولي المنصب الأعلى أو الإمامة العظمى.

كثير من العلماء الذين أجازوا المرأة تولي المنصب الأعلى في الحكم فسروا حديث أبي بكرة على طراز آخر، وأولوه متن الحديث على نوع آخر بأنه يرجع إلى أحداث تاريخية أخرى أن النبي - صلوات الله وسلامه عليه- أخبر عن زوال دولة كسرى بما سرى إليها الفساد والاستبداد بالرأي.

ولكن الكاتبة "فاطمة المرنيسي" أثارت أسئلة في كتابها "الحريم السياسي النبي والنساء" على سند الحديث وصحة سلسلة الرواة وناقشت صحة شخصية أبي بكرة راوي الحديث مناقشة طويلة، فهي تقول: "فمن قال هذا الحديث ؟ وأين ومتى ولمن، ولماذا؟"[217]

تدعي فاطمة المرنيسي أن أبا بكرة لا يصلح لرواية الحديث حسب معيار مالك بن أنس بأنه متهم بشهادة الزور وقد جلده عمر بن الخطاب ثمانين جلدة وهي تقول: "ويدفع مالك الشك نحو رواة الحديث، وهو يرى وجود ضرورة بالنسبة لمسلم لأن يحترس لدرجة أنه ينصحنا بأن نتخذ كمعيار من أجل إمكانية اشتغال مصدر بالحديث، السلوك في الحياة اليومية ويقول: "يوجد أشخاص استبعدتهم كرواة الحديث، ليس

---

[215] المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية، هبة رؤوف عزت، صف 132-134، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة الطباعة 1996م.

[216] "أحمد الخمليشي" مفكر مغربي وُلد في مدينة الحسيمة عام 1935م.

[217] الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي، صف67، مطبعة الف باء الأديب، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق برامكة، عام 1993م.

لأنهم كذبوا بصفتهم رجال علم في روايتهم لأحاديث كاذبة لم يقلها النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما بكل بساطة لأنني رأتهم يكذبون في علاقاتهم التي كانوا يتعاملون بها مع الناس في العلاقات اليومية، مبتذلين، لا يوجد لديهم شيئ من العلم، وإذا طبقنا هذه القاعدة على أبي بكرة، فإنه يجب استبعاده على الفور، لأن إحدى سيره الذاتية، التي رواها ابن الأثير، تعلمنا أنه أدين وإن عمر بن الخطاب قد جلده على شهادة كاذبة أدلى بها، إنها تتعلق باتهام خطير جدا عاقب عليه عمر بالرجم، اتهام بالزنى، العمل الجنسي الغير مشروع..... فقد كان بين الشهود الأربعة الذين جاؤوا أمام عمر اتهموا رسميا بجرم الزنا شخصية مشهورة، شخصية سياسية مرموقة، المغيرة بن شعبة على أهبة الزني الغير مشروع وبدأ عمر في التحقيق وأقر أحد الشهود الأربعة بأنه لم يكن في الحقيقة بأنه رأى الفعل تماما، وكان شك أحد الشهود سببا في تعويض الشهود الآخرين لعقوبة القذف "عقوبة الجلد للشهادة الكاذبة" وتم جلد أبي بكرة، فإننا إذا أخذنا بمبادئ مالك في مادة الفقه فإن أبا بكرة يجب رفضه كمصدر للحديث".[218]

يثير فاطمة المرنيسي الشك في رواية حديث أبي بكرة من حيث الزمن، أنه لم يتلفظ هذا الحديث إلا بعد خمسة وعشرين سنة قد مضت، وفي وضع مضطرب وحرب أهلية.

قد قامت فاطمة المرنيسي بتحليل حياة أبي بكرة فتقول: "لا يعرف عن أبوة أبي بكرة، وفي غزوة الطائف قد أعلن -النبي صلوات الله وسلامه عليه- كل من ينفصل من العبيد من الكفار إلى الإسلام فهو حر، فانفصل أبو بكرة، وقد وجد ثروة طائلة في الإسلام

[218] الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي، صفـ67، مطبعة الف باء الأديب، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق برامكة، عام 1993م.

وهو من أعيان البصرة التي اتخذتها عائشة لإقامة قيادة مركزها وقد وجهت رسلا ومراسلات إلى أعيان مدينة البصرة، بكونه من أعيان البصرة أصبح في وضع صعب، هل يحمل السلاح ضد عم النبي- صلوات الله وسلامه عليه- أو حبيبة حبيب الله وزوجته في الجنة، فهو قد ذاق مرارة العبودية قبل الإسلام لا يريد أن يفقد هذه كلها في الحرب الأهلية وكان يريد الحياد فما إن التقي بعائشة حتى أعلمه بجوابه: إنه كان ضد الفتنة، تذكر حديث النبي صلوات الله وسلامه عليه:"لن يفلح قوم ينيطون الملك بامرأة" فإن أبا بكرة وحده سوف يبرر حياده بواقعة أن أحد الأطراف كان امرأة. قد رأى أبو موسى الأشعري الذي رفض الانخراط في حرب أهلية كان يعتبرها عبيثة، وعندما طلب منه علي إرسال الجنود والأسلحة قد جمع الشعب في المسجد لإعلامه وأوضح للجميع بصفته صحابيا عن موقف الرسول- صلوات الله وسلامه عليه- بالنسبة للحرب الأهلية، لقد روى أبو موسى أحاديث تدين الفتنة وأمرهم بعدم إطاعة الخليفة وعدم الاستجابة إلى دعوته بالتجنيد وكانت الأحاديث التي رواها في جامع الكوفة كثيرة أو كلها ضد الفتنة وضد الحرب الأهلية باختصار، ولم تكن هناك مسئلة حول جنس القائد"[219]

وقد جمع البخاري هذه الأحاديث كلها تحت باب الفتنة ومن بينها ذكر حديث أبي بكرة الحديث والوحيد الذي يعطي كحجة للحياد جنس أحد المتحاربين.

وقد أثارت فاطمة المرنيسي الشك في حديث أبي بكرة من ناحية أنه يأتي بحديث وثيق الصلة التاريخية كحديث "لن يفلح قوم بموقعة الجمل..... وحديث "إن الحسن بن علي سوف يكون رجل المصالحات" عندما تنازل الحسن بعد اغتيال علي رضي الله عنه

[219] الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي، صفـ67 مطبعة الف باء الأديب، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق برامكة، عام 1993م.

عن حقوقه كتابة، حتى يمكن لمعاوية الأموي أن يدعي الخلافة شرعا، وقد فعله تحت ضغوط ومساومات معترف بها قليلا أو كثيرا[220] .

[220] الحريم السياسي النبي والنساء، فاطمة المرنيسي، صفـ67-79، مطبعة الف باء الأديب، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق برامكة عام 1993م.

# الباب الرابع

# الحياة الاجتماعية للمرأة المسلمة

## الفصل الأول

## مشاركة المرأة في الأعمال الاجتماعية

## الفصل الثاني

## معوقات مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية

## الفصل الثالث

## مجالات ملائمة لمشاركة المرأة في الحياة العامة وآداب المشاركة

# الفصل الأول

## مشاركة المرأة في الأعمال الاجتماعية

صدق من قال: "الإنسان ابن المعاشرة" فإن ساحة الحياة الاجتماعية يحقق فيها ابن الآدم من الذكر والأنثى الكمال حيث يتم فيها عرض جزء كبير من استعداداته وقدراته ومواهبه وأعماله في الممارسة، والمرأة المسلمة هي فعالة في تحقيق النجاح في الحياة العائلية والأسرية، وإضافة إلى ذلك أن الحياة الاجتماعية في وقتنا الحاضر أصبحت متنوعة أكثر بكثير مما كان عليه في الماضي، يمكن النظر إلى أمثلة عديدة لذلك من التوظيف، والفن، والرياضة، والإجراءات القانونية، والتحكيم، والتعليم، والتدريب وإدارة هائلة في المجتمع. وبعبارة أخرى يمكن القول أن الحياة الاجتماعية تغطي ثلاث مجالات مهمة فمنها: الأنشطة الاجتماعية، والأنشطة الاقتصادية، والأنشطة السياسية مثل التعليم، والتوظيف، وممارسة الرياضة البدنية وغيرها الكثير.

إذاشاركت المرأة في هذه المجالات الرئيسية الثلاثة تمت مشاركتها في الحياة الاجتماعية، ولكن هناك ينشأ سؤال هام أن هذه المجالات الثلاثة مع كل أبعادها تقتصر على الرجال مع عدم وجود دور المرأة تقوم به، أو أن عند مشاركة المرأة في هذه المجالات الثلاثة توضع حدود وقيود أمامها، أم مع قبول مشاركتها وتعاونها في الحياة الاجتماعية يجب علينا تجاهل أي فرق بين الرجل والمرأة،

إذا سرحنا أنظارنا إلى التاريخ الإسلامي في العهد النبوي الشريف نجد المرأة قامت بمسؤليتها الطوعية في الحياة الاجتماعية في كل فروعها الثلاثة، نجدها وهي تمثل دورها في سبيل الهجرة، وبذل المال، والصبر والاحتساب، وفي الحكمة والمشورة،

وفي الأخذ بيد الأهل والمقربين، وسد حاجة الأمة حالة السلم والحرب، وتولي المهام الصعبة، والحياة السياسية، وحفظ القرآن والسنة النبوية، والتوظيف والتجارة والحرف، ومداواة المرضى في الجهاد، وكل ذلك كان يتم في الحدود الشرعية، ومع خشية الله ومراعاة حقوقه في السر والعلن، وكتب التاريخ والسير مليئة بأمثلة رائعة من كل هذه الأعمال الجليلة.

هناك نقدم نماذج لهذه الأعمال كلها بالإيجاز:

## نموذج من كتاب الله لعمل المرأة خارج المنزل

خير نموج قد سجله القرآن الكريم لعمل المرأة خارج المنزل مع مراعاة حقوق الله، وهو قصة بنتي الصالح عليه السلام، كانتا تأخذان رعاية الماشية وتسقيانها لأن أبويهما كان شيخا طاعنا في السن لم يستطع القيام بعمله: "ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان، قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء، وأبونا شيخ كبير"[221] والآية تفيد اجتناب الاختلاط الزاحم بالرجال، كما فضلت الفتاتان الانتظار والصبر ومدافعة الماشية نحو الماء متجنبتين مزاحمة الاختلاط بالرجال ومرتديتين رداء الحياء والحشمة في موقع العمل، وتستفاد منها الاختلاط السليم البريئ من الريبة وسوء الظن.

وما يكون خير شاهد لممارسة المرأة عمل التجارة من حياة السيدة خديجة بنت خويلد، قد خرج الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - لتجارة لها في الجاهلية، وهي قد أنفقت كل غال ورخيص في إحياء دين الله وابتغاء مرضاته، وما يكون

[221] القرآن الكريم، القصص، الآية 23.

أكبر دليل لمشروعية عمل المرأة خارج المنزل المستمدة من حياة ابنة أحد العشرة المبشرة بالجنة أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما؟

"عن أسماء بنت أبي بكر قالت: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيئ غير ناضح، وفرسه، فكنت أعلف فرسه واستقي الماء وأعجن، لم أكن أحسن الخبز وكان يخبز جارات من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله وهي مني على ثلثي فرسخ"[222]

الجواز الثاني لعمل المرأة خارج المنزل والإنفاق من كسب يدها وكد جبينها في سبيل الله حديث جابر رضي الله عنه "عن جابر بن عبد الله: طلقت خالتي فأرادت أن تجذ نخلها، فزجرها رجل أن تخرج، فأتت النبي – صلوات الله وسلامه عليه – فقال: بلى فجذي نخلك فإنك عسى أن تصدقي أو تفعلي معروفا"[223].

## مشاركة المرأة في الصناعة المنزلية داخل المنزل

فكلا الحديثين السابقين يكفي لتوضيح موقف الشريعة الإسلامية لعمل المرأة خارج المنزل، غير ذلك نقدم حديثا آخر يحث المرأة على الإنفاق من كسب يدها، هذه زوجة صحابي جليل، وعالم كبير، عبد الله بن مسعود رايطة، كانت تأكل من عمل يدها، "قال: كانت تنفق عليه وعلى ولده من صنعتها، قالت: فقلت لعبد الله بن مسعود، لقد شغلتني أنت وولدك عن الصدقة، فما أستطيع أن أتصدق معكم بشيئ، فقال لها عبد الله: والله ما أحب إن لم يكن في ذلك أجر أن تفعلي، فأتت رسول الله -صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله أني امرأة ذات

[222] مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد 45، 20 جمادى الآخر 1437 للهجرة، الموافق 30 اذار 2016 للميلاد.
[223] صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأول، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، عام 1988م، صفـ 106.

صنعة أبيع منها ليس لي ولا لزوجي نفقة غيرها، لقد شغلوني عن الصدقة فما أستطيع أن أتصدق بشيئ فهل لي من أجر فيما أنفقت؟ قالت: فقال رسول الله: - صلى الله عليه وسلم - "أنفقي عليهم فإن لك في ذلك أجر ما أنفقت عليهم"[224]

فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على أن النبي - صلوات الله وسلامه عليه - أقرها على عملها لمساعدة زوجها الفقير، وغيرهن من النساء كثر من أمثال بنات عبد المطلب:صفية وعاتكة، وأم حكيم وأميمة.

## مشاركة المرأة في التجارة المحلية

ولا يخفى على قراء سير الصحابة رضي الله عنهم قصة بائعة اللبن وابنتها مع الخليفة عمر بن الخطاب عندما رفعت إليه الشكوى من قبل المسلمين أن البعض من بائعي اللبن يغشون ويخلطون اللبن بالماء، ووجه المنادي إلى السوق ينادي يا: بائعي اللبن لا تخلطوا اللبن بالماء ومن يفعل ذلك سوف يعاقب من قبل أمير المؤمنين عقابا شديدا، واعتاد عمر بن الخطاب الخروج في الليالي لتفقد أحوال المسلمين، وشاء الله أن يستريح أمير المؤمنين عمر من التجوال بجانب جدار، ما لبث أن سمع حوارا يدور بين ابنة وأمها تأمر الأم بخلط الماء في اللبن، ورفضت البنت السعيدة خطة أمها لخلط الماء وقالت: وإن كان أمير المؤمنين لا يرى غشها ولكن الله علام الغيوب يعلم السر والعلن ويعلم ما يدور في الأذهان والقلوب، يرى كل شيء، أعجب خطاب هذه الفتاة المؤمنة المتصفة بتقوى الله،

[224] مجلة كلية العلوم الإسلامية، جامعة بغداد، العدد 45، 20 جمادى الآخر 1437 للهجرة، الموافق 30 آذار 2016 للميلاد.

تقدم عمر بمقترح الزواج مع أبنه عاصم، وشاء القدر أن يولد عمر بن عبد العزيز الخليفة الراشد الخامس، وكان ماكان له من شأن في التاريخ الإسلامي.[225]

هذه القصة خير دليل على أن المرأة كانت تشتغل الحرفة المحلية حتى يغلب مسماها الحرفي على اسمها الأصيل، منها: كانت بالمدينة امرأة اسمها حولاء بنت ثويب اشتهرت بالعطارة ولها حديث مع رسول الله - صلوات الله وسلامه عليه -، ولقيت عائشة رضي الله عنها لغرض خاص بها، صادف أن وصل رسول الله - صلى الله عليه وسلم – فلعله شم ما معها من العطور فقال: "إني لأجد ريح الحولاء... فهل أتتكم، وهل ابتعتم منها شيئا؟"[226] تفيد هذه القصة لعل العطارات كن يذهبن من باب إلى باب لبيع بضاعتهن، وكانت أسماء بنت مخربة تشتغل بتجارة العطور بالمدينة وهي أم عباس وعبد الله بن أبي ربيعة،[227] وكتب الدكتور نزار أباظة في كتابه "في مدينة الرسول": "إن امرأة تدعى قيلة الأنمارية كانت عطارة تتجر بالطيب في سوق المدينة، جاءت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت له: يا رسول الله، أني امرأة اشتري وأبيع، فربما أردت أن أبيع السلعة، فأستام بها أكثر مما أريد أن أبيعها، ثم أنقص حتى أبيعها بالذي أريد، فقال لها النبي يرشدها: لا تفعلي يا قيلة إذا أردت أن تشتري فاستامي الذي تريدين أن تأخذي به أعطيت أو منعت".[228]

---

[225] ألف قصة وقصة من قصص الصالحين والصالحات ونوادر الزاهدين والزاهدات، تأليف هاني الحاج، المكتبة التوفيقة للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة بمصر، صفـ80، سنة الطباعة لم تذكر.

[226] في مدينة الرسول، الدكتور نزار أباظة، الطبعة الثانية، صفـ 155، دار الفكر، دمشق، سنة الطباعة عام 2014 للميلاد.

[227] نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية، السيد محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسيني الفاسي ، الطبعة الثانية، منقحة باعتناء وتحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، الجزء الثاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، صفـ 30.

[228] في مدينة الرسول، الدكتور نزار أباظة، الطبعة الثانية، صفـ 155، دار الفكر، دمشق، سنة الطباعة 2014 للميلاد.

لـم يمنعهـا الرسـول – صـلوات الله وسـلامه عليـه – بـل أقرهـا علـى حياتهـا الاقتصادية وأخذ بيدها إلى ما هوالصواب، كانت زينب بنت جحش أم المؤمنين - رضي الله عنها - صناعة وكانت تجيد في الدباغة وخياطة الجلد، تتصدق في سبيل الله ممـا كانـت تكتسـب، قـد ورد في الصحيح للبخـاري في بـاب الزكاة حـديث في فضلها: "عن عائشة رضي الله عنها أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن للنبي صلى الله عليه وسلم أينا أسرع بك لحوقا قال أطولكن يدا فأخذوا قصبة يذرعونها فكانت سودة أطولهن يدا فعلمنا بعد أنما كانت طول يدها الصدقة وكانت أسرعنا لحوقا به وكانت تحب الصدقة"[229] وفي الحديث اختصار وتلفيف، "طول يدها" -أي طول يد زينب - سودة لم تكن من ماتت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، كانت زينب قصيرة القامة.

## مشاركة المرأة في العمل الزراعي

إن أم مبشر الأنصارية امرأة زيد بن الحارثة رضي الله عنهما كانت تعمل في نخل لها، وقد نالت إعجابا وقبولا من الرسول – صلوات الله وسلامه عليه - جاء في الصحيحين "عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى على أم معبد أو أم مبشر الأنصارية في نخل لها، فقال النبي: - صلى الله عليه وسلم – من غرس هذا النخل أ مسلم أم كافر فقالت: مسلم فقال: لا يغرس مسلم غرسا ولا يزرع زرعا فيأكل منه إنسان ولا دابة ولا شيء إلا كانت له صدقة"[230].

---

[229] الصحيح لأبي عبد الله البخاري بشرح الكرماني، الجزء السابع، كتاب الزكاة، صفـ 189، الطبعة الثانية، عام 1981 للميلاد، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان.

[230] الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، محمد بن فتوح الحميدي، تحقيق الدكتور علي الحسين البواب، الجزء الرابع، صفـ 230، الطبعة الثانية، دار بن حزم بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.

## المرأة ناظرة على السوق

ومن اللافت للنظر أن سمراء بنت نهيك الأسدية، يقال عنها، أنها قد أدركت النبي – صلوات الله وسلامه عليه - كانت تمر في الأسواق، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، تضرب الناس على ذلك بسوط كان معها من كان يغش في البيع والكيل، وقد ولاها عمر بن الخطاب محتسبة على السوق وناظرة على سوق مكة[231].

وقصة الشفاء مشهورة في كتب السير كانت كاتبة ومعلمة الكتابة و ناظرة على سوق المدينة ومحتسبة عليها تشرف على شؤونها.

## مشاركة المرأة في استيضاف المسلمين

أتى محمد الغزالي بقصة امرأة موسرة تحاول جاهدة بإدخال السرور في قلوب المسلمين في عصر النبوة: "ومن الطرائف أن امرأة كريمة موسرة كانت تصنع وليمة بعد الجمعة يحضرها من شاء، روى البخاري عن سهل بن سعد قال: كانت منا امرأة تجعل في مزرعة لها "سلقا" فكانت إذا جاء يوم الجمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر ثم تجعل عليه قبضة من شعير بعد أن تطحنه، فتكون أصول السلق عرقة - مرقة - قال سهل كنا ننصرف إليها من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا، فكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك، ولم يكن في الطعام لحم ولا دهن"[232].

---

[231] جريدة الحياة، طبعة السعودية، تاريخ النشر 23-1-2008، صفـ 14، وجهات نظر، العدد 16364، الكاتب عبد الرحمن الخطيب، والمصدر الثاني، سيرة عمر بن الخطاب، لابن الجوزي، صفـ41،

[232] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ57.

## هجرة المرأة المسلمة

مما لا شك فيه أن مشاركة المرأة في الهجرة في عصر النبوة خير شاهد لمشاركتها في السياسة، وأنها في السنة الخامسة من بعثة الرسول – صلوات الله وسلامه عليه - لبت نداء الهجرة إلى الحبشة والمدينة، وأن وفد الهجرة إلى الحبشة الذي كان مشتملا على خمسة عشر نفرا فيه نساء هاجرن راكبات على الراحلة وماشيات على الأقدام، تاركات وراءهن الوطن العزيز الذي ترعرعن في أحضانه، متحملات مشاق السفر، والسفر قطعة من النار، والشبح المخيف للكفر يعاقبهن ويحاول جاهدا لإعادتهن إلى فرن التعذيب وصنوف العذاب والتنكيل ولا يدفعهن إلى الهجرة إلا دافع الإيمان بالله.[233]

وكانت أول من هاجرت من النساء المؤمنات رقية بنت الرسول -صلوات الله وسلامه عليه - وهي صاحبة الهجرتين - مع زوجها عثمان بن عفان تاركة الدور والأوطان والأهل والأموال وكل المحاب فرارا بدينها ونصرة لدعوة دينها.[234]

ثم توالت الهجرة الثانية إلى الحبشة والهجرة إلى المدينة المنورة وشاركت فيها من النساء عدد كبير متحمسات لدين الله منهن: أمة سلمة بنت أبي أمية، سودة بنت زمعة، ليلى بنت أبي حثمة، سهلة بنت بن عمرو، أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، وفي الهجرة الثانية أسماء بنت عميس، بركة بنت يسار، حريملة بنت عبد الأسود الخزاعية، حسنة أم شرحبيل، خزيمة بنت جهم العبدرية، رقية بنت الرسول – صلى الله عليه وسلم – أمينة بنت خلف، رملة بنت أبي عوف، ريطة بنت الحارس،

---

[233] السيرة النبوية الصحيحة، تاليف الدكتور ضياء عمري، الجزء الأول، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة السادسة عام 1994م، صفـ175.

[234] "سلسلة الناقص من طبقات ابن سعد " الطبقات الأولى، الطبقة الرابعة من الصحابة، تأليف محمد سعد بن منيع الزهري، الجزء الأول، تحقيق عبد العزيز عبد الله السلومي، الطبعة الأولى، عام 1995م، مكتبة الصديق، الطائف، صفـ67.

سهلة بنت سهيل بن عمرو، سودة بنت زمعة، عميرة بنت اسعد العامرية، فاطمة بنت صفوان بن أمية، فاطمة بنت علمقة العامرية، فاطمة بنت المجلل، فكيهة بنت يسار، ليلى بنت أبي حثمة، هند بنت أبي أمية، أم حرملة بنت عبد الأسود، أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، بعضهن أنجبن الأولاد في المهجر، وبعضهن لبين داعي ربهن فيه.

ليس همنا هنا ذكر أسماء النساء المهاجرات، بل همنا تقديم الرصيد الكبير أمام القراء لمشاركة المرأة في سياسة الدين مشاركة فعالة قد أصحبت منعدمة في وقتنا الحاضر، هنا نكتفي بذكر معاناة إحدى المهاجرات في طريقها إلى المدينة، يقول محمد الغزالي: "تقول أم سلمة رضى عنها لما أجمع أبو سلمة على الهجرة أعد لي بعيري وحملني عليه مع ابننا سلمة ثم خرجنا إلى المدينة، فتبعه رجال من أهلي معترضين طريقه قائلين: هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه ؟ علام نتركك تسير بها في البلاد، ونزعوا خطام البعير من يده، وأخذوني منه! وغضب عند ذلك رهط بني سلمة، وقالوا: والله لا نترك ابننا عندها إذ نزعتموها من صاحبنا! قالت: تجاذبوا الولد بينهم حتى كادوا يخلعون يده، ثم انطلقوا به، وذهب زوجي إلى المدينة وحده، ففرقوا بيني وبين ابني وزوجي... فكنت أخرج كل غداة فأجلس في الأبطح، فأجلس في الأبطح فما أزال أبكي حتى أمسى، ومكثت على ذلك نحو عام، حتى مر بي رجل من بني عمومتي، فرأى ما بي ورق قلبه لي، فقال لأهلي: ألا تتركون هذه المسكينة تلحق بزوجها؟ فقالوا لي: الحقي بزوجك إن شئت، فاستردت ابني وارتحلت بعيري وخرجت أريد المدينة، وما معي أحد من خلق الله، حتي إذا كنت بالتنعيم قريبا من مكة، لقيت عثمان بن طلحة، فسألني: إلى أين؟ قلت أريد زوجي بالمدينة! قال: وما معك أحد؟ قلت: ما معي إلا الله وابني هذا، فأخذ بزمام البعير

وهو يقول: والله ما لك من متبرك، وانطلق مسرعا بي، فوالله ما صحبت رجلا من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه، كان إذا نزل محطه أناخ بي ثم تأخر عني حتى أنزل، ثم قيد بعيري إلى شجرة ثم ذهب بعيدا إلى شجرة أخرى فاضطجع تحتها، حتى إذا دنا الرواح قام إلى بعيري فأعده، ثم استأخر عني حتى أركب، فاذا استويت عليه أخذ بالزمام يقودنا، وما زلنا كذلك حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف قال: هنا يقيم أبو سلمة، فادخلي على بركة الله، ثم انصرف قافلا إلى مكة بعدما أدى واجبه الشريف الرائع"[235]

من يرفض عقل أم سلمة -رضى الله عنها- الصائب وهي مثلت دورا جليلا في صلح حديبية الذي اعتبره المسلمون ماحدث نوعا من المذلة، عندما اضطروا أن يرجعوا إلى المدينة دون أن يدخلوها، واستطاعت في الحفاظ على كيان جماعة المسلمين من التصدع، وإنقاذهم من التدهور والأزمة النفسية التي استحوذت عليهم بعد شروط الصلح، ورفضوا أن يحلقوا رؤسهم ويذبحوا الهدى رغم طلب الرسول -صلوات الله وسلامه عليه – ثلاث مرات، عندئذ تقدمت أم سلمة بالمشورة والرأي الصائب كأن الله أنطق الحل على لسانها، طلبت من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يخرج ولا يتكلم منهم أحدا حتى ينحر بدنه ويدعو حالقه فيحلقه، "فقالت له: يا نبي الله أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، ففعل، فلما رأى الصحابة ذلك تبادروا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضا"،[236] يكتب دورها هذا بمداد الذهب عبر العصور والأجيال وهو أيضا رد مفحم على من يعتبر المرأة ناقصة العقل والدين.

---

[235] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، ، صفـ130.

[236] زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، شركة مساهمة مصرية للطباعة والنشر والتوزيع، عام 2001م، صفـ607.

# الفصل الثاني

## معوقات مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية

قد واجهت المرأة العقبات والتناقضات الهائلة في الحياة الاجتماعية والمجتمعات الإنسانية والتي أدت إلى تدهور مشاركتها في الحياة العامة، وأصبحت المرأة والسياسة عالمين يرى كثير من الناس في العالم الإسلامي أنهما لا يلتقيان، فدائرة المرأة محدودة والسبب يرجع إلى نقصان عقلها ودينها في مظان كثير من الرجال، وهي محفوفة بسياج العرف والتقاليد الجائرة، وهي أضعر من أن تتداخل في شؤون صنع القرار ولا خبرة لها بالمناورات السياسية، تلك هي معطيات الواقع الفعلى التي تسببت في إبعاد المرأة عن ساحات السياسة مع أن الدين والشرع الحكيم تطالب المرأة بإقامة دين والاستخلاف في الأرض، وفي جانب آخر أن المجتمعات الحديثة المتقدمة شهدت تطورات هائلة في الحياة الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية وأسهمت هذه التطورات النبيلة في تغيير أنساق الحياة الاجتماعية والسياسية كما أسهمت في زيادة مشاركة المرأة في الحياة العامة وكل مناحي الحياة الاجتماعية من الاقتصاد، والسياسة، والعمل الخيري، بعد معاناة طولية، واستغلالات مستدامة، وفازت بالحصول على حقوقها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولكن وضع المرأة المسلمة في السياسة والاقتصاد في البلدان ذات الأغلبية المسلمة متخلف بشكل كبير، وأن النشاطات الموسمية والدعاوى القضائية وحدها لا تكفي للوصول بالمرأة إلى حقوقها السياسية مع فقدان استراتجية مناسبة لمعطيات الواقع السياسي والاجتماعي، والخيارات السياسية في معظم البلدان المسلمة منحصرة في إبداء الرأي وتقديم المشورة،

وقد غاب دورها عن المؤسسات الأخرى كالمؤسسات القانونية، والثقافية والاجتماعية، والاقتصادية والتي تلعب دورا هاما في صنع القرارات ووضع السياسات، وفي الواقع أن المرأة تعيش مشكلات اقتصادية صخمة، حتى في بعض الأحيان لا تجد الوجبات العذائية اليومية وتكون عرضة لسوء الغذاء، ومحرومة من المستلزمات الأساسية، فكيف تتفكر في الشأن السياسي، أو المشاركة فيه وهي بلا مأوي ولا غذاء وكيف تتفكر وهي ضحية إهمال مجتمعي، فكم من القضايا تتعلق بالمرأة عالقة في بعض المحاكم بسبب ديونها التي تراكمت عليها، وبسبب عمليات الاقتراض التي تقوم بها، لعل هذا من إحدى عوامل تخلف المسلمين، وفقدان قيادة العالم وسيادته لأن المرأة هي التي تصنع المجتمع الإنساني وهي التي من تصنع الحياة والحضارة، وإذا فتح المسلمون بعض المجالات السياسية للمرأة وذلك تحت ضغط منظمة أمم المتحدة والمنظمات الأخرى، لا لأن الإسلام منحها حقوقها الاقتصادية والسياسة والثقافية، والحقيقة واضحة كل الوضوح لا يوجد في نص قطعي من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أو من إجماع أو من قياس ما يمنعها من الخوض في الحياة الاجتماعية، ولا نص صريح يحرمها من الدخول في العمل السياسي، وما يكون أكبر موضع للعار؟ عندما نحن ندرس طلابنا في المدارس العصرية تاريخ حرية المرأة ومشاركتها الفعالة في الحياة العامة، ونرد فضلها إلى الاستعمار الفرنسي والانجليزي في العشرينات وما قبلها في البلدان العربية والمسلمة عندما أدخلوا الإصلاحات الإدارية، ونشيد خطواتهم المزيجة من النفع والشر، والشر أكثر من نفعها، لإن تلك الإصلاحات كانت فارغة عن مراعاة الأحكام الرباني، مع أن في الشرع الإسلامي توجد نماذج من العصر الأول والأحاديث النبوية العطرة وسيرة الصحابة تكفي لإصلاح وضع المرأة، ومنحها حرية المشاركة

في الحياة المادية، والاجتماعية، والثقافية والمعنوية، وتكون إنسانا متكامل الحقوق، فضلا عن أن يجعلوها متاعا لزينة الفراش وتركوها ضحية لعادات وموروثات خاطئة لا صلة لها بالأحكام والتعاليم الدينية لكنها تأخذ في اعتبارها فقط أهواء البعض ومعتقداتهم وتشددهم وتعصبهم تجاه المرأة.

نحن المسلمين نتشائم تجاه المرأة، وغصبنا حقها التعليمي بأنه يؤدي إلى فساد أخلاقها، وتستغله في المعاشقة مع الرجال، فأبقيناها جاهلة لا تعرف عن الدين والدنيا شيئا ولا تنجب إلا جاهلا، لأنها قاصرة عن إعطاء ما لا تملك، فكثر في الأمة المسلمة جاهلون، وفقدوا ريادة العالم، وقيادة الأمم، فضلوا وأضلوا كثيرا، والخطب أكبر من ذلك فقد فرق المسلمون بين الدين والدنيا، هؤلاء رجال الدين، وأولئك رجال الدنيا، وهذا التعليم الديني وذلك التعليم الدنيوي، والفكرة الخاطئة أن التعليم الدنيوي لا تفيد في العقبى، لو كان جورج ستيفنسون (George Stephenson) الذي قام بإيجاد قاطرة بخار، وأول قطار مدني، متصفا بالإيمان لسبق كثيرا من أصحاب اللحى والقائمين في الأسحار، وما جلب النفع الكبير لعامة الناس، وسهل عليهم نقل المرضى إلى المستشفيات النائية، ووصول الأدوية النافعة في مدة قصيرة إليهم، وكذلك الذين أوجدوا الأدوية النافعة للأمراض المهلكة المزمنة، لو كانوا متحلين بحلية الإيمان بالله لسبقوا أصحاب الزوايا الذين لا يزالون يرفعون صدى "هو الحق"، لو عثر أحد من أبناء الأمريكيات، والأوربيات والمسيحيات على شعر "الفرزدق" الشاعر وقرضه مخاطبا أبناء الأمة المسلمة:

أولئك آبائي، فجئني بمثلهم  إذا جمعتنا يا جرير المجامع

لسكتوا عاجزين عن الكلام والرد عليهم، وتركوا الاعتزاز بآبائهم، لو قامت أحدى أمهات الأوربين والأمريكين وقرضت هذا الشعر بشئ من التحريف لو سمح التحريف في شعر "الفرزدق" مخاطبا الأمهات الجاهلات لأمتنا المسلمة:

أولئك أبنائي، فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

لأن الأمهات الجاهلات لا يساوين الأمهات المثقفات وخالق الإنسان والأرض والسماوات يشهد بذلك: "وما يستوي الأعمى والبصير"[237].

وسرحنا أنظارنا إلى المجتمع الإسلامي، والبلدان الإسلامية وبحثنا عن أسباب كثرة الجهال، ووفيات الرضعاء، لوجدنا السبب يرجع إلى جهالة الأمهات، نحن دائما نشك في سلوكيات الفتيات ونعتقد في حبسهن في البيوت والدور، ونغض الطرف عن سلوكيات الفتيان نتركهم ذئابا يفترسون أخوات الآخرين، مع أن الإسلام لم يفرق بين جريمة الفتاة والفتى ولم يميز بين شدة عقوبتها، إذا وجدنا الفتاة تتحدث مع أجنبي نشك فيها، ونسرع في حبسهن في المنازل، أو نزوجها فتى لا يكون كفؤا لها وفي بعض الأحيان إن كان أعرج، يؤمنون بأن منزل الزوجية هو المكان المناسب للمرأة، وكأنها مجرد جسد بلا روح، وأنها غير مؤهلة للمشاركة في الحياة الثقافية وغيرها، وأن كل فنونها تنحصر في المنزل ولوازمه فحسب، والذي يدعي لتعليم المرأة من المتدينين، يكتفي بتعليمهن تلاوة القرآن الكريم، كالببغاوات لا تعرف من معارفه شيئا، كأنها ليست في حاجة عن أن تعرف الحساب والجغرافية، والكيمياء والعلوم الاجتماعية، وذلك بسبب الفهم الخاطئ، وهي تثاب إذا علمت كيف يتلى القرآن الكريم، ولا تثاب إذا علمت إحدى النساء التوعية الصحية،

[237] القرآن الكريم، فاطر، الآية 19.

والتدابير الوقائية من الجراثيم، وقامت بتمريض أطفال الفقراء، نحن نجد العاملين صباح مساء يجمعون التبرعات لفتح المدارس الدينية وتشييد المباني الشامخة، ولا تجد أحدا يجمع التبرعات لفتح كليات الطب للبنين والبنات ولا المدارس العصرية الخاصة للبنات حتى يذهبن إليها محتشمات ولابسات الملابس الإسلامية، ومرتديات رداء الحياء وفي صورة عدم تواجدها تعرضن مشكلات استكمال مسيرتهن التعليمية والزواج المبكر، كأن الأمة ليست في حاجة إليها، وكأن الطبيبات لا يثبن إذا قمن بالخدمات الطبية، ومعالجة المرضى، رحم الله مؤسس جامعة عليكرة "السيد أحمد خان" عاني ما عاني من المذلة والهوان على يد المتبرعين المتدينين الذين يدعون الاحتكار المطلق على التبرعات في حق المدارس الدينية، معاملتنا مع النساء كمعاملة الأب مع طفله الصغير دوما في حاجة إلى الإشراف الشديد، وهي ليست إنسانا متكامل الذهن والفكر، لا تستطيع أن تميز الخير من الشر، مع أننا نجد كثيرا من الصحابيات تقدم إليهن رجال من الكفر للزواج فرفضن رفضا سليما مليئا بالدعوة إلى الإسلام، حتى اعتنقوا الإسلام، وجماع الشر هو التمييز الجائر بين التعليم الديني، والدنيوي، مع أن الله جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وعلمنا في القرآن الكريم: "ربنا أتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار"[238] قدم حسنة الدنيا على حسنة الآخرة، وربط بين الحسنتين وذلك أن الأمة المسلمة إذا فقدت الحسنة الأولى تذهب من يدها الحسنة الثانية نحن لا نركز مجهوداتنا على المزرعة وما تحتاج إليها من الأدوية، والرعاية، وقوات الأمن لحمايتها، حتى فسدت مزرعتنا، فتسبب في خسران الآخرة، والله سبحانه وتعالى جعلنا خليفة في الأرض، والمزرعة، ونحن فقدنا حسنة

[238] القرآن الكريم، البقرة، الآية 201.

الدنيا ومميزات الخلافة، والسيادة فتسللت إلى الآخرين فأظهروا الفساد في البر والبحر، أليس المسلمون مسؤولين عند الله لخسران تاج الخلافة التي كللهم بها؟ أ ليسوا مسؤولين عن انتشار الرشوة، والربا في النظام النقدي، والزنا، وسرقة الأموال في المجتمع الإنساني.

ولذلك يجب أن تجد قضايا المرأة التعليمية، والثقافية والاجتماعية والاقتصادية، عناية بالغة وأولوية في أجندة الأسرة والبيوت، والدول والحكومات، وفي أجندة المنظمات، ومؤسسات المجتمع المدني، حتي تتمكن من المشاركة بفاعلية جبارة في في الحياة السياسية والاجتماعية، ولا تتحقق هذه الرؤيا إلا إذا نعمل على ترك العادات الراكدة والموروثات الخاطئة، وتوسيع دائرة المرأة في الحياة الاجتماعية بين كافة فئات المجتمع، وأن يتم تشجيعهن من قبل الذكور على الدخول في العمل الخيري، والعمل السياسي والاقتصادي.

# الفصل الثالث

## مجالات ملائمة لمشاركة المرأة في الحياة العامة وآداب المشاركة

عندما جاء الإسلام إلى حيز الوجود، كانت شعب الحياة كلها مليئة بكل أنواع من الحرف، وبكل صنوف من الأشغال، وكان الناس متزاحمين في جميع الشعب، لم يكن هناك فراغ أو فجوة في أي شعبة من شعب الحياة حتى تملأها أمة أخرى ولم يكن العالم في حاجة إلى أمة جديدة يبعثها الله، فلماذا أخرج الله هذه الأمة الجديدة؟ وما كان السبب الرئيسي وراء مبعثها؟ في الواقع قد أخرجت هذه الأمة لغرض نبيل وهو أن تعلم هذه الأمة الجديدة الناس في العالم أن يمارسوا كل وظائف الحياة بطريقة يريدها خالقهم وبأسلوب يحبه بارئهم، فإذا فقدت الأمة الجديدة مقصدها الأصيل وهدفها النبيل من ذكر أو أنثى وأصبحت على نحو ما كانت الأمم السابقة وتقفو على آثارها حذوا بحذو ونعلا بنعل، فقدت أسباب وجودها في العالم، فإذا أباح الإسلام للمرأة أن تقوم بالأعمال المشروعة لها وأجاز لها أن تعمل في المنزل وخارج المنزل، لم يرسل حبلها على غاربها، بل كلفها أن لا تنسى وظيفتها الرئيسية، الوظيفة التي لا تستطيع الرجال أن تقوموا بها إلا بالكاد، وهو تربية الأطفال، إذا تحمل الرجال هذه المسؤولية على كواتفهم، لا يقدرون أن يجيدوا في هذا المجال، صدق الله سبحانه وتعالى إذا قال: "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير" أن الله يعلم احتياجية الرضيع، واحتياجية الطفل الصغير، ومتطلباته في صغر سنه، فجعل بنيتها حسب احتياجيته ومتطلباته وصاغ نفسيتها في بوتقة تماثل نفسية الطفل من الانفعال السريع، والعاطفة الجياشة، والمراعاة اللطيفة، فعلى كاتف المرأة مسؤولية دونها جميع المسؤوليات

صغيرة، ولديها وظيفة نبيلة دونها كل وظائف العالم حقيرة، فهي مصنع منتجاته الجيل الجديد والنشء الجيد، فإذا فشلت في هذا المجال لا تكافئه الوظائف الأخرى، فإذا أخلت فيها تصدر منتوجة غير صالحة للمجتمع البشري، ويتوقف ركب الحياة، فهي في حاجة إلى ثقافة واسعة، وعلم جم للإجادة في وظيفتها هذه، فكثير من الناس في العالم الإسلامي لا يجدون ضرورة إلى تعليم المرأة لممارسة هذه الوظيفة، قد انقلب نظام العالم رأسا على عقب، فكل أمم العالم في سباق شديد دائم، وكل يريد أن يسبق الآخر في العلوم والفنون حتى يتسلم زمام قيادة العام وريادته في يده، فلا بد للمرأة المسلمة أن تعيش جو التنافس والسباق، وتربي طفلها وأمانة أمتها حسب مقتضيات العصر الجديد ومتطلبات تحديات العصر الجديد، وبالخصوص في العصر الراهن أن الأمة الإسلامية مهددة من قبل جميع الجبهات سواء كان العلوم، والطب، والقوة العسكرية والتكنولوجية الحديثة، وهي محاصرة بمشاكل تتكاثف كل يوم، والمرأة المسلمة متخلفة في جميع الجبهات، وهي لا تدري ماذا يحدث في العالم، وماذا يحاك ضدها وضد أمتها وبلادها من الدسائس، وماذا سوف طفلها الصغير يواجه من التحديات والتهديدات، والخطر الداهم، وهي أصبحت بفضل المتدينين الفاسدين كضفدع البئر لا تعتني إلا بشؤون مطبخها وملبسها وتعتبرها العالم، وهذا كلها مردها إلى جهالة المرأة وجهالة المرأة أدت إلى جهالة الأمة وتخلفها والتملص من يدها قيادة العالم وسيادته.

فإذا وجدت المرأة الفراغ من وظيفتها الأصلية، صاغ لها أن تشتغل وظائف أخرى لسد احتياجيتها ما تلائم طبيعتها، وبنيتها وأنوثتها، وأن تخرج لعملها خارج المنزل مرتدية رداء الحشمة، ومحتفظة حقوق الله في السر والعلن، وتقوم بوظيفتها في ظروف مناسبة، متسمة بالبناء والعطاء، لا الهدم والإفساد، كما سبق أن النبي -

صلى الله عليه وسلم – أباح لخالة جابر - رضي الله عنه - أن تعمل في مزرعتها وتتصدق من دخل نخلها، كما فعلت خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها - قد بذلت من كل غال ونفيس مما اكتسبت من تجارتها، لم تكن تجارتها لسد احتياجتها فحسب، بل تتجاوز إلى العطاء والإنفاق على الفقراء والمساكين.

ولا بد أن تكون الحرفة والعمل مباحا وهذا الشرط يتطبق على الرجل والمرأة على السواء، فكل من الرجل والمرأة ينبغي أن ينظر إلى عمله هل هو عمل صالح يجلب للإنسانية الخير والصلاح، أم عمل فاسد يسبب الفساد والدمار، لإن الله سبحانه وتعالى لا يتقبل إلا من الأعمال الصالحة، ولا يجازي بالإحسان إلا أهله، فيقول الله تعالى في كتابه: "فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى، بعضكم من بعض، فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم، ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله، والله عنده حسن الثواب"[239].

## ملابس الفضيلة

ملبس المرأة يختلف عن ملبس الرجل، كما عورة الرجل تختلف عن عورة المرأة، ويكون ثوبها ثوب الفضيلة ما يواري سوآتها وتكون لها ريشا، وملابس الفضيلة معروفة لدي جميع الديانات السماوية من المسيحية واليهودية وقد عرفها الإسلام كالملبس الشرعي يغطي جميع بدنها، ولا تكون كاسية عارية كما يشاهد في زماننا هذا، مطابقة لما جاء الوعيد في الحديث الشريف: "نساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن

[239] القرآن الكريم، آل عمران، الآية 195.

ريحها"[240]. فعند خروجها للعمل خارج المنزل أن تختار ملابس الفضيلة وتتزين بها، فالمرأة كلها عورة إلا الوجه والكفين على مذهب أكثر أهل العلم، ولا تختار من الزي والأشياء ما يسبب اجتذاب الأنظار والقلوب ثم الفساد والفتن، كمثل الطيب والعطور والدهون.

## الأمان وعدم الخلوة الفاسدة

لا بد وجود الأمان في طريقها إلى العمل خارج البيت ولا يكون جو الاختطاف وقطع الطريق، والهرج والمرج.

## الأعمال المنسجمة لطبيعة المرأة

إن خالق الأرض والسماوات يسئل كلا من ذكر وأنثى عن عمله يوم القيامة عن ماذا قدم من عمل في حياته الفانية إلى حياته الأبدية، يقول في كتابه العزيز: "ولتسئلن عما كنتم تعملون"[241]، فالمرأة ليس لها المفر من هذا السؤال فقيرة كانت أم ذات ثروة طائلة، ضعيفة كانت أم قوية، خريجة من إحدى الجامعات أم دون هذا المستوى، فالكل مسؤول في دائرة وظيفته، ويثاب حسب أعماله ويذوق ثمرة عمله خيره وشره، قال الله تعالى: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون"[242]، تتطلب الآية الكريمة من المرأة إعمال قوتها ومواهبها في مجال عملها وفق المعايير الجديدة وحسب الظروف من حولنا التي لا تزال تتغير.

---

[240] الإشاعة لأشراط الساعة، السيد الشريف محمد بن رسول الحسيني البرزنجي، دار الكتب العلمية ببيروت لبنان، سنة الطباعة لم تذكر، صف78.

[241] القرآن الكريم، النخل، الآية 93.

[242] القرآن الكريم، النخل، الآية 97.

ومما لا شك فيه أن المرأة نصف الأمة وجزء مندمج في المجتمع، ومشاكلها من مشاكل المجتمع، ومشاكل المجتمع الإسلامي كثيرة، منها المشاكل الاجتماعية، والإنسانية والاقتصادية، والسياسية، والأمة في خطر، والمطلوب منها أن تعمل على جبهات مختلفة لإنقاذها من هذا الخطر، وذلك أن الأمة مع جميع أفرادها كالجسد الواحد إذا اشتكى أي جزء منها لا يستطيع الجسد المتبقي أن يعيش دون أن يشعر الألم، ومعاناة الأمة معاناة المرأة، وإذا جلبت الخير إليها، في الواقع جلبت الخير إلى الأمة المسلمة أجمعها.

فقد تجلى واضحا أن المسألة ليست أن تعمل المرأة لكسب المال، هذا طرح مادي سخيف، بل تعمل لإنهاض الأمة وإعلاء كلمتها وإيصالها مستوى السيادة والريادة للعالم البشري، وأما العمل فلا بد أن يتوافر لجميع أفراد المجتمع القادرين عليه والمحتاجين إليه ذكورا كانوا أم إناثا، ولكن يعمل كل فرد في المجال والظروف تناسبه وتنسجم مع طبيعته، والطبيعة البيولوجية للمرأة تختلف عن الرجل لكونه ذكرا، وهي تمتلك صفات غير صفات الرجل في الشكل والجوهر، والذكر في العالم الحيواني والنباتي خلق طبيعيا قويا وخشنا، في حين قد خلقت الأنثى طبيعيا جميلة رقيقة، هذه حقائق طبيعية أزلية لا يجحدها أحد، وقد جرت العادة طبقا لنواميس الطبيعة أن الذكر قد مارس دور القوي الخشن، دون أن يجبره عليه أحد، لأنه قد خلق هكذا، وقد مارست الأنثى دور الرقيق الجميل دون أن يجبرها عليه أحد، بل أنها قد خلقت هكذا.

ومما لا مرية فيه أن خصوصية المرأة التي تتميز بها عن الرجل تمثل دورا هاما في انتخاب العمل المناسب، وهناك ينشأ السؤال: ما هي الأعمال والوظائف التي

تنسجم أكثر مع خصوصيات المرأة؟ فعلينا أن نستعرض بعض البيئات المختلفة تتناغم مع طبيعة عمل المرأة، وبالخصوص المرأة المسلمة وهي مما يلي:

## عمل المرأة في القطاعات الصحية

إن من أهم القضايا الرئيسية في موضوع عمل المرأة المسلمة، هي قضية الاختلاط، فعمل المرأة في المؤسسات التي يقع الاختلاط فيها مع الرجال العاملين معها في هذه المؤسسة، فهل ينبغي أن نسد المرأة من العمل لمجرد وقوع الاختلاط معها بصورة من الصور؟ فعلينا أن نفحص ونستعرض هل كل نوع من أنواع الاختلاط محرم، فبعد فحوص الأدلة الشرعية وصلنا إلى أننا ما زلنا محافظين على الحدود الشرعية التي أقامها الله تعالي بين الرجل والمرأة، فلا مشكلة في الاختلاط، ولقد سبق أن ذكرنا أن ترتدي المرأة رداء الحشمة والعفة، حتى لا يصبح الاختلاط مرتعا للشيطان فيتحول العمل من صلاح إلى خراب.

وإذا قامت المرأة بهذه الحدود الشرعية، فعملها في القطاعات الصحية أكثر انسجاما مع طبيعتها الناعمة.

وخير دليل على عمل المرأة في القطاعات الصحية ما جاء في كتب السير حضور المرأة في مجالات التمريض والتطبيب في ساحة القتال وذهابهن مع المجاهدين والمقاتلين إلى المعارك والغزوات الإسلامية، متمسكا بهذه النماذج، على المرأة أن تنمي مواهبها في القطاعات الصحية وتتسابق الأمم المتنافسة في نفس المجال.

## عمل المرأة في الصناعات الخفيفة

أن المرأة التي تمتلك القدرة على الاختراعات والإبداع في الإيجادات، من الأحسن أن تختار العمل المتلائم مع البنية الجسدية بحيث لا تختار من الأعمال ما لا تنسجم مع أنوثتها وخلقتها النسوية، وأحاسيسها وعواطفها التي وأودعها الله في شخصيتها، ولا تتقلد الغربيات التي تنسى أنوثتها في سباق المساواة مع الرجال وتماثلهم في جميع المجالات، على سبيل المثال حمل الأشياء الثقيلة، وقيادة الشاحنات لنقل المنتجات الصناعية الثقيلة، فلها عمل إلصاق المغلفات على أدوات المنتجات، وعمل حياكة الملابس، والأعمال تتعلق بمنتجات الزهور والعطور تتوافق مع أنوثة المرأة وطبيعتها وتبتعد عن الاختلاط.

## عمل المرأة في المجال السياسي والاجتماعي

عمل المرأة في المجال السياسي بعيد عن المتاعب الجسدية، وهي تستطيع دحض مؤامرات العدو، ورد مكره، إذا كانت لديها معرفة الأهداف الإسلامية للشعوب والدول الإسلامية، والإسلام أقر على المرأة حق البيعة والتملك والتواجد في الساحات السياسة والاجتماعية كما جاء في القرآن الكريم: "يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا"[243]، هذه الآية خير دليل لحق المرأة في إبداء رأيها في البيعة والتملك، وكانت النساء يحضرن لبيعة النبي - صلوات الله وسلامه عليه -. والمرأة تستطيع أن تمثل دورا فعالا في الجمعيات الخيرية، وفي المكاتب النسوية في وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وتساهم في مجال الفقر لمساعدة ورعاية الأسر والأفراد الذين يعيشون تحت خطوط الفقر،

[243] القرآن الكريم، الممتحنة، الآية 12.

وذوي الدخل المحدود، وفي مجال البطالة وذلك بتأهيل وتدريب وتشغيل الفقراء القادرين على العمل، وفي مجال الإعاقة، وذلك بتأهيل وتدريب وتعليم وتشغيل فئات الإعاقة، وكذلك رعايتهم صحيا واجتماعيا ونفسيا، في مجال التعليم بتأمين التعليم لكبار السن من الجنسين ومساعدة الطالبات الفقيرات وبالخصوص في تعليمهن الجامعي، وفي مجال الأسر وذلك برعاية الفئات المهمشة من النساء الأرامل والمطلقات وحماية النساء المساء إليهن، ورعاية الأطفال الأيتام وأطفال الأسر المفككة وأطفال مجهولي النسب والأطفال المساء إليهم.

**عمل المرأة في البحث العلمي**

حيث لا يوجد فروق وتباين بين قدرات الرجل والمرأة ومواهبهما على أساس الجنس في مجال البحث العلمي، يمكن تجنيد النساء في قطاع البحث والتطوير، والبحوث العلمية من البيولوجيا والجيولوجيا والجغرافية والبحوث الصيدلانية وما إلى ذلك من البحوث.

# الباب الخامس

## محمد الغزالي في المسائل الخلافية

### الفصل الأول

### موقف محمد الغزالي من المسائل الخلافية الفقهية

### محمد الغزالي ومنهجه الفقهي في مسألة النكاح والزواج

### الفصل الثاني

### محمد الغزالي في مسألة رحلة المرأة وعملها خارج البيت

### محمد الغزالي ومذهبه في مسألة الطلاق

### محمد الغزالي ومذهبه في مسألة كشف وجه المرأة

### محمد الغزالي ومذهبه في مسألة صوت المرأة

### الفصل الثالث

### حملات على المتدينين المعارضين له

# الفصل الأول

## موقف محمد الغزالي من المسائل الخلافية الفقهية

سلك محمد الغزالي في المسائل الخلافية منهج الوسطية والاعتدال واختار من بينها ما هو أكثر نفعا للعامة وأيسر لهم أن يعملوا به، أما في المسائل الخلافية المرتبطة بالمرأة وقضاياها فإنه ليس وحيدا ذهب إلى موقف الترخص بمسائل الخلاف، بل سبقه الآخرون من معاصريه في البلدان الإسلامية منهم "مولوي سيد ممتاز على" هو من زملاء سر سيد أحمد الكبار الذي ألف كتابا سماه "حقوق نسوان"أكد فيه على مشاركة المرأة في الحياة العامة وأن يكون لها دور واضح فيها، وذهب إلى ولاية النساء وساق حديثا حول ولاية ملكة الهند "رضيا سلطانة"، وأشاد زمن حكمها بأنه قد فاق كثيرا من نظرائها أمنا وسلاما ورخاء، وكذالك زوجة الملك "جهانكير" في الواقع التي حكمت البلاد من ورائه حتى عد عصره عصرا ذهبيا من حيث النسق والأمن والسلامة حتى لا يخفى على الرجال عهد الملكة فكتوريا، الملكة العظمى المتصف بعهد السطوة والشوكة وحسن الأمور.

يقول المولوي سيد ممتاز على: أن سيادة البلاد وولايتها وإدارة نظمها لم تعد من خاصة الرجال وكذلك الفكرة أن الرجال يصلحون للحكم والولاية لأنهم يملكون القوة والصلابة في الجسد، بل هي فكرة خاطئة مهملة، الولاية تحتاج إلى العقل الصائب والفكر المستقيم والحنكة التامة، والمرأة تساوي الرجل فيه، وقد تجلى واضحا أن الحكم ليس أمر فردي بل يسوس أحد بلاده عن طريق المعتمدين عليه، نبلائه وزرائه.

أما محمد الغزالي قد مال إلى حرية المرأة في العمل والسياسة وقد ذهب إلى أن الشريعة الإسلامية قد خولت للمرأة الرشيدة جميع الحقوق المدنية المنوطة بأملاكها وقد وضعت في يدها كامل حريتها في أن تدير شؤونها بنفسها، وسوت بينها وبين الرجل في الولاية على المال والعقود والأملاك والتجارة، ويدخل في ذلك حرية التصرف في مهرها إن كانت متزوجة، وهي تتمكن من التصرف بمالها مستقلة بجميع التصرفات القولية والفعلية من عقود البيع والشراء والإجارة والشركة والرهن والمساقاة والمزارعة والقراض والوصية والوصاية والوديعة والهبة ولا يحق لأبيها وزوجها وأخيها أو لغيرهم أن يتدخلوا في شؤونها بدون رضاها وهي من شاءت تؤكل فيها أو تتوكل بها مستدلا بقوله تعالى: "وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم ولا تأكلوها إسرافا وبدارا أن يكبروا"[244] لكنه لا يذهب صراحة إلى ولاية المرأة ولاية عامة كولاية عظمى ومنصب الإمامة الكبرى، وملكة بلاد أو رئيسة جمهورية، لعله من حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم - "لن يفلح قوم ولو أمرهم امرأة"[245] أو خوفا من هجمات المتدينين، لأنه يأتي في تأييد حجته قصة سبأ وهي تملك ولاية تامة على بلادها كانت تحكم بلادها عن طريق الشورى، ويؤول الحديث السالف ذكرها بأن المرأة الفارسية الكسروية كانت مستبدة لا تحكم البلاد عن طريق الشورى وكل من أسرة الحاكمة يحاك مؤامرة ودسيسة ضد الآخر، ويأتي في صدد ولاية بنظير بوتو بأن لها أن يحكم على مذهب الظواهر.

---

[244] القرآن الكريم، النساء، الآية 6.

[245] صحيح للبخاري بشرح عمدة القاري للعيني، كتاب المغازي، باب كتاب النبي إلى كسرى، المجلد 18، صفـ75، حديث رقم 4073، وكتاب الفتن باب الفتنة التي تموج كموج البحر، حديث رقم 6470.

محمد الغزالي لا يبالي بالمسائل الخلافية في العبادات الشخصية وإن كان يخالف مذهبه ورأيه بل يدعو في ذلك إلى التسامح ورحابة الصدر وذلك لأنه بين العبد وربه ولا يتضرر به عبد، إنه يبالي بالمسائل الخلافية التي تتصل بحقوق العباد وفي بعض الأحيان تؤدي إلى الفساد الاجتماعي وتؤثر علاقات الإنسان بالإنسان عندئذ إنه لا يرى مجالا للاجتهاد الفردي بل لا بد أن يكون الاجتهاد الجماعي وأن تتدخل الحكومة وتوحد كلمة الأمة صفوفها، يقول في كتابه "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة": "لا أكترث طويلا لاختلاف الفقهاء في العبادات الشخصية! من شاء قرأ وراء إمامه ومن شاء صمت، لكل منهما أجره، وإن كنت أضيق باللغط يحدثه الشافعية عندما يبدئون قراءة الفاتحة حال ما يقرأ الإمام السورة بعدها ...

إننا نكترث للخلاف الواقع في الدماء والأعراض! فهو خلاف لا بد أن تتدخل الدولة لحسم، تبني مذهب محدد فيه.

هناك من يرى فسخ الزواج بين عربية وأعجمي! وهناك من يرى القصاص بين مسلم وغير مسلم، بل هناك شؤون دولية خاض فيها الفقهاء تتصل بالحرب والسلام...

وأعتقد أن هذه القضايا في مجال الاجتهاد الجماعي لا الفردي، وهي كذلك مجال الاجتهاد المفتوح أمام وجهات النظر المختلفة، وأظن هذا الخلاف لن تنقضي أسبابه"[246]

[246] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ181.

يدعو محمد الغزالي إلى الاجتناب من الخلاف والشذوذ والتنازل عن رأيه إلى رأي الجمهور وإن كان هو على الصواب إذا يخدم ذلك وحدة الأمة المسلمة ويمنع تشتيت شملها، وهو مقصد أعلى وغرض نبيل وأفضل بكثير من الاعتداد بالرأي.

عند تعارض الأدلة وكثرة المذاهب الفقهية في مسألة أو قضية يختار محمد الغزالي منها ما هو أرفق بالناس وأيسر لهم، - مع اعتداد برأيه - يكره الخلاف والشذوذ، ويحب السير مع الجماعة، ويتنازل عن وجهة نظره التي يقتنع بها بغية الإبقاء على وحدة الأمة وشملها مع أن الرأي الذي أقامه في مسئلة لم يكن انفرد به.

بل هو رأى ومذهب ذهب إليه الفقهاء الأربعة الكبار، وهو رأي أئمة التفسير البارزين في تفسير قوله تعالى "وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها..."[247]

عندما تتعارض الأدلة وتتكاثر الفتوي والمذاهب في مسئلة ما، يعطي نفسه حق الاختيار في الفتوى، فقد يوثر دليلا على الآخر، وقد يختار ما هو أرفق بالناس، وأيسر في علاج المشكلة التي يواجهها

إنه سئل عن امرأة فقدت زوجها بغتة وغلب عليها الجزع والخوف، حتى خشي أهلها علي حياتها، فقرروا أن يذهبوا بها إلى البيت الحرام لعل العمرة تقوي إيمانها وتدعم نعيها على الصبر.

فذهب إلى أن تمضي عدة الوفاة في منزلها فخشى أفراد الأسرة على صحتها وعقلها

[247] القرآن الكريم، النور، الآية 31.

وهو يقول: "فترويت في الموضوع، ثم أفتيت بمذهب عائشة رضي الله عنها، وهي ترى أن الله جعل العدة زمانا لا مكانا، قال الشيخ سيد سابق مؤلف " فقه السنة" كانت عائشة تفتي المتوفى عنها زوجها بالخروج في عدتها، خرجت بأختها أم كلثوم حتى قتل عنها طلحة عبيد الله إلى مكة في عمرة...

وروى عبد الرزاق عن ابن عباس أنه قال: إنما قال الله عز وجل تعتد أربعة أشهر وعشرا، ولم يقل تعتد في بيتها، فتعتد حيث شاءت...!![248]

هناك من الأئمة من يرون ضرورة بقاء المعتدة في بيتها، تمضى فيه ليلها، ولها أن تخرج نهارا إلى عملها وحاجتها ووظيفتها إن كانت موظفة مثلا، مع ضرورة الحداد، والامتناع التام عن الزينة.

لا بأس إذا ذهب العلماء إلى بقاء المعتدة في بيت زوجها والخطب سهل في أمثال هذه القضية، لكن غضبه يزداد ويشتد عندما يرى كلاما يحط من شأن الإسلام ويخدش كرامته، وينال من رسالته السامية.

يقول: "فقد سئلني أحد القراء عن حكم قرأه في مصدر إسلامي مهم، أن عمر منع النساء من تعلم الخط، وكأنه يرى الأمية أولى بهن!

فأجبت ساخرا: لم تكون الأمية حكرا عليهن وحدهن؟ ينبغي أن تشمل الزوجين الذكر والأنثى تمشيا مع الفهم الأعوج لحديث "نحن أمة أمية"[249]

يذهب محمد الغزالي إلى أن يجمع العالم بين الرواية والدراية حتي يجد في نفسه قدرة وافية لفهم القرآن والسنة وقد يملكه الغضب والأسى عندما يجد رجال

[248] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ24.
[249] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ24

الحديث النبوي ضعفاء الوعي بالقرآن الكريم يقرؤون على الناس الحديث غير شاعرين بقربه أو بعده من الآية القرآنية.

يذهب محمد الغزالي إلى أن يجمع العالم بين الرواية والدراية حتي يجد في نفسه قدرة وافية لفهم القرآن والسنة وقد يملكه الغضب والأسى عندما يجد رجال الحديث النبوي ضعفاء الوعي بالقرآن الكريم يقرؤون على الناس الحديث غير شاعرين بقربه أو بعده من الآية القرآنية.

وقد جاء في الجزء الثالث لـ "تيسر الوصول إلى جامع الأصول من حديث الرسول" تحت عنوان "الأول في حق الرجل على الزوجة" حديث يروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "لا يسأل الرجل: فيما ضرب امرأته"؟ أخرجه أبو داؤود.

قد جاء في تعليقه على هذا الحديث: أخرجه النسائي! أي أنه قوى سند الحديث، ترك المتن وكأنه صحيح لا غبار عليه[250].

مع أن هذا الظاهر باطل كل البطلان، فالمتن المذكور مخالف لنصوص كتاب الله، و ومعارض لأحاديث نبوية كثيرة وروح الإسلام ومزعزع لكيان الأسرة المسلمة. وعدو ان الرجل على المرأة يعد كعدوان المرأة على الرجل، يرفضه العقل والنقل والعدل ولا يدرى كيف قيل هذا الكلام ونسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[250] تيسير الوصول إلى جامع الأصول، تأليف عبد الرحمن بن على المعروف بابن الديبع الشيباني، الجزء الثالث، سنة الطباعة 1346هـ، المطبعة السلفية بمصر، صفـ11.

إن من عدل الإسلام وقواعد الجزاء الأخروي قوله تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"[251].

## محمد الغزالي ومنهجه الفقهي في مسألة النكاح والزواج

يرى محمد الغزالي أن يقدم إلى الناس في العمل الدعوي مذهبا فقهيا معتدلا يسهل قبوله على الرجال في أوربا وفي العالم الإسلامي فضلا عن أن يطبق عليهم وجهة المذهب الخاص الضيقةصارفا النظر عن رحابة الصدر للفقه الإسلامي حتي يؤدي ذلك إلى النفور من الإسلام وتشويه وجهه الوضاء وتقهقرة فيضان الدعوة الإسلامي كحرية المرأة في اختيار زوجها اعتادها رجال الأوربا وهذا معروف ومتداول عند كثير من الفقهاء في العالم الإسلامي وكثوب الفضيلة لدى الأوربيين معروف في صورة ثوب الراهبة التي تقارب الحجاب الإسلامي لدى المسلمين، ولكن ليس من الصواب أن يفرض عليهم النقب التي ترتديه المرأة المسلمة في بعض الأقطار الإسلامية تجعلها كالشبح المخيف تمشي على الشارع منعزلا عن بقية العالم مع أن الشريعة الإسلامية الغراء تمنحها حرية سفور الوجه والكفين، وهو يواصل قائلا: "كنت أناقش رجلا كنديا يسائلني بضيق عن موقف الإسلام من المرأة، فجاء في حواري، المرأة حرة في اختيار زوجها، ولا يمكن إكراهها على قبول من تكره، ولها أن تباشر عقدها أو توكل فيه كما تشاء...

وكا هناك من يرقبنا وهو ساخط وحمدت الله أنه لاذ بالصمت! فلما انتهى الحوار اقترب المعترض المؤدب مني قائلا: لا يجوز أن تباشر المرأة عقدها، بل الدين ضد

---

[251] القرآن الكريم، الزلزلة، الآية رقم 7.

هذا! قلت له: رأيك ضد هذا، قلدت فيه بعض المذاهب الفقهية، ورجحت أنا وجهة النظر الأخرى، واعتمدت أنها أقرب إلى عقول الأوربيين والأمريكين"[252]

وفي رأيه قد شرع العمل وفق هذه الوجهة المعتدلة في كثير من الأقطار الإسلامية المحترمة، ومن مصلحة الإسلام أن تتسع دائرة هذه الأقطار.

وكذالك نجد الأستاذ مولوي سيد ممتاز على في القارة الهندية يدعو إلى الطريق المعتدل و الاتزان في باب الحجاب مجتنبا من الغلو فيه والتحرر منه لا يريد أن تتغرب المرأة وتحذي خطوتها و كذلك لا يحب أن تنقض ظهرها وطأة الحجاب المزعومة بل تختار ثوبا للحياء وثوبا للفضيلة ثوبا ويكون لها ريشا، ووقاية من الأنظار الخبيثة والنوايا الشيطانية ولكن العلماء تخطوا جميع الحدود في الغلو في باب الحجاب، وذهبوا إلى شمل الوجه والأيدي في الحجاب الذي لم يكن مشروعا من قبل الشارع، ويتفاقم عند البعض مشكلة الحجاب في حال المرض، ويعد من قمة الشرف والفضيلة إذا ضحت نفسها في تنفيذه على شخصها في حال مرضها، وقد أوجدنا مجتمعا تجعل المرأة الحجاب من أب زوجها ولا تجعله من أخ زوجها [253]

يقدم محمد الغزالي في مسألة حرية المرأة في اختيار زوجها وشريك حياتها اتفاق العلماء والمحدثين أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم - قال: "لا تنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تستأذن قالوا: يارسول الله وكيف أذنها؟ قال: أن تسكت" في رواية: "الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأمر، وإذنها سكوتها"!

[252] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ29.
[253] حقوق نسوان، اللغة الأردية، مولوي سيد ممتاز علي، دار الإشاعت بنجابب، عام 1898، صفـ 97-98.

وعن ابن عباس رضي الله عنه أن جارية بكرا أتت النبي – صلى الله عليه وسلم- فذكرت أن أباها زوجها وهي كارهة!، فخيرها رسول الله، وفي رواية: أن فتاة دخلت على عائشة فقالت: إن أبي زوجني من ابن أخيه يرفع بي خسيسته وأنا له كارهة! قالت عائشة: أجلسى حتى يأتي رسول الله ! فجاء رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فأخبرته، فأرسل إلى أبيها فدعاه فجعل الأمر إليها، فقالت يا رسول الله، قد أجزت ما صنع أبي، ولكني أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيئ!، وقد ذكرنا أن الأحناف أعطوا المرأة حق أن تباشر عقدها إمضاء لظواهر القرآن.... "ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا[254].

مع هذا الحديث الواضح كل الوضوح في قضية النكاح لحقوق المرأة في اختيار زوجها فإن الشافعية والحنابلة ذهبوا إلى أن يجبر الأب إبنته البالغة على الزواج بمن تكره، ولا نجد وجهة النظر هذه إلا انسياقا مع تقاليد إهانة المرأة، وتحقير شخصيتها.

يقول مولوي سيد ممتاز علي الذي يقارب محمد الغزالي في أفكاره إلى حد كبير: لا يسمح للبنات أن يقمن رأيا أدني في اختيار زوجها، وكذلك يكون من الخطأ أن يستفاد أن للبينين نوعا من الحرية في اختيار زوجاتهم في بعض البلدان في القارة الآسوية، يستغل في إرضائهم على نكاح فتاة يرضاها أو لا يرضاها ضغط كبار الأسرة واحترامهم ومراعاة الأصدقاء وصلة الأقارب ويستخدم كل ذلك في الحصول على إذنها وهو لا يرفضه من باب الحياء وفي الواقع لا يكون إذنهم ولا رضائهم الذي يتسبب فيما بعد الكراهية بين الزوجين ويتظاهر كل أحد للآخر أخلاقا سيئة

[254] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ41-42.

وتتحول حياتهم إلى مرارة وعذاب مستدام، ولكن ما الذي يحث الوالدين على هذا الزواج القاهر، وهو في الواقع الطمع والحرص في المال، وهو جماع الفساد.[255]

وهو يواصل قائلا: لم يتوقف المسلمون إلى حد أنهم سلبوا من المرأة حق اختيار الزوج ورفيقا للحياة كلها بل اتخذوا من حكم الشارع أضحوكة وألغوا طريقة الإيجاب والقبول في الزواج، ولا يرون أداء كلمة الإيجاب والقبول من لسانها لازما، واتخذوا من الأحكام الفقهية ألعوبة من اللألاعيب، هذا أمر لا يتنازع فيه أحد أنه جاء في الأحكام الفقهية والأحاديث النبوية أن سكوت المرأة يدل على رضاها، ولكن هذه الأصول لا تجري في كل المجتمعات بل تنبنى على العرف العام، إذا عرف عن قوم فيهم السكوت يدل على الغضب أو على عدم الرضا، عندئذ لا ينطبق عليهم هذه الأصول الفقهية ويدل سكوتهم على عدم الرضا بل الرفض، وقس على هذا إذا عرف أقرباء المرأة وأصحاب أسرتها وعلموا يقينا أن سكوتها يعود إلى شدة الحياء، وأن هذا الزواج المقترح إليها لا ترغبه بل تبغضه لكنها لا ترفضه من غاية الحياء، عند ذلك من هذا السكوت لا يتحقق الرضا بل يحمل على الرضا والرفض كليهما ولا يعتبر هذا السكوت في أي حال من الأحوال على الرضا لو فسرناه بالرضا لأسئنا إلى الشريعة الإسلامية، ليس هو وحيدا ذهب إلى هذا الرأي بل ذهب إليه المالكيون. يكتب ناقلا عن الفتح الباري: اختلفوا إذا لم تتكلم بل ظهر منها قرينة السخط، أو الرضا بالتبسم مثلا أو البكاء فعند المالكية إن نفرت أو بكت أو قامت أو ظهر منها ما يدل على الكراهية لم تزوج وفرق بعض الشافعية بين الدمع فإن كان حارا دل على المنع وإن كان باردا دل على الرضا".[256]

---

[255] حقوق نسوان، مولوي سيد ممتاز على، اللغة الأردية، دار الإشاعت بنجاب، عام 1898، صفـ105-106.
[256] حقوق نسوان، مولوي سيد ممتاز على، اللغة الأردية، دار الإشاعت بنجابب، عام 1898، صفـ 116-117.

يهجم مولوي سيد ممتاز على على الشافعية ويقول: رحم الله بعض العلماء من الشافعية ويغفر عنهم لا يوجد نظير لهم في لطافة الأفكار ولا يستغرب عنهم لو كان لديهم مقياس الحرارة لقاسوا عبرتها وأصدروا حكما لرضاها أو عدم رضاها في الزواج.

وهو يواصل قائلا: أليس يراد من حق الاختيار للمرأة في باب الزواج أن تتمكن من الحرية حتى تبدي رضاها أو عدم رضاها بدون خوف وتردد، ويتوقع السامع منها كلمة نعم أو لا على السواء، وهل يخبرني أحد عن أبوين تقدما إلى ابنتهما العزيزة للحصول على رضاها وإذنها للزواج وتوقعا منها رفضها مثلما توقعا رضاها وفرحا من رفضها مثلما فرحا من رضاها، إذا لم يتح للمرأة مثل هذه الحرية في اختيار الزوج لا يتحقق الإيجاب الشرعي ولا يعتبر السكوت بمنزلة الرضا.[257]

[257] حقوق نسوان، مولوي سيد ممتاز علي، اللغة الأردية، دار الإشاعت بنجابب، عام 1898، صفـ117-118.

# الفصل الثاني

## محمد الغزالي في مسألة رحلة المرأة وعملها خارج البيت

يجيز محمد الغزالي رحلة المرأة بشروط أن تكون الرحلة مأمونة ولا يخاف عليها من الذئاب الضاريات، إذا كانت الرحلة رحلة استطلاع فلا بد أن تكون عليها مشرفة يقظة ولا يخاف عليهن من التهمة والتطير والظنون، ولا تكون رحلة مختلطة، يقول في كتابه قضايا المرأة "وقد رأيت العالم الإسلامي مهزوم الشخصية أمام الحضارة الغازية مفتونا بمباذلها قبل أن يكون معجبا بمآثرها، من هنا فقد أقررت الجماعات الإسلامية على رفض الرحلات المختلطة التي تنظمها الجامعات للطلاب والطالبات، وقلت: كل جماعة تكون على حدة!

وإذا سافرت الطالبات في رحلة الكشف واستطلاع وثقافة وجب أن تكون عليهن حراسة قوية من مشرفات يقظات ذكيات.."[258]

وقد ترتفع شكايات مفزعة لطالبات في الرحلات الاستكشافية من ذئاب في فريق الطلاب حاولوا اغتصابهن.

إذا كانت المرأة في حاجة إلى السفر، لا بد أن تدرس الرحلة دراسة دقيقة من كل ناحية حتى يحصل عليها الاطمئنان، إذا كان الطريق غير مأمون لا يجوز سفر المرأة وإن كان لجلب الخير لأنه يؤدي إلى المفاسد، إنه يواصل قائلا: "سفر المرأة وحدها يحتج إلى التروي، ودراسة الرحلة كلها من الذهاب إلى الاستقرار، وليس ذلك من قبيل التطير والتهمة واتباع الظنون ولكنه من قبيل الحيطة والصون والاطمئنان،

[258] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ161.

وقد روى الشيخان أن رجلا قال: يا رسول الله إن امرأتي خرجت حاجة، وإني اكتتب في غزوة كذا وكذا؟ قال: انطلق فحج مع امرأتك!."[259]

في مصطلح الفقهاء درء المفاسد دوما يكون مقدما على جلب المصالح والخير، وفي القديم انطلاق امرأة على متن ناقتها تطوي الطريق بالليل والنهار وحيدة تدعو مظنة تهجم السفلة وقطاع الطريق عليها.

ولم تكن الدنيا خالية قديما ولا حديثا من الأوغاد والأوباش الذين يستضعفون النساء وينتهزون فرصة لاغتصابهن.

هناك ينشأ سؤال هل يتغير هذا الحكم عند تواجد جو السلام والأمان؟ من العلماء من رأي جواز سفر الحاجة في رفقة مأمونة، فإن الرحلة المأمونة لا تدعو القلق والوساوس يؤيد رأيه ومنهجه الفقهي بما صح عن عدي بن حاتم، "قال: بينما أنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أتاه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، وكان ذلك قبل أن تستقر دولة الإسلام وتبسط الأمن في أرجاء الجزيرة كلها – فقال الرسول يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها! قال: فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف الكعبة لا تخاف أحدا إلا الله!... ثم قال الرسول لعدي: ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز؟ - استعظاما للخبر - قال كسرى بن هرمز! – قال عدي : فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة - على شاطئ الخليج – حتى تطوف بالبيت لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز"[260]

[259]- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ161
[260] - قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ161.

حاليا طالعنا في الجريدة اليومية للمملكة العربية السعودية "جريدة الرياض" حوارا لعالم شهير كبير اسمه ناصر العبيكان ناقش فيه سفر المرأة بدون ذي محرم في صورة تواجد الأمان كسفرها على متون الطائرة شريطة أن يستقبلها أحد من محارمها في المطار وذلك بأن هذا السفر لا يستغرق إلا ساعة أو بضع ساعات، وأشار إلى أن التشريع الإسلامي من الشارع لا يكون عبثا أو بدون علة، وأن الشارع إذا منع المرأة من السفر في غياب المحارم وذلك خوفا على ذاتها من الاعتداء، وتناول بالنقد الذين يضيقون الخناق علي المرأة في قضية السفر، ويثيرون إمكانيات التحرش والاختطاف وهي على متون الطائرة، وأما الاختطاف يمكن وقوعه مع تواجد المحرم، وفي المنزل، مع ذلك أن الشريعة لم تلزم تواجد ذي المحرم في المنزل دوما، وأما مسألة التحرش يمكن حدوثه عبر الهاتف والإنترنت وفي السوق، ويفضح معاييرهم المزدوجة إذ أنهم يجيزون استقدام الخادمات من الخارج مع عدم وجود ذي المحرم، ويمنعونهن من الحج وزيارة بيت الله.

ورأى اشتراط وجود المحرم في السفر بدون النظر إلى العلة والأسباب يؤدي إلى الضيق على الناس، وحرمان المدرسات من الوظائف اللاتي يطوين مسافات طويلة مع سائقهن الخاص.[261]

يعتقد محمد الغزالي أن دين الإسلام دين القصد والاعتدال، يعطي الحرية لكل فرد من أفراد الأمة من ذكر وأنثى، الحرية لا تمس حقوق الآخرين، حرية المرأة لا تمس حق الزوج والطفل، حرية العمل والكسب لأهلها وزوجها وأطفالها وأبويها في البيئة المليئة بالعفاف، لا يجوز في الإسلام الحرية المطلقة، كحرية الغرب جعلت

[261] جريدة الرياض، الثلاثاء، 11 شعبان 1432هـ، 12 يوليو 2011م، العدد 15723.

الأعراض كلأ مباحا، ولا يجعل دين الإسلام المرأة مقيدة بسلاسل التقاليد المزعومة ولا يضيق عليها الخناق، يهيئ لها فرص التنافس في كل ميدان من ميادين الخير، يقول في كتابه "والدين الصحيح يأبى تقاليد أمم تحبس النساء، وتضيق عليهن الخناق وتضن عليهن بشتى الحقوق والواجبات، كما يأبى تقاليد أمم أخرى جعلت الأعراض كلأ مباحا، وأهملت شرائع كلها عندما تركت الغرائز الدنيا تتنفس كيف تشاء.

يمكن أن تعمل المرأة داخل البيت وخارجه بيد أن الضمانات مطلوبة لحفظ مستقبل الأسرة ومطلوب أيضا توفير جو من التقى والعفاف تؤدي فيه المرأة ما قد تكلف به عمل.."[262]

أن سماحة الدين الحنيف لا حدود لها، يسمح المرأة أن تعمل، وتكسب العيش، وتعتبأ بمسؤولتها، هناك خير نموذج لعمل المرأة خارج المنزل، كما أخرج الحاكم في "كتاب الطلاق"، ناقلا عن جابر رضي الله عنه وكانت خالته قد طلقت ثلاثا، وخرجت تجذ نخلا لها، فلقيها رجل فنهاها، فأتت النبي- صلى الله عليه وسلم- فذكرت له ما جرى، فقال النبي: - صلى الله عليه وسلم - "أخرجي فجذي نخلك، لعلك أن تصدقي منه، أو تفعلي خيرا".[263]

ولكن يلزم أن يتم كل ذلك في جو مليئ بالطهر وسلامة النية، وبعيدا عن الدسائس والرذالة، وتأمن المرأة على نفسها في الطريق، ومكان العمل، وتخرج في لباس الحشمة والوقار، إن الإسلام حريص تمام الحرص على طهر العلاقات بين الذكر

---

[262] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ52.

[263] صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، المجلد الأول، المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة الثالثة، عام 1988م، صفـ 106.

والأنثى في الأسواق والدور والمحلات والشوارع والمجامع، ومن حقها أن تتفرس سلامة النيات وتطمئن إليها ومن حقها تحصين المعاملات من خسائس الغرائز الجسدية والدسائس الحيوانية، حتى لا تجد متنفسها إلا في دور الزوجية.[264]

يرى محمد الغزالي أن وظيفة المرأة الأولى والأساسية هي رعاية الأطفال، وتربيتهم تربية صالحة والقيام بواجبات الأمومة والزوجية، إذا أرادت العمل خارج البيت لا تتعارض وظيفتها خارج المنزل مسؤولتها الأساسية، وأن تكون مجالات العمل ملائمة لطبيعتها وتكوينها البدني والنفسي، بعيدة عن النشاطات الشاقة المضنية أو التي تتطلب السهر، أو السفر، أو الابتعاد الطويل عن الأبناء والأسرة، ومن هذه الأعمال الملائمة لطبيعتها التعليم والتطبيب، والتمريض، والخياطة، والإدارة والبيع، يقول في كتابه: "إذا كان هناك مائة ألف طبيب أو مائة ألف مدرس فلا بأس أن يكون نصف هذا العدد من النساء والمهم في المجتمع المسلم قيام الآداب التي أوصت بها الشريعة، فصانت بها حدود الله، فلا تبرج ولا خلاعة، ولا مكان لاختلاط ماجن هابط ولا مكان لخلوة بأجنبي "تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون".[265]

هناك كثير من العلماء لا يجيزون عمل المرأة خارج بيتها، ويعتبرون جناية على شخصيتها للأسباب الكثيرة منها: الحيض، والحمل، والولادة والنفاس، الرضاعة والحضانة، والتركيب الجسمي.

---

[264] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ121.

[265] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ52-53.

ومن الأسباب الشرعية لعدم مشروعية عمل المرأة خارج البيت، الحجاب الشرعي، تحريم السفور بما فيه الوجه والكفان، تحريم الاختلاط بالرجال والأجانب، تحريم التبرج والزينة، وأنها فتنة تفتن الرجال.

## محمد الغزالي ومذهبه في مسألة الطلاق

أشاد محمد الغزالي موقف ابن تيمية ورفضه لطلاق البدعة، ودرايته الذكية بالنصوص وحكمها، وأبدى استغرابه من أنصاره وأتباعه الذين تجهموا لهذا الجانب الرشيد من فقهه المليئ بالحكمة.

وأن ابن حزم مع استبحاره في حفظ المرويات قد وقع في زلات ورطات مضحكة لعل استبحاره أدى إلى الرفض لكثير من أحكام الطلاق التي أفتى بها غيره، وفي رأي محمد الغزالي أن ظاهريته قامت حاجزة بينه بين الانتفاع بعلمه الغزير وقدرته المعجبة

إنه رفض تطليقة واحدة وتطليقتين في الحيض مثلا، ولكنه حكم بوقوع الطلاق الثلاث، وذلك في غاية الغرابة والتعارض والمخالفة لظواهر النصوص وفحواها، إنه يرفض طعنة وطعنتين ويقبل ثلاث طعنات.

الإسلام يقتضى التروي والتأني في معالجة ما ينشأ بين الرجل وزوجته من الشجار والخلاف لعل المياه تعود إلى مجاريها، وهذا ما يستنبطه كل عاقل من مدلول آية الطلاق في القرآن، لا يدري أحد لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

وقال تعالى في سورة البقرة: "الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان".[266] فالمستفاد من الآية ثلاث إمساكات بمعروف، وهناك ثلاثة تسريحات بإحسان، والتسريح النهائي هو الحاسم والقاطع لعلاقة الزوجية أو يسميه الفقهاء البيونة الكبرى.

وهذه الطريقة مليئة بالجدية والتأني وما يقع الطلاق بهذه الصورة إلا بعد أيام طوال ومحاولات عديدة فاشلة، أما التطليقات الثلاثة بلفظ واحد وفي مجلس واحد نوع من اللعب بدين الله دفع المسلمون ثمنه غاليا من سعادة حياتهم الزوجية.

وقد ناقش ابن حزم طويلا وأصر على إمضاء الطلاق الثلاث، ولكن ابن تيمية على الجانب الأرشد منه وعلى البصيرة بمصلحة الأمة التامة.

ويقول: "يعجبني الحديث المرسل الذي رده حزم أخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم -عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا، فقام غضبان! ثم قال: أ يلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟؟ فقام رجل فقال يا رسول الله ألا أقتله؟" وعن أنس بن مالك كان عمر إذا ظفر بمن طلق ثلاثا أوجع رأسه"[267]

وذهب محمد الغزالي إلى أن يرفض الطلاق الذي لا يوجد عليه إ شهاد، كما يشترط الإشهاد لقبول العقد عند الزواج، والرجعة، لا بد أن يشترط عند الطلاق أيضا.

---

[266] القرآن الكريم، البقرة، الآية رقم 229.

[267] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ182.

وخير للمسلمين أن يقتبسوا من التراث ما يصون مجتمعهم، ويمسكه من الانهيار ويمنع من نزوات الأفراد.[268]

كان عمر رضي الله عنه يشغل نفسه بتلاوة القرآن والتدبر فيه ويوصي الناس بذلك ويوصي الجيوش أن تلتهج به وتعكف عليه، ومن أقضيته التي استند فيها إلى القرآن وحده: ما رواه ابن اسحاق، "قال: كنت جالسا مع الأسود بن يزيد في المسجد الأعظم، ومع الشعبي فحدث بحديث فاطمة بنت قيش أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يجعل لها سكنى ولا نفقة - وكانت قد طلقت ثلاثا- فأخذ الأسود كفا من حصى فحصبه به، ثم قال: ويلك تحدث بمثل هذا؟ قال عمر: لا نترك كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لا ندري حفظت أم نسيت، لها السكنى والنفقة، قال تعالى "لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة"[269]

وحديث فاطمة السالف ذكره هو موضع خلاف عند كثير من الفقهاء، رفضه الأحناف ونال القبول عند الحنابلة، ويرى المالكية والشافعية: أن المطلقة ثلاث تطليقات تستحق السكنى دون النفقة.

وقد لاحظ الحنابلة أن الآية التي ذكرها عمر - رضي الله عنه - هي في باب الطلاق الرجعي لا البائن، ولمن شاء أن ينفذ إلى القضية يتعمق في مصادرها، وزبدة الكلام هو أن عمر- رضي الله عنه - جعل ظاهر القرآن هو السنة التي تتبع.

---

[268] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ184.

[269] السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم، عبد الموجود محمد عبد اللطيف، الطبعة الأولى، يناير 1990م، مطبعة طيبة القاهرة، صفـ148.

هذا نموذج للرأي القوي على الرواية المريبة هناك كثير من النماذج نجد فيها من يترك النقل والفقه معا في بعض الأحكام.[270]

والجدير بالذكر أن ابن حزم خالف جمهور الفقهاء ولم يجز وقوع الطلاق بطرق غامضة، وأساليب ملتوية، يقول: "من خير امرأته فاختارت نفسها، أو اختارت زوجها، أو لم تختر شيئا فكل ذلك سواء لا شيئ فيه، ولا تحرم عليه، ولو اختارت الطلاق ألف مرة، وكذلك إن ملكها أمر نفسها أو جعل أمرها بيدها".[271]

وكذلك عند ابن الحزم قول الرجل لامرأته أنت على حرام، أو كالميتة والخنزير، فهذا كله باطل وكذب ولا تكون عليه حراما، وهي امرأته كما كانت نوى بذلك طلاقا أو لم ينو.

واعتمد ابن الحزم في هذا الحكم وأمثاله قول الله لنبيه: "يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك"[272] فأنكر الله تعالى عليه تحريمه على نفسه ما أحله له.

وفي الآية الأخرى: "ولا تقول لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الكذب"[273] جعل الرجل امرأته على نفسه حراما كذب وافتراء، ولا تكون عليه حراما في أية حال من الأحوال.

قد أشاد محمد الغزالي تجديده هذا بأنه تجديد حسن، وكل قيد و محاولة لاستبقاء الزوجية قابل للترحيب وقد وسع العلماء دائرة الفاظ حقيقية أو مجازية للإجهاز على عقد الزوجية[274]

---

[270] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـــ41.

[271] جامع أحكام النساء، الجزء الخامس، تأليف مصطفى العدوي، الطبعة الأولى، عام 1999م، دار بن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة الجيزة، صف469.

[272] القرآن الكريم، التحريم، الآية 1.

[273] القرآن الكريم، النحل، الآية 116.

من منظور محمد الغزالي ينبغي للفقيه أن يستنبط الحكم من الظاهر القريب للنص، وفي بعض الأحيان قد يترك هذا الظاهر لأسباب نظرا إلى أدلة أخرى لها وزن أرجح، ومصلحة تجلب النفع للعامة.

عنده استبقاء الحياة الزوجية داخل البيت مدة مديدة محاولة تستحق الترحيب لعل المياه تعود إلى مجاريها، لعل مشاعر الجفاء القسوة تبرد وعواطف الحنان تتغلب.[275]

**محمد الغزالي ومذهبه في مسألة كشف وجه المرأة**

كل فرد من أفراد الإنسان على وجه الأرض يولد على مقدار من الحياء، وقد فطرت المرأة بالخصوص على حظ وافر من الحياء، وهذا الحياء الفطري قدمته الشريعة الإسلامية الغراء في صورة الحجاب الجميلة، لذلك الرجل الذي يعتبر الحجاب الإيجادات الإنسانية، أو الشريعة التي تعتبره خلافا للفطرة السليمة أو تكذب حاجته للإنسان ترتكب الخطأ العظيم والجريمة الكبرى، وفي جانب آخر إن المغالاة في مسألة الحجاب التي ارتكبها المسلمون في بلدانهم، والصور البشعة للحجاب التي تشكلت عندهم، تناولها الأوربيون وكل من لديه النظرة الصائبة بالنقد الشديد، قد أسقط هذا الحجاب المزعوم ما ليس له الصلة بالشريعة الإسلامية المرأة في هوة المذلة وشد رجليها بسلاسله.

هناك ينشأ السؤال، هل بواعث هذا الحجاب المزعوم الإسلام أو منشأه شي آخر؟ في الواقع أن الإسلام أوجب الحجاب بمقدار ما يوافق الفطرة السليمة ولا تنافي

---

[274] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ183.
[275] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ185.

الفطرة الإنسانية، ولكن مثلما شوهت تعليمات الإسلام والشريعة الإسلامية في كثير من الشؤون الاجتماعية والدينية وغيرت أحكامها أو رفضها المسلمون العمل بها، فعلوا كذلك في باب الحجاب أيضا، يفشل كل مصطلح فقهي ووحي رباني في تصوير الأحكام صورة واضحة أمام الرجل، ولكن لا يلبث أن تمر كلمة الحجاب أو نص منوط به على سماعه حتى تتمثل أمامه صورة راقصة لصورة المرأة المسجونة بجدران المنزل طول الليل والنهار حتى الممات، لا يسمح لها أن تخرج منها حتى عند الحاجة الملحة إلا مع أخيها و أمها وأبيها وزوجها، وتضطر أن تحاول جاهدة ستر صوتها وإسمها ولباسها، وقد حلت التقاليد الراكدة في الحجاب محل الأحكام الشرعية.

قال الله تعالى في كتابه: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكي لهم إن الله خبير بما يصنعون، وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن.....أو التابعين غير أولي الأرتبة من الرجال أو الطفل الذي لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن".[276]

إذا ركزنا أنظارنا على الآية الأولى وجدنا أن الله سبحانه وتعالى قد أمر الرجال بغض الطرف والاتصاف بصفة العفاف، وفي الآية الثانية أمر النساء أيضا بغض الطرف والتمسك بزمام العفاف مثلما أمر الرجال بنفس الكلمات، والجدير بالذكر أن الله قد بدأ بالرجال إشارة إلى أن الآفة تأتي من قبل الرجال في معظم الأحيان،

[276] القرآن الكريم، النور، الآية 31.

،وتستفاد من كلتا الآيتين أن جنس الرجل والمرأة كلاهما يشمل في حكم العفة والحياء والحفظ والصيانة، وفي الآية التالية أمر النساء بعدم إبداء زينتهن أمام من لا يجوز إبدائها وذلك أن المرأة قد أوتيت حظا وافرا من الحياء أكثر بكثير من الرجال، وبموجب هذا الحياء الوفير أمرت الشريعة الإسلامية النساء أن لا يمارسن النشاطات ما تؤدي إلى إبداء زينتهن الخفية أمام الآخرين.

يقول مولوي سيد ممتاز على في كتابه "حقوق نسوان" : أن النساء في العرب في العهد الجاهلي كن يتركن صدورهن سافرة ما يسبب الفساد الخلقي، وسدا لهذا الفساد الخلقي قد أمرن بضرب الخمار على صدورهن وإخفائها، وبين الشارع الحكيم أنه لا يجوز إبداء مثل هذه الزينة الخفية إلا أمام الزوج، والأب، والأطفال الصغار وخدمة البيت والمحارم.

"وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الآولى"،[277] يقول مولوي سيد ممتاز على شارحا الآية: في العهد الجاهلي كانت نساء المشركين يخرجن إلى الميدان متبرجات ويقرضن الأبيات المليئة بالفحش ولذلك منع الشارع من الخروج وأمرهن بالبقاء في المنزل معارضا هذه التقاليد الخبيثة، لم يكن مقتضى الآية الكريمة في أية حال من الأحوال منع النساء من الخروج للحوائج الضرورية، ودون أدنى شك، لا يجوز للمرأة أن تحضر مثل هذه المحافل والطقوس الفاسدة للأخلاق والبيوت، ولا تتعلق هذه الآية الكريمة بالحجاب وما نزلت فيه، بل وردت لمنع هذه التقاليد الجاهلية الخبيثة، لا يمكن أن تستفاد منها أن لا تخرج المرأة لحاجتها مرتديا رداء

[277] القرآن الكريم، الآحزاب، الآية 33.

الحياء والتقوى، متجنبة التبرج والسفور، وأن لا يدخل المحارم المنازل وأن لا تحضرهم المرأة.

والدليل على أن الآية الآنفة الذكر لا تتعلق بمسألة الحجاب وهو أن أمهات المؤمنين في عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأخير كن يخرجن لحوائجهن وإلى العيدين، ولو كان الحكم بالبقاء في المنزل دوما وفي كل وقت، لم يجز الخروج حتى للحوائج الضرورية ولم تخرج أمهات المؤمنين في أية حال من الأحوال.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "خرجت سودة بنت زمعة ليلا، فرآها عمر فعرفها، فقال: إنك يا سودة ما تخفين علينا، فرجعت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فذكرت ذلك له، وهو في حجرتي يتعشى، وإن في يده لعرقا، فأنزل عليه، فرفع عنه وهو يقول: "قد أذن الله لكن أن تخرجن لحوائجكن"[278]

قس على هذا قصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة - أي: رجال من الحبشة - يلعبون في المسجد، وهذا جزء من مشهد كبير طويل، وهو: أنه كان في يوم عيد، فأخذ الأحباش الموجودون بالمدينة في تلك السنة، يلعبون بحرابهم لعبة القتال، في المسجد النبوي، فرغبت عائشة رضي الله عنها أن ترى هذه اللعبة، لأنها لم ترها من قبل. وهنا يلبي لها النبي صلى الله عليه وسلم رغبتها، فيقف ويسترها من

[278] المشكلات الأسرية والتربوية في ضوء الإسلام أسباب وحلول، مصطفى فرغلي الشقيري، المكتب الحصري الحديث، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ50.

الناس، وتتكمن من الرؤية فصارت ترى ولا ترى، وقد جاء في خبرها، أنه لما طال وقوفها، قال: أرضيت؟ فقالت: لا، أريد زيادة.[279]

يقول مولوي سيد ممتاز علي: وإن كان النووي قد قال: أن عائشة - رضي الله عنها - كانت حينئذ صغيرة السن، ولم يكن قد نزلت آية الحجاب، ولكن النووي على الخطأ، هذه القصة كانت بعد وصول وفد الحبشة المدينة، وزمن وصول وفد الحبشة وهو السنة السابعة للهجرة، وهي كانت قد جاوزت السنة السادسة عشر من عمرها وكانت قد نزلت آية الحجاب.[280]

والآية: "وقرن في بيوتكن" لا ينبغي إطلاقها على عامة النساء بل كانت موجهة إلى أمهات المؤمنين، كما تتبين من الأية الأولى : "يا نساء النبي لستن كأحد من النساء، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى.[281]

"يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلبابهن، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين، وكان الله غفورا رحيما".[282]

يقول مولوي سيد ممتاز على: أن اليهود والمنافقين لا يراعون ذمة ولا عهدا وكانوا يخلفون الوعد ويضايقون نساء المسلمين ويعترضون لهن ويعتذرون أنهم لم يعرفوهن، فامتنعت نساء المسلمين من الخروج لحوائجهن.

---

[279] فتح الباري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تقديم وتحقيق وتعليق عبد القادر شيبة الحمد، باب أصحاب الحرب في المسجد، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ453-،454.

[280] حقوق نسوان، اللغة الأردية، مولوي سيد ممتاز على، دار الإشاعت بنجاب، عام 1998م، صفـ65.

[281] القرآن الكريم، الأحزاب، الآية 32.

[282] القرآن الكريم، الأحزاب، الآية 59.

صادف أن وقع في يد محمد الغزالي كتيب في إحدى البلدان العربية الخليجية يكتب فيه مؤلفه: إن الإسلام حرم الزنا وإن سفور الوجه وسيلة إليه، فهو حرام لأنه يؤدي إلى الإثم والعصيان، مع أن الإسلام أوجب كشف الوجه في الحج، وأباحه في الصلوات الخمسة، أ فهذا الكشف في الأركان الدينية يستثير الغرائز الجسدية؟ وقد وجدنا النبي - صلوات الله وسلامه عليه - رأى وجوه النساء سافرة في مواسم الحج، والأسواق، ولم يأمر بتغطيتها.

إذا كانت النساء أمرن بتغطية الوجوه فما معنى الآية الكريمة التي تأمر المسلمين بغض البصر؟ هل غض الطرف من القفا والظهر؟ قال الله في كتابه: "قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم، غض الطرف يحصل عند مطالعة الوجوه بداهة، ربما يقع بصر الرجل على وجه المرأة فيعجبها، ثم يصرف بصره عنها، كما ورد في الحديث النبوي، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لعلي -رضي الله عنه- "يا علي لا تتبع النظرة النظرة، فإن لك الأولى وليست لك الآخرة".[283]

والحديث الآخر يوضح هذا الأمر كل الوضوح وذلك أن الرجل إذا وقع نظره على المرأة واستحسنها فعليه أن يأتي إلى امرأته ويقضى حاجته فإن لديها مثلى التي لديها، كما روى جابر عن النبي -صلى الله عليه وسلم - "إذا رأى أحدكم أمرأة فأعجبته فليأت أهله - أي ليذهب إلى زوجته فإن ذلك يرد ما في نفسه".[284]

---

[283] مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق جمال عيتاني، الجزء السادس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ257.

[284] الفصل للوصل المدرج في النقل، أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق عبد السميع محمد الأنيس، الجزء الثان، دار ابن الجويني، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ 848.

فإن لم تكن في نكاحه امرأة فليستحضر قوله تعالى : "ليستعفف الذين لا يجدون نكاحا حتى يغنيهم الله من فضله"[285]

قد ذهب كثير من العلماء إلى أن المرأة لا يستلزم تستر وجهها وهي تمشى في الشوارع، وعلى الرجال غض الطرف كما ورد الحكم في القرآن الكريم.

في أحد الأعياد خطب النبي -صلى الله عليه وسلم - النساء - بمصلى العيد يجمع الرجال والنساء بأمر من رسول الله - فقال لهن: "تصدقن فإن أكثركن حطب جهنم" فقالت امرأة سعفاء الخدين جالسة في وسط النساء، لم يا رسول الله؟ قال: "لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير[286]" يعني - عليه الصلاة والسلام - أن نساء كثيرات يكفرن لما ينفق زوجه عليها من كد جبينه.

قال الراوي: فجعلن يتصدقن من حليهن، يلقين في ثوب بلال - رضى الله عنه - من أقراطهن وخواتمهن... والسوال ينشأ: كيف عرف الراوي أن المرأة كانت سعفاء الخدين أو ملاحة الخدين؟ لا يمكن ذلك إلا إذا كانت سافرة الوجه.

ووردت في رواية أخرى: كنت أرى النساء وأيديهن تلقي الحلى في ثوب بلال..... فثبت أن الوجه واليد ليسا بعورة، وذهب البعض إلى أن أمر كشف الوجه في الصلوات والحج يفيد بأن المرأة يجب عليها ارتداء النقاب والقفازين.

---

[285] القرآن الكريم، النور، الآية 33.

[286] السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، ضياء الدين المقدسي أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد، تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاسة، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، عام 2004م، الناشر دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية جدة، صفـ 403.

يتنـاول محمـد الغزالـي أمثـال هـؤلاء ومـنطقهم السـخيف بالنقـد الشـديد وذلـك لا تسـتنتج مـن تعريـة رؤس الحجـاج في الحـج بـأنهم يغطونهـا في غيـر الحج.

عـن سـهل بـن سـعد رضـي الله عنـه "أن امـرأة جـاءت إلى رسـول الله -صـلى الله عليـه وسـلم- فقالـت يـا رسـول الله، جئـت لأهـب لـك نفسـي، فنظـر إليهـا - رسـول الله - فصـعد البصـر إليهـا وصـوبه ثـم طأطـأ رأسـه - لـم يجهـا بشـيئ - فقـام رجـل مـن أصـحابه، فقـال يـا رسـول الله، إن لـم يكـن لـك بهـا حاجـة فزوجنيها....." [287].

والسؤال هنا ما الفائد من تصعيد النظر إليها إذا كانت المرأة متنقبة؟

عـن ابـن عبـاس "كـان الفضـل رديـف رسـول الله - صـلى الله عليـه وسـلم - فجـاءت امـرأة مـن خـثعم - تسـتفتيه - فجعـل الفضـل ينظـر إليهـا وتنظـر إليـه وجعـل رسـول الله يصـرف وجـه الفضـل إلى الشـق الآخـر، قالـت: يـا رسـول الله إن فريضـة الله على عبـاده في الحـج، وقـد أدركـت أبـي شـيخا كبيـرا لا يثبـت على الراحلـة، أفـأحج عنـه؟ قـال: نعـم... [288] وكان ذلـك في حجـة الـوداع - معنى ذلك لم يرد بعده حديث ناسخ.

كانـت نسـاء مسـلمات يشـهدن صـلاة الفجـر مـع الرسـول - صـلوات الله وسـلامه عليـه - مسـتورات الأبـدان بـالرداء، ثـم يـرجعن إلى منـازلهن بعـد أن صـلين الصلاة، لا يعرفن من الغلس، لو لم يكن الغلس لعرفن لسفور وجوههن.

---

[287] سنن سعيد بن منصور، تأليف سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي، حققه وعلق عليه حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية ببيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ175.

[288] الزيادة والإحسان في علوم القرآن، ابن عقيلة المكي، الجزء الثاني، تاريخ النشر، الطبعة الأولى، عام 2006م، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، صفـ 329.

وقوله تعالى: "وليضربن بخمرهن على جيوبهن" يتطلب التدبر، لو كان منشود الرب في الآية الكريمة إسدال النقب على الوجوه لقال: ليضربن بخمرهن على وجوههن.

ومما لا شك فيه أن بعض النسوة في الجاهلية والعهد الإسلامي كن يسترن وجوههن، وهذ العمل لم يكن من العبادات، بل كان من العادات فالعبادة لا تتحقق إلا بنص وهذه العادة متواجدة عند كثير من أمم العالم.

وخير دليل على هذا ما ورد في الحديث النبوي: "أن امرأة جاءت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم - يقال لها أم خلاد وهي متنقبة تسأل عن ابنها الذي قتل في إحدى الغزوات فقال لها بعض الأصحاب: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة؟ فقالت المرأة الصالحة: إن أرزأ ابني فلم أرزأ حيائي".[289]

لو كان إسدال النقب على الوجه عبادة أو طريقا معبدا لم يكن استغراب أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - من هذه المرأة، والدليل الآخر لجواز سفور الوجه: ماورواه لنا مسلم - رحمه الله - في صححيه "أن سبيعة بنت الحارث ترملت من زوجها وكانت حاملا، فما لبثت أياما حتى وضعت، فأصلحت نفسها، وتجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل أحد الصحابة - وقال لها: مالي أراك متجملة؟ لعلك تريدين الزواج، إنك والله ما تتزوجين إلا بعد أربعة أشهر وعشر أيام، قالت سبيعة: فلما قال لي ذلك جمعت على ثيابي حين أمسيت فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، وسألته عن ذلك فأفتاني بأني قد حللت حين وضعت حملي، وأمرني بالتزوج إن بدا لي.."[290]

---

[289] معالم على طريق العفة، عبد الله بن عبد الرحمن الوطبان، مصدر هذه المادة، الكتيبات الإسلامية، www.kitab.com، صفـ50.

290 جريدة القبس، جريدة كويتية يومية سياسية شاملة عنوان المقال، معركة الحجاب، الجمعة 06 مايو 2016، العدد 15421.

كانت سبيعة مكتحلة العينين مخضبة الكفين، وأبو السنابل لم يكن من محارمها حتى يطلع بحكم القرابة على زينتها.[291]

لقد أشار محمد الغزالي على المسؤولين في وزارة الشؤون الدينية بالجزائر أن تكون في المساجد حلقات وعظ وإرشاد وتربية في أوقات مختارة تخص النساء تقوم بالتدريس فيها خريجات الجامعات الإسلامية ويبدو محمد الغزالي كئيب الخاطر أمام صيحات المتفيهقين الذين يرفعون الهتاف بين الفينة والأخرى بأن صوة المرأة عورة، إن هؤلاء المتصايحين لا يتحرك ساكنهم عندما تنجح الراهبات المسيحيات في بلوغ مرامهن من التنصير.[292]

وكان النهضة الإسلامية في الجزائر على قدم وساق وكاد أن يمحى باقيات الاستعمار الفرنسي الغاشم، والحشمة تحل محل التبرج والسفور، فإذاصيحات مجنونة ترتفع بإسدال النقب، وكانت النتيجة أن أصبح أولو الألباب خائفين من الإسلام وصحوته، وهم معذورون وتقهقرت الصحوة الإسلامية عقب تلك الفوضى.....[293]

يقول محمد الغزالي: "وأسأل القائلين بالنقاب: إنكم تعلمون أن مذهبكم رأي لم تجنح إليه كثرة المفسرين والمحدثين والفقهاء، فماذا لمصلحة الإسلام أن تتركوه ترجيحا لمصلحة أهم و تجنبا لضرر أفدح".[294]

وكل من لديه خبرة ومعرفة واسعة بثقافات الأمم يعرف ملابس الفضيلة والعفاف من الأوربيين، وهو موجود لديهم في أزياء الراهبات المسحيات وهذه الأزياء أقرب ما تكون إلى الحجاب عند المسلمين، إذا ترك المسلمون التطرف في الحجاب مهدوا الطريق لدخول الأوربيات في الإسلام.

---

[291] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـــ44-49.
[292] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـــ20.
[293] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـــ9.
[294] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـــ8.

أما أن نجعل المرأة شبحا مخيفا تمشى في الشوارع معزولا عن العالم فهذا يسبب النفور من الإسلام، وتعاليمه السامية.[295]

هناك علماء يجدون ضرورة تنقيب الوجه وذلك أنه يثير فتنة وإغراء وكل البلاء والخطر في كشف الوجه وهو يسبب كارثة الأخلاق والفوضى، والمرأة كلها من هامتها إلى أخمص قدميها عورة حتي صوتها، وعندهم الأدلة التالية على تنقيب وجهها:

(أ) قد أمر الله سبحانه وتعالى بحفظ الفرج، وعدم تغطية الوجه يؤدي إلى عدم حفظ الفرج.

(ب) قد أمر الله سبحانه وتعالى بضرب الخمار على الصدر والنحر، فإنها إذا أوجب ستر الصدر والنحر ، يكون ستر الوجه أولى لأنه موضع الجمال والفتنة.

(ت) قد نهى الله سبحانه وتعالى عن الضرب بالأرجل خوفا من افتنان الرجال بما يسمع من صوت خلخالها، فما بال الوجه أن لا يغطى، فإنه أكثر الأعضاء افتنانا وإغراء للرجال.

## محمد الغزالي ومذهبه في مسألة صوت المرأة

معظم الفقهاء يذهبون إلى أن صوت المرأة ليس بعورة، ولكن بعضهم يفرقون بين صوت وصوت، صوت يثير الافتنان والإغراء عورة، محمد الغزالى يذهب إلى أن صوت المرأة ليس بعورة بدون تمييز وتفريق،: روى البخاري عن أبي جحيفة قال: "آخى النبي- صلى الله عليه وسلم- بين سلمان الفارسي- وأبي الدرداء ... فزار سلمان

[295] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـــ7.

أبا الدرداء فرأي أم الدرداء متبذلة - عليها ثياب لا جمال فيها- فقال لها :ما شأنك؟ - لماذا هذا المنظر؟ - قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في النساء، وجاء أبو الدرداء صنع طعاما وقال لسلمان كل فإني صائم فقال: ما أنا بآكل حتى تأكل! فأكل - فأفطر لأداء حق الضيف- فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال له نم فنام! ثم ذهب يقوم فقال له نم فنام، فلما كان آخر الليل قال سلمان: قم الآن فصليا جميعا، وقال سلمان إن لربك عليك حقا وإن لنفسك عليك حقا وإن لأهلك - زوجك - عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه، فأتي أبو الدرداء النبي فذكر له ذلك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- : صدق سلمان - والذي يعنيني من سرد الحديث الحوار الذي جاء في صدره، فلو أن هذا الحوار وقع في عصرنا لضرب الزائر وقتلت المرأة! ولقيل للرجل: ماذا يعنيك من النظر إلى ملابس الزوجة؟ ولماذا تتطفل بهذه الملاحظة، ولقيل للزوجة لماذا تشكين زوجك وتكشفين للآخرين انصرافه عنك، لكن سلامة الفطرة في عصر الصحابة تنفي كل شبهة ولا تدع لظنون السوء مكانا".[296]

وهناك خير دليل على أن صوت المرأة ليس بعورة ما دار من حوار رائع بين نبي الله موسى- عليه السلام - وابنتي الرجل الصالح، وكيف أدى هذا الحوار إلى لقاء نبي بنبي آخر، ثم إلى علاقة النكاح والزواج، وأيضا خير دليل على عمل المرأة خارج المنزل، وحجة على الذين يعتبرون المرأة متاعا لا بد إخفاءها، ويغالون مبالغة شديدة في أنوثتها وضعف جسدها وحجة للذين يذهبون إلى أن المرأة يجوز لها أن تكسب العيش لها ولأبويها وأطفالها الصغار عند الحاجة إليه، يقول محمد الغزالي: "تعرض موسى لابنتي الرجل الصالح في مدين قائلا: "ما خطبكما؟ قالتا: لا نسقي

[296] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ163.

حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير" وبعد قليل جاءت إحداهما تقول لموسى "إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا" فهل قال مسلم: إن صوت المرأة عورة؟".[297]

إن قضية مشروعية صوت المرأة بأنها عورة تتبنى عليها أحكام أخرى في العصر الجديد، هل يجوز للمرأة إلقاء الدروس والمحاضرات في الإذاعة، وهل يجوز أن تباع محاضراتهن المسجلة في الأشرطة، وهل يجوز أن تعرض تلاوة المرأة لكتاب الله في الإذاعة والقنوات الفضائية، وهل يجوز للمرأة المسلمة أن تخوض الساحات الإعلامية مع النساء الأجنبيات حذوا بحذو، يقدم محمد الغزالي رأيه في ذلك: "فقد ذكر ابن اسحاق "أن أبا العاص بن الربيع - وكان صهرا لرسول الله - أقام بمكة كافرا بعد أن من عليه النبي -صلى الله عليه وسلم - وأطلقه بغير فداء من بين أسرى بدر، واستمرت زينب عند أبيها بالمدينة، حتى إذا كان قبيل الفتح خرج أبو العاص في تجارة لقريش إلى الشام فلما قفل عائدا بما معه لقيته إحدى السرايا، فاستولت على القافلة وفر أبو العاص تحت جنح الليل إلى بيت زوجته السابقة زينب محتميا بها ومستجيرا، فاجارته.! فلما خرج رسول الله -صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح، وكبر، وكبر الناس وراءه! صاحت زينب من صفة النساء فقالت: أيها الناس إني قد أجرت أبا العاص بن الربيع! فلما فرغ المسلمون من صلاتهم أقبل النبي - صلى الله عليه وسلم - عليهم قائلا: "أيها الناس، هل سمعتم الذي سمعت؟ قالوا: نعم فقال رسول الله: أما والذي نفس محمد بيده ما علمت بشيئ حتى سمعت ما سمعتم! وإنه يجير على المسلمين أدناهم!" ثم انصرف رسول الله فدخل

[297] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ165.

على بنته زينب وقال لها: أي بنية أكرمي مثواه، ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له".[298]

والذي يتدبر في حديث زينب إلى الناس يتجلى له أن صوت المرأة ليس بعورة، ولم يقل أحد من المسلمين في عهدها حينما وبخت زعماء قريش عندما تضاحكوا لرؤية وغد يضع فرثا على ظهر الرسول وهو ساجد، لقد سفهت أحلامهم وطرحت القذى عن ظهر أبيها وهي تنال منهم، لم يتقدم أحد من المسلمين ويقول: إن صوتها عورة.[299]

لا يذهب أحد من العلماء إلى حرمة ظهور صوت المرأة عند الرجال الأجانب في الحالين وبالشرطين،

(أ) الشرط الأول: أن لا تخضع المرأة بالقول حيث جاء في كتاب الله تعالى: "يا نساء النبي لستن كأحد من النساء، إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا، معنى الآية: "لا تلن بالقول للرجال ولا ترققن الكلام حتى يجد منافق أو فاجر طمعا فيكن"[300]

(ب) الشرط الثاني: أن لا يكون صوت المرأة بحيث يفتتن الرجال، أو يتلذذون منه أو مضمون حديثها يدعو إلى مظنة الفتنة، قال العراقي في كتابه

---

[298] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ164.

[299] صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية، تأليف محمد بن رزق بن طرهوني السلمي، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، 1414هـ، مكتب ابن تيمية، القاهرة، صفـ243.

[300] صوت المرأة بحث فقهي، يوسف عبد الله الأحمد، صفـ13، مؤسسة الدرر السنية، الطبعة الأولى، عام 2008 للميلاد.

"طرح التثريب": "ولا شك أن الاستماع إلى حديث الأجنبية بشهوة حرام"[301]

ولكن ماذا في صوت الأجنبية، هل صوتها عورة؟، وبالخصوص في عصر العولمة حيث انقلب العالم إلى قرية صغيرة، وأسرة واحدة، سجل المرادي عن الإمام أحمد روايتين: " وعلى كلا الروايتين: يحرم التلذذ بسماعه، ولو قراءة"[302]

وذهب البعض من العلماء أن الإصغاء إلى صوت المرأة جائز عند أمن الفتنة، وصوتها ليس بعورة على الأصح بحيث أن لا تجيب بصوت رخيم بل تغلظ صوتها عندما أقرع بابها، إذا كان الصوت يدعو إلى جماع وخلوة، أو نحوهما فحرام، ذهب إلى ذلك أبو يحي زكريا الأنصاري الشافعي والجوهري، بل أضاف الجوهري ما هو موضع الضحك في عصرنا الجديد، بأنها تضع الكف على فمها لتغليظ صوتها[303].

وملخص القول أن صوت المرأة ليس بعورة، وليس سماعه حرام للأجانب، بل استخدامه كوسيلة الفساد والدمار الخلقي حرام، كالقطار يركبه أحد ويصل إلى منزله، أو يضطجع على سككه وينتحر نفسه، هناك أصوات الرجال المليئة بالترخيم والخنوثة والوقاحة والفحش تثير الافتنان والإغراء والشهوات الحيوانية والغرائز الجسدية تصل إلى النساء عبر القنوات الفضائية وأشرطة الفيديو والإذاعة والأفلام صباح مساء تهدف إلى نشر الفاحشة في المجتمع وتدعو إلى الجماع، والخلوة، هل قال أحد من العلماء بأن صوت الرجل عورة، أواشترط أحد من العلماء أن صوت الرجل ليس بعورة إلا بالشرطين أوالشروط وفي الحالين

---

[301] صوت المرأة بحث فقهي، يوسف عبد الله الأحمد، صفـ14-15، مؤسسة الدرر السنية، الطبعة الأولى، عام 2008 للميلاد.
[302] صوت المرأة برحث فقهي، يوسف عبد الله الأحمد، صفـ15، مؤسسة الدرر السنية، الطبعة الأولى، عام 2008 للميلاد.
[303] صوت المرأة برحث فقهي، يوسف عبد الله الأحمد، صفـ15، مؤسسة الدرر السنية، الطبعة الأولى، عام 2008 للميلاد.

أوالأحوال، وذلك لأنهم يردون معظم الشر إلى المرأة ومصدره إليها، ويتفننون في الاشتراط والأحوال.

وأن المجتمع الإسلامي مليئ بمتزمتين ومتدينين يعدون إسم المرأة عورة ويعتبرون إساءة بأن يذكر إسمها في المجلس وعلى رؤس الأشهاد، وإذا صادف أن رفعت المرأة صوتها حتي سمع خارج المنزل، يوبخونها، مع أن النبي - صلى الله عليه وسلم- نادى بأسماء الرجال والنساء من عشيرته عندما أمر الله بإنذارهم، يقول محمد الغزالي: "إن نداء المرأة بهذا الصوت الجهير شيئ مستنكر في عصرنا الأخير، كنا نعد اسمها كشخصها عورة لا يجوز أن يعرف! ونقول: ما للمرأة وهذه الشؤون؟ يكفي أن يحضر رجل من أسرتها ليبلغها، أما أن تنادى على رؤوس الأشهاد فذلك عيب!"[304]

يتفاءل محمد الغزالي تجاه أخلاق المرأة ولا يعتبرها مصدر الشر ومصدر الفتنة، بل يرجو منها الخير كما كان يرجى منها في العصر الأول، والعهد النبوي، يقول: "كانت النساء على عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - يروين الأحاديث ويأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، فما زعم أحد أن صوت المرأة عورة، العورة في أصوات النساء -وأصوات الرجال أيضا - أن يكون الكلام مريبا منيرا له رنين ردئ! ولا يوجد بين رجال الفقه من قال: صوت المرأة عورة، إنها إشاعة كاذبة"[305]

## محمد الغزالي في مسألة صلاة المرأة في المسجد

بالغ المسلمون في العصر الأخير، عصر التدهور والانحطاط، في منع المرأة من الصلاة في المسجد والحضور صلاة الجماعة، وانتشرت الأحاديث التي ترخص المرأة الصلاة في المنزل والحجرة، وتداولت بين الناس، ونالت قبولا عاما من

[304] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـــ56.
[305] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـــ165.

المتدينين المتحجرين لأنها تخدم تقاليدهم ورثوها عن آبائهم وأجدادهم، لأنها تحجب المرأة عن الرجال، وعندهم لا يحمد خروج المرأة في حال من الأحوال، وعليها أن تلازم بيتها ملازمة الظل لصاحبه، وأن لا ترى الرجال ولا يروها، هولاء إذا ارتكب الولد جريمة من الزنا والسرقة وغيرها يغمضون عيونهم عنه، وإذا كانت المرتكبة أنثى ينتفخ أوداجهم غضبا، ويستيقظ غيرتهم الدينية، ويتفننون في تعذيبها وفي بعض الأحيان يقتلونها إربا إربا أو يحرقونها، أو يدفنونها وهي حية، أو يسجنونها في البيت، ولا يستحق الذكر مثل هذه العقوبات بمجرد أنه ذكر، يجوز له أن يمشي في الطريق كالفحل ينزو أنثى، لا نقول أن الأنثى لا تستحق العقوبة، بل نستنكر الإمتياز الجائر في العقوبة للجرائم المماثلة، كتب السنن مليئة بالأحاديث الكثيرة تسمح المرأة أن تشهد صلاة الجماعة في المسجد وتصغي سعمها إلى خطبة الإمام، ولكن هذه السنن والأحاديث أصبحت مهجورة لا يعرفها الناس يقول محمد الغزالي: "روى مسلم عن عبد الله بن عمر: قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنكم إليها" فقال له بلال ابنه: والله لنمنعهن، فأقبل عليه عبد الله بن عمر، فسبه سبا سيئا ما سمعته سبه مثله قط! أخبرك عن رسول الله، وتقول: والله لنمنعهن !! وروى مسلم كذلك لا تمنعوا النساء من الخروج بالليل إلى المساجد!!"[306]

منذ افتتاح المسجد النبوي الشريف بعد الهجرة إلى أن لحق النبي - صلوات الله سلامه عليه - بالرفيق الأعلى والنساء كن يصلين فيه، والباب المخصص لهن لم يغلق قط، أي أنهم أدين آلافا من الصلاة، وهذا من المتواتر المستيقن الذي تتساقط حوله أخبار الآحاد فلا يكترث بها أويقام لها وزن.

[306] قصايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، عام 1999، صفـ199

المسلمون في العصر الحديث يتفننون في التعليل لمنع المرأة من المسجد، وهي، تحرم من التزود بما تحمل خطبة الإمام يوم الجمعة والعيدين من المعاني والنصائح والمعارف الدينية، وتغفل من المشاكل والتحديات تواجهها الأمة المسلمة حتي تربي النشء الجديد لمقاومتها، وأصبحت الأمة المسلمة في القرون المتأخرة عقيمة لا تقدم لصالح العالم إيجادات نافعة مع أن الأمم الأخرى تتسابق في تلك الميادين، معظم النساء في الأمة المسلمة جاهلات لا يعرفن الكتابة والقراءة، ومن تلك التعليلات أن هذا الزمان زمان الفتن والفساد، لا، يؤمن على ذهاب المرأة إلى المسجد، مع أن نسائهم يزاحمون محلات السوق، وطرقها، يقول محمد الغزالي: "قال بعضهم لقد، روي عن عائشة أم المؤمنين: "لو رأي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد كما ،منعت نساء بني اسرائيل" فيجب منعهن لهذا الحديث ولغيره! نقول: إن ما وقع على عهد رسول الله امتد أيام الخلافة الراشدة، وبقي المسجد النبوي معمورا بهن دون نكير، بل إن عمر بن الخطاب أمر سليمان بن أبي حثمة أن يؤم النساء في مؤخرة المسجد في شهر رمضان، وروى ابن حزم أن على بن طالب كان يأمر الناس بالقيام في رمضان فيجعل للرجال إماما وللنساء إماما، قال عرفجة - الراوي- فأمرني فأممت النساء! وروى الزهري أن عاتكة بنت زيد زرجة عمر بن الخطاب كانت تشهد الصلاة في المسجد، وكان عمر يقول لها: والله إنك لتعلمين أني ما أحب هذا! فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني! قال عمر: فإني لا انهاك! فلقد طعن عمر يوم طعن وأنها لفي المسجد !! وأما روي عن عائشة من رفض صلاة المرأة في المسجد فهو باب لإلغاء شعائر الإسلام خشية الأوهام، ومن الممكن أن يقول أي إنسان: "لو علم رسول الله ما تجره إقامة الحدود من تهم للإسلام لألغى الحدود! وتلغى الحدود على نحو ما قيل: لو رأى رسول الله ما أحدث النساء بعده لمنعهن المساجد.. إن هذا القول يعني أن بعض الأحكام موقوف، يبقى لظروف خاصة، فإذا انتهت تلك الظروف ألغيت،

والظروف الجديدة الطارئة لا يعلمها صاحب الرسالة في حياته ولذلك لم يحدث لها تشريعا...[307].

أقام رب العالمين بين عباده من الذكر والأنثى سباقا في ميادين الخير من الصلاة والزكاة والصدقة وارتباط القلب بالمسجد، حتى تكون من السبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله يعتقد محمد الغزالي إذا منعنا المرأة من الذهاب إلى المسجد، منعناها من ارتبطاط قلبها بالمسجد ومن ذلك الخير يقول: "فلا عجب إذا كان بين السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة رجل "قلبه معلق بالمساجد"..والنساء والرجال سواء في الارتباط بالمسجد والتعرض لرحمات الله غدوا ورواحا، ليلا ونهارا "[308].

حاول محمد الغزالي الحفاظ على الاتزان بين ذهاب المرأة إلى المسجد وتحمل مسؤوليتها المنزلية، وأكد على ضرورة دورها في البيت وهي أمام الله راعية ومسؤولة عنه، وجعل الله مسؤولية إدارة البيت في عنقها، أما صلاتها مع الجماعة فهي سنة، ولا يجوز إهمال دورها في البيت لأداء السنة، وتعطيل مصالح الزوج و الأولاد، . ولكن إذا أدت واجبها لزوجها وأطفالها، فلا يحق لأحد أن يمسكها عن أداء الصلاة مع الجماعة والحرص على الثواب، وفي ذلك يقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله وليخرجن تفلات"[309].

إن الله سبحانه وتعالى خالق الإنسان وهو اللطيف الخبير يعرف ضروة الإنسان ومواطن ضعفه وقوته، والشريعة الإسلامية إذا أذنت المرأة الذهاب إلى المسجد وصفت لها الآداب والأصول وكيفية الذهاب والقيام في الصلاة ومكانها من

---

[307] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ197

[308] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ198-199.

[309] تحفة الإشراف بمعرفة الأطراف، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، المجلد الحادي عشر، تحقيق وتعليق، الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، عام 1999م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، صفـ108.

المسجد، وأداب الرواح يقول محمد الغزالي: "إن الإسلام ربط بين نسيان الله وغلبة الهوى، أو بين إضاعة الصلاة واتباع الشهوات ... عندما فتح المسجد للنساء جعل لهن صفوفا خاصة لم يخلطهن الرجال، وأمرهن أن يجئن محتشمات قانتات لله، وأمر كلا الجنسين بغض النظر، وأمر النساء خاصة ألا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها بطبيعته في الوجه والكفين"[310].

إن هذا العصر عصر العولمة انقمشت مسافة العالم مع طوله وعرضه وأصبح قرية صغيرة، وأصبح الإنسان يرتحل من بلاد إلى بلاد ومن مدينة إلى مدينة في طلب الأرزاق والفرص الجديدة التي تجدي عليهم النفع الكثير، هاجر المسلمون أيضا بلادهم في طلب الوظائف إلى بلاد بعيد عن المجتمع الإسلامي والبيئة الإسلامية ويعيشون في بيئة تهجم على دينهم وثقافتهم وطريقة حياتهم الإسلامية، وهناك القناصون نشروا شباك التهويد والتنصير، والتهنيد لاصطياد المسلمين الساذجين، نشأت الحاجة إلى الحفاظ على دينهم وثقافتهم وطريقة حياتهم الإسلامية ولابد أن يكون ملتقى يلتقي فيها المسلمون من الصغار والكبار ومن ذكر وأنثى، ودار يجتمعون فيها حتى يشحنوا بطارية إيمانهم، وخير الملتقى وخير الدور هو بيوت الله ومساجده، يقول محمد الغزالي: "على المسلمين في مهاجرهم أن يألفوا المسجد، وأن يفتحوه للرجال والنساء والأولاد، وأن يتعهدوا رسالته الروحية والثقافية، وأن يتعارفوا بينهم تعارفا صادقا حارا، فان تلاقي الأجساد لا ثمرة لها، وعليهم أن ينشئوا أندية حسنة لشتى الأنشطة العامة، يشارك فيها الجنسان

[310] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ46.

جميعا، وتبرز فيها تعاليم الاحتشام والاستعفاف التي أكدها الإسلام، وتختفي منها قاذورات الخمور والمخدرات التي استهلكت الغرب وتوشك أن تقضي عليه"[311]

## محمد الغزالي في مسألة دية المرأة

ذهب الفقهاء القدماء وأهل الحديث إلى أراء مختلفة بشأن قيمة ومقدار دية المرأة المسلمة، ونشأ هذا الخلاف بناء على ثبوت صحة الأدلة من القرآن والسنة بين الفريقين وبناء على اعتبارات أخرى، ومنها: أن المرأة لا تساوي الرجل في القيمة والمكافئة، يستدلون بالآية القرآنية: "يا أيها الذين آمنواء كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى"[312] ويدعون أن الله قد جعل في هذه الآية القرآنية الحر مكافئا للحر، والعبد مكافئا للعبد والأنثى مكافئة للأنثى، ويدرك من مقتضى الآية أن الأنثى ليست مكافئة للرجل كما أن العبد ليس مكافئا للحر، فقس على هذا أن الحر لا يقتل بالعبد وكذلك الذكر لا يقتل بالأنثى، لأنها تفقد المكافئة، ودمها أرخص من دم الرجل، كما أن دم العبد أرخص من دم الحر، ويقدمون في تفضيل الرجل على المرأة أدلة عديدة دون تحليل مستقيم، ومنها: "يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين"[313] وهناك فضل الله الذكر على الأنثى في الميرات مع أنهما مساويان في القرابة، وكذلك يقدمون قصة امرأة عمران في القرآن الكريم في تفضيل الرجل على المرأة، شهادتها على النصف من شهادة الرجل، و ويزعمون أنها أقل نفعا من الرجل، ويحقرون عملها في المنزل ويستعظمون عمل الرجل بما يقوم من المناصب الدينية والولايات وحفظ الثغور، والجهاد، وبالإضافة إلى ذلك فقد الرجل أشد وقعا على الأسرة وأكثر خسارة لها،

---

[311] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ50.
[312] القرآن الكريم، البقرة، الآية 178.
[313] القرآن الكريم، النساء، الآية 11.

ولكن محمد الغزالي يساوي دية المرأة بدية الرجل ويجتنب من انتقاص مكانة المرأة ويؤيد المذهب الفقهي الذي يسوي الجميع في الديات يقول: "أهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سؤة فكرية وخلقية رفضها الفقهاء المحققون! فالدية في القرآن الكريم واحدة للرجل والمرأة، والزعم بأن دم المرأة أرخص وحقها أهون زعم كاذب مخالف لظاهر الكتاب، إن الرجل يقتل في المرأة كما تقتل المرأة في الرجل، فدمها سواء باتفاق، فما الذي يجعل دية دون دية؟ كنت في مجلس مع أستاذنا مصطفى الزرقا، فقال لي: إن الدية تعويض عن مفقود! وفي العوض يلاحظ التكافؤ ومقتل الرجل خسارة للأسرة أفدح من مقتل المرأة، والفقهاء لم يفكروا قط في إهانة المرأة ماديا أوأدبيا، وانما نظروا في قيمة العوض المطلوب،! ثم قال إن القوانين الغربية لم تسو بين المرأة والرجل في أجور العمل، ولم تسو بينها في تصرفات مالية شتى، انما سوت بينهما في فرص اللذة والحرام والحلال!! وقال الأستاذ معروف الدواليبي: إنه عندما كان يشارك في وضع القوانين في باكستان على أساس الشريعة الإسلامية سوى في الدية بين الرجل والمرأة إيثارا للرأي القائل بذلك واستئناسا بمسلك عثمان بن عفان الذي أكمل دية الذمي وكانت على النصف من دية المسلم.....قال: رأينا أن نسد الطريق على من يتهمون الإسلام بانتقاض مكانة المرأة.....على أن الفقه الحنفي يسوي في الدماء والديات بين الجميع".[314]

والذين يؤيدون مساواة الرجل بالمرأة في الدية يأتون بأدلتهم من القرآن ومنها: "وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله إلا أن يصدقوا فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة

[314] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ26.

مؤمنة وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما"[315] ويقولون: أن الآية الكريمة تشمل الرجل والمرأة في الحكم، فواجب أن يكون الحكم فيها ثابتا بالسوية، وظاهر هذه الآية لا يفرق بين الذكر والأنثى في الدية، وقال الله تعال: "وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون"[316] يقولون: إن حصرنا دلالة في دائرة إقرار مبدأ عدم التكافؤ في النفس والجروح، وبالتالي في الديات بين الرجل والمرأة، يوقعنا في مأزق الإذعان لدعوى وجود تعارض بين مدلول هذه الآية ومدلول قول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى" ولقد ثبت بالحديث الصحيح أن الرجل يقتل بالمرأة بما روي عن أنس بن مالك "أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل يهوديا بجارية قتلها على أوضاح لها"[317] محمد الغزالي يذهب إلى نفس الرأي في مساواة دية المرأة بالرجل مدافعا عن الإسلام من تهمة الغرب بأنه ينتقص مكانة المرأة كما أنه يفضل في الخلاف الفقهي ما هو أيسر عملا لعامة المسلمين وما هو ينفي من اتهامات الهاجمين على الإسلام، ويشن هجمات عنيفة على بعض الفقهاء وأهل الحديث الذين يفشلون في فهم السنة النبوية فهما مستقيما آخذا بظاهرالحديث والآثار، ويقدم نموذجا يأخذ فيه ابن حزم بظاهر الحديث، ويفسره تفسيرا مفصلا يتضح فيه العوج في الفهم وإدارك القصة، يقول: "وكلام ابن حزم هنا

---

315 القرآن الكريم، النساء، الآية 92.

316 القرآن الكريم، المائدة، الآية 45.

317 التوشيح شرح الجامع الصحيح، أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى سنة 911هـ، تحقيق رضوان جامع رضوان، الطبعة الأولى، عام 1998م، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية – الرياض، صفـ 4030.

يشبه كلام آخر له ما أظن عاقلا يقبله....فقد حكم بأن من سم طعاما وقدمه لآخر فمات لم يقتص منه، ولا يسمى قاتلا...! وأصل القصة أن يهودية وضعت السم في شاة وأهدتها للنبي - عليه الصلاة والسلام - فلما شرع يأكل منها أنكر مذاقها، ونهى جلساءه عن المضى في الأكل، وأحضر اليهودية فاعترفت بأنها رأت قتله بهذه الطريقة، وأنه إذا كان نبيا فيعرف ويمتنع، فتركها النبي دون عقاب...ولكن بعض الصحابة كان قد تناول قدرا كبيرا منه فمات مسموما، فأمر بالقصاص منها... وقد حكى الرواة القصة فذكر بعضهم عفو النبي عنها وذكر الآخرون الأمر بقتلها، وسبب الخلاف ما شرحناه آنفا، ولكن ابن حزم رجح رواية العفو، وذكر في الجزء الحادي عشر من المحلى بأن من وضع سما في طعام وقدمه لأحد يريد قتله لا قصاص عليه ولا دية!! ورواية فساد الصلاة لمرور الحمار والمرأة كرواية سقوط القصاص ممن قتل بالسم أحد الناس وهو وهم مردود! فافقهوا دينكم يرحمكم الله".

# الفصل الثالث

## حملات على المتدينين المعارضين له

قد وصل المتطرفون المتدينون إلى أقصى درجة الغلو في باب الحجاب للمرأة، أما الحجاب للرجل من غض البصر وعدم جلوسه في الطريق إلا بحقه، والامتناع عن مطالعة جسد المرأة ووجهها مطالعة نافذة، فلا يتحرك ساكنهم، ولا توقظهم غيرتهم الإسلامية، ولو كان أدنى شك في نشاطات بناتهم ونسائهم يحبسونهن في منازلهم ولا يدعونهن أن يخرجن في حال، نتج عن ذلك اختفت المرأة عن الساحات العلمية وانحط مستواهن العلمي والفكري وأدى ذلك إلى انخفاض مستوى الأمة العلمي والفكري، يهجم محمد الغزالي على أمثال هؤلاء المتدينين المتطرفين ويقول: "وجاءتني رسالة من طالبة منعها أبوها من التحاق بالجامعة، قالت إن أبانا يقول لي ولأخواتي البنات: "إن الله دفنكن أحياء، فلا أترككن لما تردن من خروج! هنا فهم الأب الأحمق لآية "وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى"[318].

يعتقد محمد الغزالي أن هذا التطرف في الحجاب من قبل المتدينين المتطرفين، الجائرين على حقوق المرأة المادية والأدبية والمعنوية يقدم صورة كالحة للإسلام إلى الأوربيات والأجنبيات، تسبب في تنفيرهن من الإسلام والاعتناق به والاغتراف من منهله الشافي السلسال، يقول: "إننا قدمنا للإسلام صورا تثير الاسمئزاز وفي خطاب لأحد الدعاة المشاهير قال: إن المرأة تخرج من بيتها للزوج أو للقبر! ثم ذكر حديثا: إن امرأة مرض أبوها مرض الموت فاستأذنت زوجها لتعوده فأبى عليها! فلما مات

[318] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ52.

استاذنته أن تشهد الوفاة وتكون مع الأهل عند خروج الجنازة فأبى، قال الخطيب..... فلما ذكرت ذلك لرسول الله قال لها : إن الله غفر لأبيك لأنك أطعت زوجك!! أكذلك ، يعرض ديننا؟ سجنا للمرأة ، تقطع فيه ما أمر الله به أن يوصل؟"[319].

في رأي محمد الغزالي أن المتحدثين بالإسلام قد غلبوا على الساحات الدينية ورفعوا صيحاتهم المنكرة ويزعمون أن صلاح الدين وفضائله محشوة في الحجاب، أما المرأة المسلمة إذا تعلمت ولعبت دورا فعالا في إنهاض مستوى المسلمين العلمية والصحية، وأدهضت أكاذيب المسيحيات ألصقن بالإسلام وحاولن جاهدات في اكتساب قلوب المسلمين الساذجين عن طريق خدماتهن الطبية والعلمية وبذرن بذور المسيحية فيها، فلا يجدون الخير فيه، يقول: "وأعرف أن هناك من ينكر ما قلناه هنا، فبعض المتحدثين في الإسلام أشد تطيرا من ابن الرومي! وهم ينظرون إلى فضائل الدنيا والآخرة من خلال مضاعفة الحجب والعوائق على الغريزة الجنسية، إن الشاغبين على سفور الوجه يظاهرون رأيا مرجوحا، ويتصرفون في قضايا المرأة كلها على نحو يهز الكيان الروحي والثقافي والاجتماعي لأمة أكلها الجهل والاعوجاج لما حكمت على المرأة بالموت الأدبي والعملي"[320].

يصور محمد الغزالي كيف غصب الصائحون بالحجاب الكاذب حقوق المراة الكثيرة من التعليم والحضور في المسجد في الصلوات ومعرفة حضارة العالم المتمدن، يقول: "وقد عاصرت أياما كان تعليم الأنثى فيها جريمة! وكان ذهابها إلى المسجد منكرا ! وكان الملتصقون بالدين يحبسون حقوقها المادية والأدبية جهرة! ولا

[319] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـــ51.
[320] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـــ49.

تزال بقايا من أولئك المتدينين الجهلة - تظلم الإسلام بسوء الفهم و العرض في شتى الميادين، ويسلقونني بألسنة حداد.!"[321].

يصور محمد الغزالي تمسك الجماعات والأحزاب المسلمة بمسلكها المختار ومحاولاتها الجاهدة لنشره، هناك مسلمون يتمسكون بمذهبهم الفقهي وتعليماته أكثر بكثير مما يتمسكون بتعليمات الإسلام السمحة، ويدعون إلى آرائهم الفقهي أكثر بكثير مما يدعون إلى الإسلام، يسعون لنشر مذهبهم الخاص أكثر بكثير مما يسعون لنشر الإسلام كأن الإسلام هو رأيهم التافه يقول: "إن شرا مستطيرا يصيب الإسلام من تقوقع بعض أتباعه في آراء فقهية معينة شجرت في ميدان الفروع، ويراد نقلها من مكانها العتيد لتعترض عقائده، وقيمه الكبرى، والرجل الذي يخسر السوق لأنه يفضل دكانا على دكان أو سمسارا على سمسار لا يسمى تاجرا".[322]

إن الدعاة إلى الإسلام يواجهون جبهتين للتحديات جبهة من الخارج وجبهة من الداخل وعدوين، عدوا من الخارج وعدوا من الداخل، والعدو من الداخل أشد هجمة على الإسلام ودعوته وأكثر تشويها لوجه الإسلام الجميل يعتقد محمد الغزالي جاء الإسلام حتى يعلو ولا يعلى عليه، ويقول: "قلت لنفر من أولئك المتحدثين: إن وجه الإسلام جميل ولكنه من خلال كلماتكم يبدو دميما متجهما، وإنه لمن حسن العبادة أن تسكتوا فلا يسمع لكم صوت! إن أي كلام يفيد منه الاستبداد السياسي، أوالتظالم الاجتماعي أوالعطن الثقافي أوالتخلف الحضاري لا يمكن أن يكون دينا، إنه مرض نفسي أو فكري والإسلام صحة نفسية وعقلية."[323]

---

[321] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ212.
[322] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ159.
[323] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ159,

إن هؤلاء المتدينين مع قلة بضاعتهم وقصورهم العلمي يزعمون أنهم على قمة العلوم الإسلامية مع أنهم على قمة الجهل يصيحون في قضايا هامشية ويخفتون في القضايا الرئيسية، يقول: "والسبب هو القصور العلمي الذي بلغ مرتبة الجهل عند بعض الإسلاميين المتحدثين عن موقف الإسلام من المرأة، والصائحين بأصوات منكرة: المرأة لا ترى أحدا ولا يراها أحد، تخرج من بيتها إلى الزوج أو إلى القبر!"[324].

قلما تجد هجمات أعداء الإسلام من ثغر عقائده وعباداته لأنهم قد هزموا في هاتين الجبهتين هزيمة نكراء، وحاولوا في استغلال أقوال المتدينين الجاهلين وهتافاتهم في القضايا غير الهامة بين فينة وأخرى وكثر عدد المفتين الجائرين على الإسلام يصدرون الفتيا بدون دراية وفهم سليم، ويقول: "والقضايا التي تثار ضد الإسلام لا تتصل بعقائده ولا بعباداته! إن أعداء الإسلام لهم مكر سيئ في استغلال أقوال الجاهلين به، لاسيما في ميدان المرأة. من أجل ذلك أنصح بالضرب على أيدي الجراء على الفتوى من أدعياء الفقه الذين لا شغل لهم في هذه الأيام إلا الصياح بوجوب النقاب وتحريم التصوير والثرثرة بأمور لا وزن لها ولا خير فيها"[325].

وهناك أناس يطيرون بين الناس بكلام موضوع وحديث موضوع بدون فحص وبحث، ويلعبون دورا فعالا في نشر الأكاذيب المنسوبة إلى النبي - صلوات الله وسلامه عليه - ويهملون الآيات البينات انسياقا وراء تقاليدهم ورثوه كابرا عن كابر

[324] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ61.
[325] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ51.

يقول: "ومصيبة ديننا في أناس يحرفون الكلم عن مواضعه، ويطيرون بحديث موضوع أو معلول ليلغوا به الآيات البينات، والسنن الثابتات البينات"[326].

والآفة أن أعداء الإسلام عمدا في خطباتهم ومجلاتهم وجرائدهم اليومية ومؤتمراتهم على مختلف المنصات يعرضون آراء هؤلاء الاصدقاء الجهلة كتعليمات الإسلام، ويتجاهلون عن تعليم الإسلام القويم يقول: "هؤلاء الأصدقاء الجهلة أخطر على دين الله من الأعداء الحاقدين، والغريب أن صوتهم بيعد المدى، كأن هناك شياطين خفية تمده بالقوة، هل هؤلاء الشياطين هم أعوان المستعمرين؟"[327].

إن الإسلام في حاجة ماسة إلى الدعاة الذين يملكون الفكر الصائب والعقل السليم ويعرضون الإسلام في زي جميل، وتعليماته البعيدة من انتحال الأصدقاء الجهلة، المنقذة من ضلالة المادية وهجماته القاسية، يقول: "إن حاجة العالم إلى الإسلام ملحة بيد أن ناسا من ذوي الجهالة والجراءة لا يعلمون ويكرهون من يعلم، لا يعملون ويكرهون من يعمل، وقفوا في هذا العصر سدا أمام تيار الإسلام يعكرون صفوه ويمنعون ورده! ويصدون الأمم عنه"[328].

هناك تاجران تاجر يبيع الأمتعة المغشوشة، وتاجر يبيع الأمتعة الزائفة، فحذار أيها المسلمون من كلا التاجرين، يقول: "إنني أحذر على الإسلام صنفين من الناس: المكذبون به، والجاهلون به، المكذبون من أعدائه، والجاهلون من

[326] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ35.
[327] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ31.
[328] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ31.

أصدقائه.....وأكرر ما قلته من قبل: إنني أحارب الأدوية المغشوشة بالقوة نفسها التي أحارب بها الأمراض المنتشرة"[329]

هناك جماعات في الأمة المسلمة ترفع صيحاتها في القضايا الهامشية تدور بين الراجح والمرجوج والنوافل والمستحبات ويخرسون في الشؤون الأساسية والقضايا الرئيسية، لا يرفعون رؤسهم في شؤون سوء الصحة لأطفالنا وبناتنا وأخواتنا، لماذا تقصر أمهاتنا عن إنجاب الأبطال والعبقريات تحمي حمى الإسلام لماذا تكثر الأمية في أمتنا المسلمة هل ترجع أسبابها إلى جهالة الأمهات، يقول: "ولحساب من يعلو صوت الإسلام في قضايا هامشية ويخفت خفوتا منكرا في قضايا أساسية ؟ ولحساب من يرى بعضهم الرأي من الآراء، أو يحترم تقليدا من التقاليد ثم يزعم أن الإسلام الواسع هو رأيه الضيق، وأن تقاليد بيته هي توجيهات الوحي، وبقايا التعاليم السماوية على الأرض؟ قلت لنفر من أولئك المتحدثين: إن وجه الإسلام جميل ولكنه من خلال كلماتكم يبدو دميما متجهما، وأنه لمن حسن العبادة أن تسكتوا فلا يسمع لكم صوت!"[330]

هناك رجال في المجتمع الإسلامي لا يأبهون برأي الآخرين ولا يعرفون التسامح تجاهه هم أصحاب الفتن الجدد كأن الخوارج بعثوا من جديد في زي هؤلاء متحجري العقول، يقول: "في هذا العصر يوجد فتيان وشيوخ لهم أدمغة مظلمة متحجرة، يقولون: رأينا وحده! لا حياة لرأي آخر ولا مكان له، إنهم طراز جديد من الخوارج القدماء!"[331]

---

[329] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ36.
[330] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ28- 29.
[331] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ8

والعدو اللدود للإسلام ذكي غاية الذكاء، ومتوقد الفكر، يعرف مواطن الضعف والقوة وهو يعلم من أين يأتي له النصر، وأين ينشر شباكه يقول: "إن لأعداء الإسلام في بلادنا رجالا مكرة مهرة يوقنون بأن الجبهة إذا تمحضت لأهل الوعي والفقه فهم منصرون حتما! لذلك يفتحون ألف طريق لأولئك الغلاة حتى يسود صياحهم الساحة الإسلامية ويتأمل أولو الألباب فيما يقال، ثم يقرون ترك الإسلام كله....."[332]

يعطي محمد الغزالي صورة راقصة للتشاجر في جماعات المسلمين في القضايا الهامشية، يقول: "قص علي أحد طلبتي النابهين حوارا وقع بينه وبين متدين شديد الغلو ينتمي - كما يصف نفسه – إلى الإخوة أهل الحديث، سأله: أ أنت ممن يعلقون الصور على الجدران، ويوافقون على نشرها بالصحف؟ قال: نعم! فرد عليه، سلحقك الوعيد الذي ورد في الحديث الشريف "أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون" لأنك تشجعهم وتناصرهم! قال له الطالب: رأينا أن الحديث في صانعي التماثيل لا فيمن يرسمون ولا أريد أن أدخل معك في جدال وإنما أريد أن أنبهك إلى أن شرائع شعائر إسلامية كثيرة قد تهدمت في هذا العصر، والأتفاق على ضرورة بنائها من جديد ليس موضع نزاع! فتعال أنت ومن معك لنتعاون في إقامة الصرح المنهار، ولنترك الشجار في الأمور الخلافية ..! فكان الجواب: ما نضع أيدينا في أيديكم! وما نثق في دينكم، بل أنتم وأعداء الإسلام سواء..."[333].

إن كثيرا من المسلمين ينحطون إلى أسفل درجة الغضاضة، والسخافة، ويتناولون كبار العلماء وأئمة العصر بالسب ويذكرونهم بكلمات بذيئة ويبغضونهم أشد مما

[332] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ9.
[333] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ8.

يبغضون اليهود الماكرين والنصارى الغامشين وذلك لأن رأيهم لا يوافق رأي هؤلاء وفكرهم لا يماثل فكر هؤلاء يقول:"لقد أدهشني أن نفرا من المتدينين يتناولونني بأقسى مما يتناولني به الصهاينة والصليبيون! وفهمت ما قاله الأستاذ عصام الدين العطار: لو بذل أدعياء الإسلام في محاربة أعداء الله والمبطلين به عشر ما يبذلون في حرب أولياء الله الصادقين لأنتصر الإسلام من زمن بعيد، ولكن من النفوس ما ينشط في الباطل مالا ينشط في الحق، ويندفع لأهوائه و دنياه مالا يندفع لآخرته ومرضاة ربه عز جل..."[334].

يؤمن محمد الغزالي أن فرقا من المسلمين شوهت تعليم الإسلام وزورت قيمها السامية وسودت وجهه الوضاء، يقول "إن بعض المسلمين يعرضون دينهم مزورا دميم الوجه ثم يذمون الناس، لأنهم رفضوه، وعندي أن هذا البعض الجهول يجب سجنه أو جلده لأنه صاد عن سبيل الله، فتان عن الحقيقة التي صدع بها صاحب الرسالة الخاتمة - عليه الصلاة والسلام-..."[335].

إن بعض متحجري العقول من المسلمين يزعمون أن تقاليدهم الموروثة من آبائهم هو الإسلام ودين الله، وإذا أتى أحد من كتاب الله وسنة رسوله يخالفها يكذبونه يصعب عليهم ترك تقاليدهم ويسهل لهم نبذ أوامر الله ورسوله يقول: "لقد رأيت بعض الإسلاميين يفقد وعيه في الدفاع عن موروثات ما أنزل الله بها من سلطان، كأن من السهل عليه أن يكذب الله ورسوله، ولا تمس عادات تلقاها عن آبائه...!! هناك حراس للخطأ يرتفع عويلهم إلى عنان السماء عندما ينتقد هذا الخطأ، وقد كنت أول أمري قليل الاكتراث بهذا العويل، بين أني وجدته يتحول على مر الأيام

[334] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ19.
[335] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ15.

إلى ضغينة على المصلحين واستباحة لأعراضهم لا يمكن السكوت عليها، لأن الدين نفسه سوف يضار من هذا السكوت، وسوف تتحول حقائقه إلى أباطيل، وقد سمعت من يشتم جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا، بل سمعت أطفالا ينالون من أقدرا الأئمة الأعلام لا لشيئ إلا لأنهم أتوا بما لم يعهدوه عن آبائهم الذين لا يقلون عنهم جهلا"[336]

استغل الأعداء المكرة هذا الوضع البائس من الشجار والخلاف في البلدان الإسلامية وأشعلوه بين فينة وأخرى من خلال عملائهم وحاولوا جاهدين في إعماله لأغراضهم الخبيثة وتمزيق وحدة المسلمين، وقد نجحوا إلى حد كبير في غرس نباتات الحقد والنقمة التي أخذت ظلالها السوداء المخيفة جميع البلدان الإسلامية، يقول: "وقد استغل الاستعمار العالمي في غارته الآخيرة علينا هذا الاعوجاج المنكور، وشن على تعاليم الإسلام حربا ضارية! كأن الإسلام المظلوم هو المسؤول عن الفوضى الضاربة بين أتباعه، والذي يثير الدهشة أن مدافعين عن الإسلام أو متحدثين باسمه وقفوا محامين عن هذه الفوضى الموروثة، لأنهم - بغباوة رائعة – ظنوا أن الإسلام هو هذه الفوضى! والجنون فنون والجهالة فنون!!"[337]

يقول محمد الغزالي هاجما على الذين يقومون سدا حاجزا في طريق النساء المسلمات إلى المسجد والتزود بما تحمل خطب الأئمة من المعنويات، مع أن المرأة كانت حرة في شؤونها الدينية في العصر النبوي الشريف، وكانت تشهد جميع مراسم الدين من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبيعة والجهاد في سبيل الله :

---

[336] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ19.
[337] السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، محمد الغزالي، دار الشروق - مصر، عام 1989م، صفـ54-55.

"هؤلاء الغلاة يخفون عن عمد وسوء قصد أن المسلمات كن يصلين في المسجد الصلوات الخمس من الفجر إلى العشاء، وكن يشاركن في معارك النصر والهزيمة وكن يشهدن البيعات الكبرى، وكن يأمرن بالمعروف وينهين عن المنكر، كانت المرأة انسانا مكتمل الحقوق المادية والأدبية، وليست نفاية اجتماعية كما يفهم أولئك المتطرفون الجاهلون، كما أشاعوا عن الإسلام فصدوا عنه، ونفروا منه"[338].

[338] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، محمد الغزالي، مكتبة دارالشروق، القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م، صفـ30-31.

# الخاتمة

الحمد لله وصلت إلى نهاية المطاف لهذا البحث وأثني على الله سبحانه وتعالى بأنه وفقني لإتمامه، واتضح مما كتبت بأن حقوق المرأة أصبحت بين الإفراط والتفريط، ووجد هذا الإفراط والتفريط جماعة وطائفة تتحمس لمذهبها وتتمسك بمسلكها وتتفانى في تأييده ونشره، طائفة ترى في تعليم المرأة الكتابة الفتنة والفساد على أخلاقها وسيرتها تتخذها وسيلة للمعاشقة والمغازلة بالرجال، هذا فكر مليئ بالعلة والأخطاء يعوق مسيرة النهضة الأدبية عند النساء في البلدان الإسلامية، ويسبب في تجهيل الأمة الإسلامية، وليس لهذا الفكر العليل صلة بتعاليم الإسلام النقية، نجد في العصر الأول في قبيلة قريش عددا من النساء ممن يجدن القراءة والكتابة منهن الشفاء العدوية بنت عبد الله، وهي أسلمت قبل الهجرة وأصبحت من المهاجرات الأولى وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت تحتل مكانة سامية بين عقلاء النساء وفضلاءهن وكانت لها منزلة عظمى عند أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، وقبل وفاته أمرها النبي صلى الله عليه وسلم أن تعلم زوجته حفصة رقية النمل والكتابة[339]، لم يقم النبي صلى الله عليه وسلم الظنون السيئة بالنساء عندما أذن لهن تعلم الكتابة والقراءة ولم يكن نبيا لوقت محدد بل تمتد نبوته إلى يوم القيامة، وهذه الواقعة تفنيد لرأي من يسيئ الظن بالنساء ولا يتوقع منهن إلا الشر والغدر ولا يرى للمرأة فض عقل ولا علم ولا تقر لها برشد ولا حلم، فما الفرق بين الطائفة التي لا ترى في المرأة إلا جسدا له خوار وروحا متجردة من المعنويات، لا شغل لها إلا إشباع الشهوات الجسدية وما خلقت لسواها وبين الماديين العصريين الذين يتاجرون بمفاتن النساء الجميلات، وأن هذه الطائفة الأولى المتدينة المتجرة لا تعتبر النساء إلا ناقصات العقل والدين

[339] نساء حول الأنبياء، لمياء شومان، دار البشير للثقافة والعلوم، تاريخ النشر عام 2014م، صفـ174، والكتاب الآخر " هذا القرآن قصة الذكر الحكيم تدوينا وتفكيرا" الدكتور صابر طعيمة، دار الجبل، بيروت، لبنان، صفـ67.

وتجحد قدراتها العقلية والفكرية وتفوقها واتقانها في شتى مجالات العلم، مع أن العلم في الشريعة الإسلامية مشترك لم يعد حكرا على الرجال ولم يعد طلبه حكرا على جنس دون جنس، كما جعلت الشريعة فريضة مشتركة على الرجال والنساء على حد سواء، أثبتت الوقائع التاريخية عبر العصور والقرون أن المرأة لم تعد ناقصة كما في زعم البعض، ولا يخفى على أحد دور انديرا غاندي وجولدا مائر اللتان لعبتاه وحققتا النصر لقومهما بينما نظراءهما تجران أذيال الخيبة والذل، ومن لا يعرف عهد الملكة فكتوريا يعد من العصور الذهبية، ومن لا يعرف المرأة الحاكمة الحكيمة التي حكمت سبأ وقد أثنى القرآن الكريم على ذكائها وحنكتها، ومن يرفض قيمة المشورة التي قدمتها أم سلمة في صلح الحديبية لزوجها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، أ ما يكفي هذا كله لتفنيد رأي من يرى في المرأة نقصان الدين والعقل؟ نقرأ في كتاب صفي الرحمان المباركفوري "إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب" عندما يحاول شمل الوجه في الحجاب يقدم الأدلة العقلية لشمله بأن الوجه المكشوف يجذب الأنظار الجائعة ويثير المشاعر النائمة ويصطاد القلوب الطامعة ويورث نار الشوق والهيام ويسبب الشغف التوقان وقد تفنن الشعراء والأدباء في ذكر محاسن الوجه وجماله وأن الوجه أبلغ تأثيرا في جذب القلوب وإثارة النزعات،[340] كأنه من خلال كلماته وأدلته المنطقية يريد أن يجعل المرأة مومياء مصر في قبورها، تفنن الشعراء في ذكر مشية المرأة وتمايل خاصرتها وصوت خلخالها، هذا كله خنوثة الشعراء، كذلك تفننوا في ذكر مفاتن الغلمان فهؤلاء يلبسون النقب، حتى ذهب البعض إلى شمل صوت المرأة في العورة إذا كان مثيرا للفتن، ما إذا كان صوت الرجل مثيرا للفتن هل يعد في العورة أم لا؟ يخرس المتدينون المتحجرون في هذا الباب، لا يعد هؤلاء المرأة إلا مصدرا للشر والفساد، ثم هناك صيحات في حجاب المرأة، وماذا عن حجاب الرجل من غض البصر

[340] إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب، تأليف صفي الرحمان المباركفوري، حديث أكادمي فيصل آباد باكستان، الطبعة الأولى، عام 1991م، صفـ10.

وعدم جلوسه على حافة الطريق؟ وعدم إلقاء النظرة الثانية بعد الأولى على وجه المرأة؟ لماذا يلقي النظرة الثاقبة على وجهها حتى يكون مثيرا للفتن؟ وما معنى الحديث "أيما رجل رأى امرأة فأعجبته فليقم إلى أهله فإن معها مثل الذي معها"[341]؟

وفي جانب الطائفة الليبرالية تقيم سباقا مطلقا بين الرجل والمرأة في كل شعبة من شعب الحياة دون مراعاة تركيبها الجسدي وأنوثتها الطبيعية، وعرضتها في سوق المتعتة واللذات تباع وتشترى مفاتنها الجسدية، يتم كل ذلك باسم تحرير المرأة، نتيجة لذلك أصبحت المرأة الغربية تهمل شؤون الأسرة وإدارة المنزل، ونظرت إلى وظيفتها الأساسية نظرة ازدراء وفقدت احترامها من الأبناء والأولاد، وصارت آلة في المصانع لا تعرف العطف والحنان، وفي الواقع أصبحت عبيدة في يد الرأسماليين دون أن تشعر عبوديتها، هذه الطائفة الليبرالية ترفض ضرورة الحجاب مع أنه يوجد عند جميع الشرائع السماوية وذلك لأنه مطابق لطبيعة الإنسان السليمة.

هناك طائفة تعرف القصد والاتزان في حقوق النساء، فهي لا تريد أن تصبح المرأة آلة صماء في المصانع ودور التجارة، وتعترف بحقوقها المادية والاقتصادية، وتسمح لها العمل وتولي المناصب والوظائف مالم تصطدم بمصالح الأسرة، وظيفتها الأساسية، وتسمح هذه الطائفة المرأة أن تخرج للعمل مرتدية رداء الحشمة والعفة، بعيدة من كل الريبة والشوائب، مقتبسة بسيرة بنات نبي الله الصالح عليه السلام، والصحابيات من أمثال أسماء زوجة الزبير رضي الله عنهما، خالة جابر بن عبد الله الأنصاري، وقيلة الأنمارية، وزينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها، وأم مبشر الأنصارية زوجة زيد بن الحارثة رضى الله عنهما وسمراء بنت نهيك الأسدية، تتعلق بهذه الطائفة المعتدلة. يذهب محمد الغزالي إلى أن يجوز للمرأة أن تتجند في جميع الأعمال الشريفة ما لم

[341] الفصل للوصل المدرج في النقل، أبو بكر أحمد بن على بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق عبد السميع محمد الأنيس، الجزء الثاني، دار بن الجوزي، سنة الطباعة لم تذكر، صفـ874.

تلحق الضرر بوظيفتها الرئيسية وهي إدارة شؤون المنزل وتربية النشء الجديد، في نظره أن جميع الوظائف حقيرة أمام تربية الأولاد، وهي تستطيع أن تقوم بهذه المسؤولية بأحسن أسلوب، وأنها تعلم طبيعة الطفل ونفسيتها، وتشعر بحاجاتها، إذا أحسنت في إعداد طفلها أحسنت في إعداد المجتمع الصالح.

# المصادر والمراجع


- ابن تيمية "فقه السيرة" عند الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية في الزواج وآثاره" إعداد محمد بن أحمد الصالح، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، المجلد الأول، عام 1995م.
- ابن حزم علي بن أحمد الأندلسي "المحلى بالآثار" دار الكتب العلمية، بيروت، لبان، الجزء الثامن، عام 1998م.
- ابن عقيلة المكي "الزيادة والإحسان في علوم القرآن" الجزء الثاني، الطبعة الأولى، عام 2006م، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة.
- أبو إسحاق الحويني "كتاب غوث المكدود"، بتخريج منتقى ابن الجارود، الجزء الأول، الطبعة الأولى، عام 1998م، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان.
- أبو إسحاق الحويني "سمط اللآلي في الرد على الشيخ محمد الغزالي"، المكتبة التوعية الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، الطالبية، الجيزة، الطبعة الأولى، عام 1989م.
- أبو بكر ابن العربي "أحكام القرآن"، الجزء الثالث، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة لم تذكر.
- أبو بكر أحمد بن علي "الفصل للوصل المدرج في النقل" تحقيق عبد السميع

بن ثابت الخطيب البغدادي محمد الأنيس، الجزء الثاني، دار بن الجوزي، سنة الطباعة لم تذكر.

- أبو بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى "السنن الكبرى" تحقيق- محمد عبد القادر عطاء، الجزء التاسع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
- أبو الحسن على بن محمد خلف القابس "الرسالة المفضلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين" دار المعارف، القاهرة، عام 1980م.
- أبو حامد الغزالي "فضائح الباطنية" الدار القومية، مصر، عام 1964م.
- أبو الحسن علي الحسني الندوي "التربية الإسلامية الحرة" مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، عام 1977م.
- أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ "البيان والتبيين" المجلد الثاني، الطبعة الخامسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، سنة الطباعة لم تذكر.
- أبو العباس أحمد بن عمر الأنصاري القرطبي "كتاب المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم" تقديم وتحقيق عبد الهادئ التازي، الجزء الثالث، الطبة الأولى، عام 2005م، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية.
- أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمان السيوطي "التوشيح شرح الجامع الصحيح" تحقيق رضوان جامع رضوان، الطبعة الأولى، عام 1998م، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض.

- أبو محمد عبد القادر بن حبيب الله السندي "رسالة الحجاب في الكتاب والسنة" دار المنار بالخرج، الطبعة الأولى، 1412هـ .
- أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زعلول "موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف" المجلد الثامن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
- أحمد شوقي "ديوان شوقي" توثيق وتبويب وشرح وتعقيب، الدكتور أحمد الحوفي، دار نضة مصر للطبع والنشر، المجلد الثاني، سنة الطباعة لم تذكر.
- أحمد محرم "ديوان أحمد محرم" تحقيق محمود أحمد محرم، مكتبة الفلاح، الكويت، المجلد الثاني، سنة الطباعة لم تذكر.
- أنور الجندي الأستاذ "سلسلة أعلام العرب" المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، سنة الطباعة لم تذكر.
- بو الأعلى المودودي "الحجاب" دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية، عام 1964م.
- جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي "تحفة الإشراف بمعرفة الأطراف" المجلد الثاني حادي عشر، تحقيق وتعليق الدكتور بشار عواد معروف، الطبعة الأولى، عام 1999م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

- جمال محمد فقي رسول باجلان الدكتور "المرأة في الفكر الإسلامي" الطبعة الثامنة، 2017م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.
- حسان محمد حسان "تاريخ تعليم البنت في مصر تاريخ وقضايا وآراء، السنة التاسعة، العدد الثالث، المركز الدولي للتعليم الوظيفي للكبار في العالم العربي، بسرس الليان، عام 1979م.
- حافظ إبراهيم "ديوان حافظ إبراهيم" المجلد الأول، الطبعة الثالثة، المطبة الأميرية، القاهرة، عام 1948م.
- سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكي "سنن سعيد بن منصور" حققه وعلق عليه حبيب الرحمان الأعظمي، دار الكتب العلمية ببيروت، سنة الطباعة لم تذكر.
- سلمان بن فهد العودة "في حوار هادئ مع محمد الغزالي" الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة الأولى، ذو القعدة 1409 هـ.
- سيد ممتاز على مولوي "حقوق نسوان" باللغة الأردية،مطبع رفاه عام، لاهور، دار الإشاعت، بنجاب، عام 1898م.
- صابر طعيمة الدكتور "هذا القرآن قصة الذكر الحكيم تدوينا وتفكيرا" دار الجبل ببيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
- صفاء محمد المبيض "دور المرأة في المجال الإعلامي المعاصر في الفقه الإسلامي"، الجامعة الإسلامية، غزة، عام 2009م.

- صفي الحمان المباركفوري الشيخ "إبراز الحق والصواب في مسألة السفور والحجاب" حديث أكادمي، فيصل آباد، باكستان، الطبعة الأولى، عام 1991م.
- ضياء الدين المقديسي أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد "السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام" تحقيق أبي عبد الله حسين بن عكاسة، المجلد الثاني، الطبعة الأولى، عام 2004م، دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، جدة.
- عبد الحليم محمد أبو شقة "تحرير المرأة في عصر الرسالة" الجزء الثاني، الطبعة السابعة، دار القلم للنشر والتوزيع بالكويت، عام 2002م.
- عبد الرحمن بن علي المعروف بابن الديبع الشيباني "تيسير الأصول إلى جامع الأصول" الجزء الثالث، المطبعة السلفية بمصر، سنة الطباعة 1346هـ.
- عبد السلام العشري "باحثة البادية" الناشر: وزارة التربية والتعليم، إدارة الشؤون العامة، القاهرة، عام 1958م.
- عبد الله بن عبد الرحمان الوطبان، "معالم على طريق العفة"، مصدر هذه المادة، الكتيبات الإسلامية، www.kitab.com
- عبد الموجود محمد "السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم" مطبعة

عبد اللطيف طيبة القاهرة، الطبعة الأولى، يناير 1990م.

- علي عبد الواقي الدكتور "حقوق الإسلام" دار نهضة مصر، القاهرة، عام 1967م.
- علي بن سلطان محمد القاري "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح" الجزء السادس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
- غازي بن عبد الرحمان القصيبي "ثورة في السنة النبوية" دار الساقي ببيروت، لبنان، الطبعة الأولى، عام 2003م.
- فاطمة المرنيسي "الحريم السياسي النبي والنساء" مطبعة ألف باء الأديب، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، برامكة، سنة الطباعة لم تذكر.
- فتحي ملكاوي "العطاء الفكري للشيخ محمد الغزالي" الطبعة الأولى، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، عام 1996م.
- قاسم أمين "تحرير المرأة" مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، عام 2012م.
- قطب عبد الحميد قطب "خطب الشيخ محمد الغزالي في شؤون الدين والحياة" المجلد الثاني، مراجعة الدكتور محمد عاشور، إعداد قطب عبد الحميد قطب، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، شارع حسين حجازي، القاهرة، سنة الطباعة

لم تذكر.

- لاليتا راموا س "محو أمية النساء مطلب عدالة مستقبليات" المجلد 19، العدد الرابع، مركز مطبوعات اليونسكو، القاهرة، عام 1989م.
- لمياء شومان "نساء حول الأنبياء" دار البشير للثقافة والعلوم، تاريخ النشر: عام 2014م.
- مجيد محمود أبو حجير "المرأة والحقوق السياسية في الإسلام" الطبعة الأولى، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الرياض، طريق الحجاز، عام 1997م.
- محمد أبو زهرة "زهرة التفاسير" شركة مساهمة مصرية للطباعة والنشر والتوزيع عام 2001م.
- محمد بن رزق بن طرهوني السلمي "صحيح السيرة النبوية المسماة السيرة الذهبية" المجلد الثاني، مكتب ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1414هـ.
- محمد بن رسول الحسيني البرزنجي "الإشاعة لأشراط الساعة" دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد بن فتوح الحميدي "الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم" تحقيق الدكتور علي الحسن البواب، الجزء الرابع، الطبعة الثانية، دار النشر، دار بن حزم، بيروت، لبنان، سنة

الطباعة لم تذكر.

- محمد حافظ دياب "سيد قطب الخطاب والأيدولوجيا" دار الطليعة للطباعة والنشر بمصر، عام 1988م.
- محمد رشيد رضا "نداء للجنس اللطيف حقوق النساء في الإسلام" تعليق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي ببيروت، لبنان، عام 1984م.
- محمد عبد الحي الكتاني الإدريسي الحسيني الفاسي "نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية" تحقيق الدكتور عبد الله الخالدي، الجزء الثاني، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد عبد المطلب "ديوان عبد المطلب" مطبعة الاعتماد بمصر، الطبعة الأولى، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد عمارة "شبهات وإجابات حول مكانة المرأة في الإسلام" الإدارة العامة للنشر، الجيزة، الطبعة الأولى، عام 2004م.
- محمد الغزالي "دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السابعة، إبريل 2005م.
- محمد الغزالي "خلق المسلم" الطبعة الأولى، دار الريان للتراث، القاهرة، عام 1987م.

- محمد الغزالي "مع الله دراسات في الدعوة والدعاة" نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة السادسة، إبريل عام 2005م.
- محمد الغزالي "حصاد الغرور" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، أغسطس عام 2005م.
- محمد الغزالي "جدد حياتك" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة التاسعة، أكتوبر عام 2005م.
- محمد الغزالي "جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "المحاور الخمسة للقرآن الكريم" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي تأملات في الدين والحياة" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "الدعوة الإسلامية في القرن الحالي" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي "الطريق من هنا" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم

تذكر.


- محمد الغزالي "الفساد السياسي في المجتمعات العربية والإسلامية – أزمة الشورى" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "الجرعات الأخيرة من الحق المر" الجزء السادس، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" دار الشروق بمصر، عام 1989م.
- محمد الغزالي "الجانب العاطفي من الإسلام" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، يوليو عام 2005م.
- محمد الغزالي "التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام" نهضة مصر للطباعة والنشر التوزيع، الطبعة السادسة، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "الإسلام والمناهج الإشتراكية" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "الإسلام المفترى عليه.. بين الشيوعيين والرأسماليين" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، أغسطس عام 2005م.

- محمد الغزالي "الإسلام والأوضاع الاقتصادية" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، أكتوبر 2005م.
- محمد الغزالي "الإسلام والطاقات المعطلة" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "الإسلام في وجه الزحف الأحمر" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، يناير 2005م.
- محمد الغزالي "الإسلام والاستبداد السياسي" نهضة مصر للطباعة النشر والتوزيع، الطبعة السادسة، أكتوبر عام 2005م.
- محمد الغزالي "الاستعمار أحقاد وأطماع" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، يناير 2005م.
- محمد الغزالي "حقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، أكتوبر 2005م.
- محمد الغزالي "كيف نفهم الإسلام ؟" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، مارس عام 2005م.
- محمد الغزالي "في موكب الدعوة" نهضة مصر للطاعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، أغسطس عام 2005م.
- محمد الغزالي "كفاح دين" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع،

يناير عام 2005م.

- محمد الغزالي "علل وأدوية" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي "ظلام من الغرب" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، يناير عام 2005م.
- محمد الغزالي "عقيدة المسلم" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، يونيو عام 2005م.
- محمد الغزالي "سر تأخر العرب والمسلمين" نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة السادسة، مارس عام 2005م.
- محمد الغزالي "صيحة تحذير من دعاة التنصير" للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، أكتوبر عام 2005م.
- محمد الغزالي "ليس من الإسلام" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي "الغزو الثقافي يمتد في فراغنا" دار الشروق بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي "من هنا نعلم" الإدارة العامة للنشر، الجيزة، مصر، الطبعة الخامسة يناير عام 2005م.

- محمد الغزالي "المرأة في الإسلام" إدارة الكتب والمكتبات بمصر، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد الغزالي "قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة" مكتبة دار الشروق القاهرة، الطبعة الثالثة، يوليو عام 1991م.
- محمد ناصر الدين الألباني "جلباب المرأة المسلمة في الكتاب والسنة" دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، سنة الطباعة لم تذكر.
- محمد ناصر الدين الألباني "صحيح الجامع الصغير وزيادته الفتح الكبير" المجلد الأول، المكتب الإسلامي ببيروت، لبنان، الطبعة الثالثة، عام 1988م.
- محمود عبد الحليم دراسة بعنوان "الإخوان المسلمون والمقوف من المرأة" المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،www.dohainstitute.org
- مصطفى السباعي "المرأة بين الفقه والقانون دراسة شرعية وقانونية واجتماعية" الطبعة الثانية، المكتبة الغربية،حلب، سنة الطباعة لم تذكر.
- مصطفى العدوي "جامع أحكام النساء" باب في العلم، الجزء الخامس، الطبعة الأولى، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، القاهرة، الجيزة، عام 1999م.

- مصـــــطفى فرغلـــي الشقيري "المشكلات الأسرية والتربوية في ضوء الإسلام أسباب وحلول" المكتب الحصري الحديث، سنة الطباعة لم تذكر.
- مصطفى الغلاي الشيخ "عظة الناشئين" المطبعة الوطنية ببيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، عام 1936م.
- نزار أباظة الدكتور "في مدينة الرسول" دار الفكر بدمشق، عام 20014م.
- نظيرة زين الدين "السفور والحجاب" مراجعة وتقديم بثينة شعبان، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق، عام 1998م.
- نوال السعداوي "المرأة والدين والأخلاق" دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى، أكتوبر عام 2000م.
- هبة رؤوف عزت "المرأة والعمل السياسي رؤية إسلامية" المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، عام 1996م.
- يوســـف عبـــد الله الأحمد "صوت المرأة بحث فقهي" مؤسسة الدرر السنية، الطبعة الأولى، عام 2008م.
- يوســـف القرضـــاوي الدكتور "الشيخ الغزالي كما عرفته" دار الشروق، القاهرة، مدينة نصر، الطبعة الأولى، عام 2000م.

## الصحف والجرائد والمجلات


- جريدة "الحياة" جريدة يومية، طبعة المملكة العربية السعودية، تاريخ 23.01.2008م، وجهات نظر.
- جريدة "الرياض" جريدة يومية، تصدر عن الرياض، المملكة العربية السعودية، الثلثاء 11 شعبان 1432هـ من 12 يوليو 2011م، العدد 15723.
- جريدة "القبس" جريدة يومية سياسية شاملة، تصدر عن دولة الكويت، عنوان: "معركة الحجاب" الجمعة 6 مايو 2016م، العدد 15421.
- مجلة إسلامية المعرفة مجلة فكرية محكمة، تصدر عن المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، العدد الثاني، سبتمبر 1995م، والعدد الرابع، إبريل 1996م، العدد السابع عدد خاص عن الشيخ محمد الغزالي، سبتمبر 1996م.
- مجلة التربية مجلة فصلية محكمة تصدر عن اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، العدد 92، يناير عام 1990م.
- مجلة كلية العلوم تصدر عن كلية العلوم الإسلامية جامعة بغداد،

الإســـلامية جامعـــة بغداد العدد 45، 20 جمادى الآخر 1437هـ، الموافق 30 آذار 2016م.

- مجلة الوعي الإسلامي مجلة كويتية شهرية جامعة تصدر عن دولة الكويت في مطلع كل شهر عربي، وزارة الأوقاف والشؤون. الإسلامية، قطاع الشؤون الثقافية، الإصدار الثاني عشر، عام 2010م

- مجلة العلوم الاجتماعية مجلة أكادمية فصلية محكمة، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، خريف 1984م.

# المحتويات


| | | |
|---|---|---|
| **المقدمة** | | 5-1 |
| **الباب الأول** | حياته وخدماته في مجال الدعوة والإرشاد. | 57-6 |
| الفصل الأول | حياته ورحلاته العلمية. | 18-7 |
| الفصل الثاني | محمد الغزالي وخدماته في مجال الدعوة والإرشاد. | 38-19 |
| الفصل الثالث | محمد الغزالي ورحلاته في مختلف البلاد وآرائه في الوحدة الإسلامية. | 57-39 |
| **الباب الثاني** | آراء محمد الغزالي حول تربية المرأة وتعليمها العالي. | 100-58 |
| الفصل الأول | مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية بين الرجل والمرأة في الإسلام. | 70-59 |
| | المرأة المسلمة وثقافتها الواسعة في العصر الأول وما يليه. | |
| الفصل الثاني | واقع تعليم المرأة في المجتمع الإسلامي. | 80-71 |
| | جهالة المرأة بطالة نصفة الأمة بل بطالة الأمة ككل. | |
| | المرأة الجاهلة لا تصلح لحمل رسالة الدعوة إلى الله. | |
| الفصل الثالث | دعاة تعليم المرأة في القرن العشرين. | 100-81 |

التدين الفاسد عائق في وجه تعليم المرأة.

تعليم المرأة وتربيتها من منظور محمد الغزالي.


| | | |
|---|---|---|
| **الباب الثالث** | آراء محمد الغزالي حول مشاركة المرأة في الشؤون السياسية في الإسلام. | 101-143 |
| الفصل الأول | تاريخ مشاركة المرأة في الشؤون السياسية. | 102-115 |
| الفصل الثاني | مشاركة المرأة غير المسلمة في النشاط السياسي وبطولتهن الرائعة. | 116-131 |
| الفصل الثالث | واقع مشاركة المرأة في العمل السياسي لدى الحركات الإسلامية. | 132-143 |
| **الباب الرابع** | الحياة الاجتماعية للمرأة المسلمة. | 144-168 |
| الفصل الأول | مشاركة المرأة في الأعمال الاجتماعية. | 145-154 |
| الفصل الثاني | معوقات مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية. | 155-160 |
| الفصل الثالث | مجالات ملائمة لمشاركة المرأة في الحياة العامة وآداب المشاركة. | 161-168 |
| **الباب الخامس** | محمد الغزالي في الممسائل الخلافية. | 169-223 |
| الفصل الأول | موقف محمد الغزالي من المسائل الخلافية الفقهية. | 170-180 |
| | محمد الغزالي ومنهجه الفقهي في مسألة النكاح والزواج. | |

الفصل الثاني محمد الغزالي في مسألة رحلة المرأة وعملها خارج المنزل. 181-213

محمد الغزالي ومذهبه في مسألة الطلاق.

محمد الغزالي ومذهبه في مسألة كشف وجه المرأة.

محمد الغزالي ومذهبه في مسألة صوت المرأة.

الفصل الثالث حملات على المتدينيين المعارضين له. 214-223

الخاتمة 224-227

المصـــــــــادر والمراجع 228-243

المحتويات 244-246